



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة

مركز دراسات الكوفة

بحوث

مؤتمر المرجعية ودورها في بناء الدولة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

عدي جواد الحجار

إعداد

معاون رئيس مهندسين

أسامة عادل محمد باقر الشماخ

تعريف الكتاب

اسم الكتاب بحوث مؤتمر المرجعية وأثرها في بناء الانسان
اعداد وتصميم واخراج المهندس أسامة عادل محمد باقر الشماع
المبرمج علي محمد حسين الحبوبي
اشراف الاستاذ الدكتور عدي جواد الحجار
السنة ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ

اللجنة العلمية:

١. الأستاذ الأول المتمرس الدكتور عبد الأمير كاظم زاهد رئيساً
٢. سماحة السيد محمد صادق الخرسان عضواً
٣. سماحة السيد حسين الحكيم عضواً
٤. سماحة السيد محمد علي بحر العلوم عضواً
٥. أ.د. محمد حسن الدخيل عضواً
٦. أ.د. جبار جمال الدين عضواً
٧. أ.د. عامر عبد زيد عضواً
٨. أ.د. هادي التميمي عضواً
٩. أ.د. عدي جواد الحجار عضواً
١٠. أ.د. رحيم خريط عطية عضواً
١١. أ.د. حسين لفته حافظ عضواً
١٢. أ.د. عهود حسين جبر عضواً
١٣. أ.د. جليلة صالح صاحب عضواً
١٤. أ.د. عقيل جاسم دهش عضواً
١٥. أ.د. ختام راهي مزهر عضواً

اللجنة التحضيرية للمؤتمر:

١. أ.د. عدي جواد الحجار رئيساً
٢. أ.م.د. سعدي احمد حميد عضواً
٣. أ.م.د. علي زهير هاشم عضواً
٤. أ.م.د. عماد كاظم دحام عضواً
٥. أ.م.د. زهراء نعمة عضواً
٦. أ.م.د. محمد جبار عضواً
٧. أ.م.د. جبار محارب عضواً
٨. م.د. محمد علي الحكيم عضواً

٩. م.د. محسن عدنان صالح
عضوا
١٠. م.م. حوراء مهدي عبد الصاحب
عضوا
١١. م.م. ستار جبار هاشم
عضوا
١٢. م.م. محمد حسن صاحب
عضوا

المرجعية ودورها في بناء الدولة

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

الجزء السادس

التعايش السلمي في المجتمع الاسلامي

اعداد واشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

رقم الصفحة	اسم البحث	اسم الباحث	ت
١	ضبط القوى الشهوية والغضبية وأثرها في التعايش السلمي عند السيد الآملي	أ.د. سيف طارق حسين العيساوي أ.م.د. قصي سمير عبيس الحلي	١.
٣٥	التعايش السلمي وأثره في الحوار بين الأديان	أ.د. حسين لفته حافظ	٢.
٧٠	فتاوى المرجعية وأثرها في تحقيق السلم الأهلي في العراق	أ.م.د. حيدر زوين د. عبد الكريم جعفر الكشفي	٣.
٩٤	الأسس الفكرية والعلمية للتقارب بين المذاهب الإسلامية	أ.م.د. محمد جواد كاظم السلامي	٤.
١٢٣	التعايش السلمي في ضوء قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون)	أ.م.د. فضيلة عبوسي محسن العامري	٥.
١٤٧	دور المرجعية في بناء التعايش السلمي في المجتمع	م.د. جمعة ثجيل الحمداني	٦.
١٦٨	التعايش السلمي بين الديانات في المجتمع الاسلامي	م.د. رغد جمال مناف	٧.
١٧٩	التعايش السلمي بين الأمم والشعوب - الواقع والمأمول (رؤية قرآنية معاصرة)	م.د. حقي حمدي خلف	٨.
١٩٨	مواقف من التعايش السلمي في تراث أهل البيت (عليهم السلام)	م.د. كريم حمزة حميدي	٩.

٢١٩	دور المرجعية في التعايش السلمي بين الديانات من خلال خطبة الجمعة في المجتمع العراقي	م.د. وفاء كاظم جبار	١٠.
٢٦٧	آداب التعايش التي تحلى بها ال بيت النبي(عليهم السلام) مع الفرد والمجتمع ودور المرجعية في ترسيخها	م.د نور نظام الدين الحسني	١١.
٢٩٦	المرجعية والتعايش السلمي في المجتمع الإسلامي	"الباحثة فاتن عبد الباري نجم إل خليفة"	١٢.

ضبط القوى الشهوية والغضبية وأثرها في التعايش السلمي عند السيد الآملي

أ.د. سيف طارق حسين العيساوي / جامعة بابل / كلية التربية الاساسية

أ.م.د. قصي سمير عبيس الحلي كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) / أقسام بابل / قسم علوم القرآن والحديث

مقدمة

الحمد لله اعترافاً بتوحيده، وإخلاصاً لربوبيته، وإقراراً بمجزيل نعمته، وإذعاناً لعظيم منته، وشكراً على جميع مواهبه، وكريم فواضله، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله، والطاهرين من عترته، والطيبين من أرومته، وسلم تسليمًا.

أما بعد، تعد الصفات التي تنتج من ضبط القوى الشهوية والغضبية عند الانسان هي إحدى وسائل إشاعة التعايش السلمي بين الأفراد، وتكامل الأخلاق والكفيلة لمجاهدة النفس الانسانية عند التعامل مع الآخرين في تهذيب تصورات الانسان، ومعالجة منطلقاته السلبية التي تجعله انفعاليًا وغير مسالمًا، في ضوء ثلاث صفات مهمة من الصفات الأخلاقية ألا وهي: الشجاعة والعفة والسخاء، ولعل الذي حملنا على الشروع في عمل هذا البحث أننا لم نجد أحدًا من الباحثين عمل بحثًا لعالم حليّ يحوي على جهود وتقسيمات جديدة وفريدة لصفات صادرة في ضبط القوى الشهوية، ومن هنا فقد سلّط الباحثان الضوء على صفات الشجاعة والعفة والسخاء في ضبط القوى الشهوية والغضبية عند السيد الآملي، بغية الوصول إلى التعايش بين الافراد في منظومة عقائدية واحدة، أو أكثر من منظومة؛ لصنع التكامل الانساني في ظل نظرية القرآن الكريم ومنهج أهل البيت (عليهم السلام)؛ ولهذا أراد الباحثان بيان مصادر ضبط تلك القوى الغضبية التي تجعل الانسان يتقبل الآخر عند السيد الآملي، فضلاً عن الإفادة من نظرياته في عصرنا الحاضر، فهي جديرة بالبحث والدراسة، ولما كان مدار الكلام في هذا البحث على الجوانب الأخلاقية وتقسيماتها في منظور السيد الآملي في تفسيره المحيط الأعظم فقد أفرز ذلك أفكاراً قيّمة في تحليلاته الأخلاقية، انعكس ذلك بوضوح في معالجته التربوية للظواهر الأخلاقية الجارية على القرآن الكريم وقول المعصومين (عليهم السلام) بمعطياتها وأصولها، بما لا ينأى عما بلغته الدراسات الأخلاقية الحديثة،

فإننا نرى أن السيد الآملي خدم البحث الأخلاقي في تفسيره عن طريق تقسيمه المميز لمباحث قوى ضبط الشهوة، فضلاً عن تعريفه الرائع لكل قسم من أقسام تلك القوى، ولقد رقدنا البحث بصفات رئيسية محددة تنبثق من كل صفة رئيسية صفة فرعية تنبع منها، الأولى: الشجاعة وتتضمن اثنا عشرة صفة، والثانية: العفة وتتضمن اثنا عشرة صفة، والثالثة: السخاء وتتضمن سبع صفات، وبهذا أصبح مجموع الصفات مع الرئيسية (إحدى وثلاثين) صفة، أما الخاتمة فقد سلطت الضوء على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ومما هو حريّ التنبيه إليه أن هذا البحث هو قراءة واعية في الصفات الصادر عن ضبط القوى الغضبية عند السيد الآملي؛ لكشف النقاب عن جهوده المميزة في التقسيم والتعريف فضلاً عن الاستشهاد، مما يبين نسبة تقارب كبيرة بين رؤيته ورؤية علم الاخلاق الحديث التي نستشف ملامحها من دراسته للتقسيمات الفرعية، وكيفية صياغة تعريفاتها، مع أن له قدم سبق عليهم، مما جعل للباحثين مساحة في التعبير، وقدرة على رسم المخططات التوضيحية التي تختصر جهود القارئ الكريم في بيان المراد.

❖ الصفات الاخلاقية الصادرة من ضبط القوى الشهوية والغضبية وتصنيفاتها عند السيد الآملي:

للسيد الآملي (قدس) وجهة نظر فريدة في تقسيم الصفات الأخلاقية التي تصدر من ضبط القوى الشهوية، فقد قسمها إلى صفات رئيسية محددة تنبثق من كل صفة رئيسية صفة فرعية تنبع منها ومكونة لها، وقسمها إلى ما يأتي:

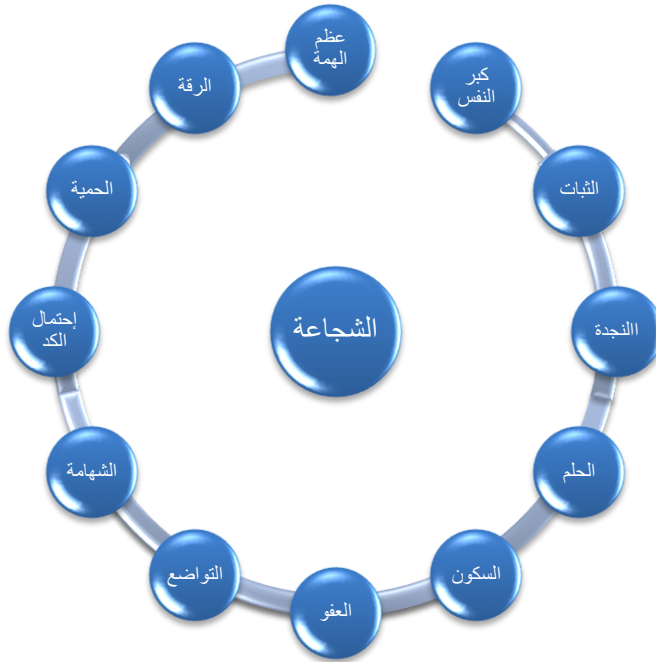
أ- الشجاعة وتتضمن اثنا عشرة صفة.

ب- العفة وتتضمن اثنا عشرة صفة.

ج- السخاء وتتضمن سبع صفات، وبها أصبح مجموع الصفات مع الرئيسية (اثنتين وأربعين) صفة وسنوضحها ونشرحها بالورقيات الآتية:

أ/ الشجاعة : وهي قوة القلب والاقدام والجرأة، ولها صور متعددة فتكون في اللسان، أو القلم، بالاضافة للسيف^(١)، وما يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : "لو

تمزيت الشجاعة لكان الصدق مع الشجاعة" (٢)، وعنه أيضا "أشجع الناس من غلب الجهل بالعلم" (٣)، وقال لقمان الحكيم: "ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاث مواطن: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة" (٤)، وهذه النصوص المباركة تدل على أن الشجاعة تكون في (اللسان من خلال الصدق، وفي القلم من خلال العلم، وفي الحرب)؛ لذا نستطيع أن نعدّ الشجاعة من الغرائز الشريفة التي تتضمن اثنتا عشرة صفة يوضحها الشكل رقم (١):



شكل (١) من إعداد الباحثين يبين الصفات الواقعة ضمن الشجاعة

١. كبر النفس : هو استحقار اليسار والافتقار على حمل الكرامة والصغار (٥)، وكبر النفس هنا ملكة وهي على النقيض من صغر النفس التي تتمثل بالعجز، واستشهد السيد الآملي بقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (٦)، فمن كبر النفس أن يرى المؤمن إن الدنيا بما فيها من طيبات وملذات متاع قليل، وأن الآخرة هي الحياة والغاية التي يجب أن يسعى لها الإنسان، ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: "من كبرت عليه نفسه هانت عليه شهوته" (٧)، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: "المؤمن أصلب من الجبل" ومن طريق الاية الكريمة وأحاديث المعصومين نستدل على أن كبر

النفس هو علو شأنها عن سفاسف الامور وصغارها، وصاحب هذه الملكة ويتساوى عنده الفقر واليسار والغنى والاعسار، بل الصحة والمرض والمدح والذم، ولا يبالي بتقلب الأمور والأحوال. وهي ملكة شريفة لا يمتلكها إلا شجاع، ولا يحوم حولها إلا فاضل من الحكماء، أو من قوي قلبه من العرفاء.

٢. عظم الهمة: وتعني عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها حتى الموبقات^(٨)، وهو الذي لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد بطنه وفرجه بل يجتهد أن يتخصّص بمكارم الشريعة^(٩). حيث يورد لنا القرآن الكريم حكاية عن أصحاب موسى في جواب، قال تعالى: ﴿لَقُطِعْنَ أَيْدِيكُمْ وَأُرجِلُكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾^(١٠)، وفي مورد آخر: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١١)، وفي كلتا الآيتين إشارة إلى التسليم بالله وعدم المبالاة بشقاوة الدنيا كونها زائلة، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يحبّ معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفاسفها"^(١٢). وقد ورد في دعاء كميل بن زياد عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام: "واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك وأخصهم زلفى لديك"^(١٣)، فطموح المؤمن بأعلى المقامات عند الله وأقرب المنازل إلى الله وليس مطلق الفوز ولو بأي حال، مع أن مجرد أن يُزحزح الإنسان عن النار فقد فاز ونجا بنفسه في الآخرة، يقول الامام الصادق (عليه السلام): "إن المؤمن يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه"^(١٤).

٣. الثبات: ويسمى الصبر أيضاً وهو قوة مقاومة الآلام في الأهوال والشدائد^(١٥)، وكلما كان الصبر على الأهوال في سبيل الله تعالى كان الأجر أعظم، قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنُ مَنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١٦)، وقال جلّ وعلا ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٧)، ففي الآيتين الكريميتين دلالة واضحة تشير إلى صفة الثبات بل تمدحها حيث صرحت أن الله يحب الذين صبروا وتحملوا الشدائد، وعن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي

على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة" (١٨) وفي هذا الحديث الشريف يتبين أن إيمان الإنسان يتوقف على شدة وهول البلاء، فكلما عظم بلاء العبد المؤمن ازداد ثابتاً وإيماناً. ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): "الصبر على البلاء أفضل من العافية في الرخاء" (١٩).

٤. النجدة : وهي ثقة النفس بأن لا يصيبها جزع عند المخاوف (٢٠)، أشار السيد الآمل إلى التسليم بأمر الله تعالى والصبر على قضائه، فإن في ذلك بشرى لمن صبر، وهذه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْنَفْسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (٢١)، يظهر من ذلك أن المؤمن يكون على ثقة ويقين بنجدة الله سبحانه له إذا ما أصابه بلاء أو مصيبة ، وفي هذا المعنى قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "من حسن ظنه بالله فاز بالجنة، ومن حسن ظنه بالدنيا تمكنت منه المحنة" (٢٢). والمتأمل في نص أمير المؤمنين عليه السلام يجد أن للانسان طريقتين، الطريق الأول: حسن الظن بالله، ويعني ذلك أنه لا بد لنا من أن نتابع جهاد أنفسنا، والطرق الثاني: حسن الظن بالدنيا دار الغرور، وعن الإمام الرضا عليه السلام: "أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرأ" (٢٣). يتضح أن ثقة النفس بالله تعالى تمنعها من الإصابة بأي جزع أو داء؛ لأن حسن الظن بالله تعالى من علامات المؤمن الثبت.

. الحلم : الطمأنينة وترك الشغب عند سورة الغضب (٢٤)، وهذا التعريف ينطبق على الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢٥)، وفي مضمون هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (٢٦) ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٢٧)، ومن ذلك أيضاً قول رسول صلى الله عليه وآله: "والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم" (٢٨)، وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "الحلم نور جوهره العقل" (٢٩)،

وقال عليه السلام "من غاظك بقبح السفه فغظه بحسن الحلم عنه" ^(٣٠)، وعن الرضا (عليه السلام) قال لرجل من القميين: "اتقوا الله وعليكم بالصمت والصبر والحلم فإنه لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً" ^(٣١) أن إدراج السيد قدس لصفة الحلم تحت صفة الشجاعة لهو استلهاهم لتراث الرسول وآل بيته صلوات الله عليهم فالشجاعة قوة العقل والقلب وليس قوة الجسد فقط وهي من دلالات المؤمن .

٦. السكون: وهو التآني في الخصومات والحروب الشرعية ويسمى عدم الطيش أيضاً ^(٣٢)، وعدم التآني في الخصومات يخلف التنازع والفشل قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ في الآية الكريمة يرسم لنا الحق تعالى منهاجا للسكون وعدم الطيش فيبين لنا مصدر الاخذ السليم ومصدره الله سبحانه والرسول (صلى الله عليه وآله) ثم يبين لنا آلية العطاء بقوله (ولا تنازعوا) أي أن الحوار يجب ان يكون بناءً بعيداً عن الخصومة ثم يأمرهم الله تعالى بالصبر؛ لأنه مصدر الفلاح والنجاح والحكمة، ونقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" ^(٣٣)؛ أي شديد الخصومة. ومن كلام الإمام علي عليه السلام: "من بالغ في الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم" ^(٣٤). إن التحذير من الخصومة والمنازعة، كونها غير مأمونة العواقب، ولا معروفة الغاية، تشتد حتى تأتي على السليم فيخسره المخاصم، بينما حالة الوداعة والمسالمة أكثر راحة وفائدة، حيث لا تنفع المنازعة في شيء فإن تجاوز فيها حقوق الآخر تورط في الإثم، وإن راعى فيها الحقوق والاعتبارات، ربما يتجاوز عليه الطرف الآخر فيظلمه. ^(٣٥)

٧. العفو: ترك الانتقام مع القدرة ^(٣٦)، وقد وردت في القرآن آيات عدة تحث على هذا المضمون، قال الله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ^(٣٧)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ^(٣٨)، وقوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ ^(٣٩)، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا فلا

تظلموا" (٤٠)، وقال الإمام لباقر (عليه السلام): "من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة" (٤١)، والمتأمل لما ورد من الآيات المباركات والأحاديث الشريفة ليجدها ممثلة بفضائل كظم الغيظ، وسمة ضبط النفس وتجنب الغضب الذي يجرنا إلى الانتقام من غير اختيار بخلاف كظم الغيظ، وقد بين الألويسي الفرق بين الغضب وكظم الغيظ، فقال: "أصل الكظم شد رأس القربة عند امتلائها، ويقال: فلان كظيم أي ممتلىء حزناً، والغيظ هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر، والفرق بينه وبين الغضب على ما قيل: إن الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتة، ولا كذلك الغيظ، وقيل: الغضب ما يظهر على الجوارح والبشرة من غير اختيار، والغيظ ليس كذلك، وقيل: "هما متلازمان إلا أن الغضب يصح إسناده إلى الله - تعالى -، والغيظ لا يصح فيه ذلك"، والمراد والمتجرعين للغيظ المسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينقمون ممن يدخل الضرر عليهم، ولا يبدون له ما يكره، بل يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الانفاذ والانتقام، وهذا هو الممدوح" (٤٢).

٨. التواضع: هو استعظام الرجل ذوي الفضائل من دونه في الجاه والمال (٤٣)، ويستشهد السيد بقول قال الله تعالى: ﴿وَاخْفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٤)، وقال جلّ وعلا ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (٤٥)، وهنا إشارة إلى السكينة والوقار والتواضع من غير تكبر ولا مرح. وفي هذا المضمون أكد الرسول الأكرم ما ذكره الله تعالى في كتابه المجيد بقوله: "ما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله" (٤٦)، وإذا تأملنا في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتضح أن الرسول الأكرم لم يشر إلى عموم التواضع، وإنما خصصه لله وحده وقربة إليه، ومن ذلك نستطيع أن نقسم التواضع على قسمين: القسم الأول: التواضع المحمود: وهو القيام بكل أعمال الخير قربة لله تعالى دون مراعاة مستويات البشر ومكاناتهم، ودون الاهتمام إلى كسب دينوي، والقسم الثاني: التواضع المذموم: وهو التواضع من أجل غايات دينوية بعيدة عن الله تعالى. فال مؤمن المتواضع لله تعالى يكون محبوباً ومقبولاً عند الجميع، ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: "حلية المؤمن التواضع" (٤٧)، يعد التواضع من المزايا الكريمة التي تعنى

التربية الإسلامية بغرسها في آفاق النفس، وهو من أهم الأسباب المزيلة للتكبر والمبيدة لدائه، وهو يرفع الإنسان في الدنيا، ويقربه من الله عز وجل^(٤٨)، ومن هذا المنطلق يرى الباحثان أن سمة التواضع سمة أساسية في استقرار شخصية الإنسان واطمئنائها، فهو ينأى به عن التكلف، وفي الرواية الواردة عن الإمام علي (عليه السلام) إشارة خفية لعل المراد منها أن التواضع نعمة يمكن لكل إنسان أن يحصل عليها وينالها، فترين خصاله وتجمل حاله.

٩. الشهامة : هو الحرص ما يوجب الذكر الجميل من العظام^(٤٩)، وقيل هي: "عزة النفس وحرصها على مباشرة أمور عظيمة، تستتبع الذكر الجميل"^(٥٠) وقد جاء في اللغة : الذكيُّ الفؤاد المتوقدُ ، الجلدُ ، والجمع شَهام ^(٥١)، ويستشهد السيد الآملي بقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٥٢)، ومن قصص الشهامة في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٥٣). قال ابن عطية: استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب، أو مضطهد، أو من يشفق عليه، أو يأتي بمنكر من الأمر، فكأنه بالجملة في شر فأخبرته بغيرهما^(٥٤)، وقال الحجازي: فثار موسى، وتحركت فيه عوامل الشهامة والرجولة، وسقى لهما، وأدلى بدلوه بين دلاء الرجال حتى شربت ماشيتهما^(٥٥). عن أنس رضي الله عنه، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله سلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً، قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وآله سلم على فرس لأبي طلحة عُرِي: أي ليس عليه سرج ولا أداة، وهو متقلد سيفه، فقال: لم تراعوا : هي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيساً، وإظهاراً للرفق بالمخاطب^(٥٦)، ونستنتج من هذا الحديث ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله سلم قد جمعت له شمائل متعددة كالشهادة، والشجاعة، والفروسية وأهوالها، ما لم يكن عند أحد من الناس، ولذلك قال أصحابه عنه: إنه كان أشجع الناس، وأجراً الناس في حال الباس^(٥٧).

١٠. احتمال الكد: إتعاب البدن في اكتساب الحسنات^(٥٨)، وقد ورد مدح هذه الصفة في القرآن الكريم بوجوه متعددة ومنها قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٥٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾^(٦٠)، وهنا مخاطبة للإنسان في أنك عامل إلى ربك عملاً^(٦١)، وهذا العمل ينبغي أن يليق بوجهه الكريم. ويرى الباحثان أن ارتباط هذه الصفة بالشجاعة يدل على أن الذي عليه القابلية في أن يتعب جسده ويعطي من نفسه في اكتساب الحسنات حري به أن يكون شجاعاً، وهذا نوع من أنواع العطاء، وهو تحد للراحة البدنية التي تنشدها النفس الانسانية.

١١. الحمية: وهي محافظة الملة و الحرمة عن التهمة^(٦٢)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "اتَّقُوا مواضع التَّهْمِ"^(٦٣)، أن المتأمل في الحديث الشريف يجده ابتداءً بفعل الامر (أتقوا) وهو يحوي على معنى تحذيري شديد ، فلماذا يحذرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله هذا التحذير الشديد ، يرى الباحثان : أن هناك بعض الناس يسيء الظن و غرضهم التجسس وقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)^(٦٤)، فالحمية فيها جانبان، الاول: تخلص المؤمنين من ظن السوء والذي فيه اثم ، والثاني : ابعاد الشبهة او التهمة عن المؤمن، وقد جاء في الحديث الشريف: "رحم الله من جب الغيبة عن نفسه"^(٦٥).

١٢. الرقة: وهي التأثير عن أذى يصيب من الناس بلا اضطراب^(٦٦)، قال النبي صلى الله عليه وآله: "تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى"^(٦٧). يطرح الباحثان التساؤل الآتي : ليست الرقة تقلل من القوة ومن ثم تضعف من الشجاعة والاقدام؟ الجواب : إن رقة القلوب وخشوعها، وانكسارها لخالقها وبارئها منحة من الرحمن، تستوجب العفو والغفران، فإنه ما رق قلب لله عز وجل إلا كان صاحبه مبادراً إلى الخيرات، مشمراً في الطاعات، وما رق قلب لله عز وجل وانكسر إلا وجدت صاحبه أحرص ما يكون على

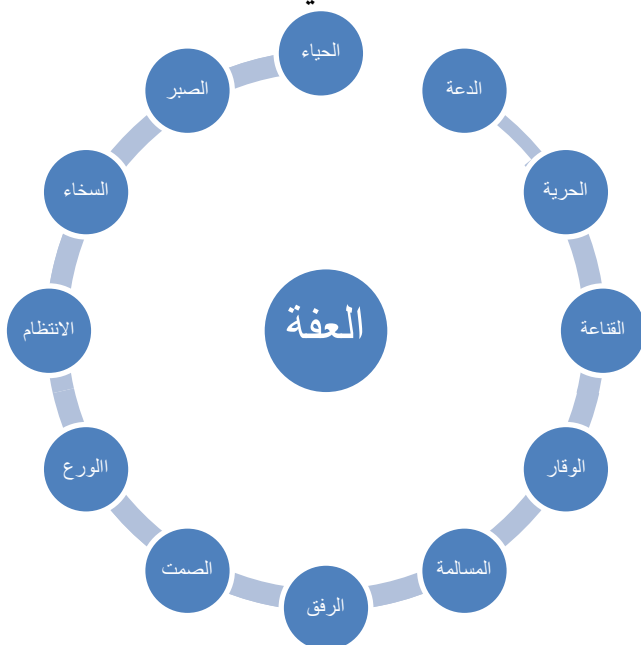
طاعة الله ومحبتة، اذا هي قوة روحية وشجاعة لانها مستمدة من الله سبحانه ، وفي هذا يصف الباريء رسوله عليه افضل الصلاة والسلام ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦٨) فالرقة رحمة من الله، قال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام موصياً صاحبه، وتلميذه النجيب جابر الجعفي: "وَتَعَرَّضْ لِرِقَّةِ الْقَلْبِ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ فِي الْخَلَوَاتِ"^(٦٩)، إن رقه القلب هي النعمة التي ما وجدت نعمة على الأرض أجل وأعظم منها، وما من قلب يحرم هذه النعمة إلا كان صاحبه موعوداً بعذاب الله، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٧٠)، ومن الايات والاحاديث السابقة نستنتج ان رقة القلب مرتبطة بذكر الله تعالى والقلب الذي يعمر بذكره يلهمه الشجاعة.

ثالثا/ العفة:

العفة: هي الترفع عن الدنيا، وهي في المحسوس: الترفع عن السؤال، والترفع عن الأخذ أو مد اليد إلى مغنم^(٧١) كما قال عنتره^(٧٢):
يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم
فالعفة لها جانبان:

الأول: الجانب المادي: وهو إمساك النفس عن مد اليد لطلب المال، فالمسلم الذي يتعفف عن المسألة طالباً وجه الله بعزة نفسه، حافظاً ماء وجهه أن يريقه على أعتاب الأغنياء، قال صلى الله عليه وآله: "من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله"^(٧٣)
والثاني: الجانب المعنوي: وهو الجانب الخلقي، وهو متعلق بأهواء النفوس وانفعالاتها وتعلقاتها العاطفية والوجدانية في ميل القلب إلى محبوب لا يجد صاحب الميل في نفسه عزماً على أن يدفعه حيثئذ تدخل العفة لتكون حاجزاً للهوى عن السقوط والتردي^(٧٤)، فالإنسان المتعفف هو من يجب علينا أن نبحثه عنه لنعطيه من حق المال لانه غير بادي للعيان فقد وصفه الحق سبحانه ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾^(٧٥)

والأنواع الواقعة تحتها إثنا عشر صفة وهي:



شكل (٢) من إعداد الباحثين يبين الصفات الواقعة تحت العفة.

١. الحياء : وهو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح^(٧٦)، قال النبي صلى الله عليه وآله :
واله :

"الحياء من الإيمان"^(٧٧)، وقال علي عليه السلام: "من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه"^(٧٨). والحياء أعم من التقوى، إذ التقوى اجتناب المعاصي الشرعية، والحياء يعم ذلك ؛ واجتناب ما يقبحه العقل والعرف أيضا ، فهو من شرائف الصفات النفسية فحقيقة الحياء ليس في منع النفس فقط ؛ بل من انفعالها عن ارتكاب ما يذم شرعا وعقلا وعرفا^(٧٩).

٢. الصبر : حبس النفس عن مطاوعة الهوى و مقاومتها إياه^(٨٠)، قال الله تعالى في وصف الصابرين: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨١)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: " أَلَا إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ بَادَ الْجَسَدُ "^(٨٢)، وقال عليه السلام: " الصبر صبران، صبر على ما تكره، و صبر على ما تحب "^(٨٣) ، وقد وصفهم القرآن الكريم :﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ

صَبْرُوا^(٨٤)، والسؤال الذي يطرحه الباحثان لماذا جعل السيد الآملي (قدس) الصبر من الصفات الواقعة تحت العفة مع أن الصبر درجة متقدمة من الايمان؟، والجواب حسب رأي الباحثين: هو أن الانسان قد يصبر على العوز والحرمان ولكن قد يطلبه إذا ما وجد كريما، أما التعفف فهو الترفع عن طلب الحاجة وهو بهذا أعلى مرتبة من الصبر .

٣. الدعة: وهي السكون عند هيجان الشهوات^(٨٥)، قال تعالى في النهي عن الوقوع في الشهوات: «لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٨٦)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): "أوصيكم بمجانبة الهوى، فإن الهوى يدعو إلى العمى، وهو الضلال في الآخرة والدنيا"^(٨٧) وعنه: "إِمْنَعْ نَفْسَكَ مِنَ الشَّهَوَاتِ تَسْلَمْ مِنْ الْآفَاتِ"^(٨٨)، يجد الباحثان من تعريف السيد الآملي للدعة فيصفها بالسكون وهو هنا دقيق العبارة أي أنه يدعو إلى تذويب الهيجان بصورة لطيفة وهي دعوة الى تحكم العقل بالشهوة فعن أمير المؤمنين عليه السلام: "من غلب شهوته صان قدره"^(٨٩).

٤. الحرية: ويعبر عنها السيد حيدر باكتساب مال من غير امتنان، و منه و إنفاقه في المصارف الحميدة^(٩٠)، ومن كلام النبي صلى الله عليه واله: " (لو) لأن يأخذ أحدكم حبله جبلا فيأتي بجزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله وجهه خير له من أن يسأل الناس"^(٩١)، وقال عليه السلام: "طوبى لمن ذلّ نفسه وطاب كسبه، و خلصت سريرته، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله"^(٩٢). والسؤال الذي يتبادر للذهن لماذا يسمي السيد حيدر الاستقلال المادي في كسب العيش بالحرية؟ يرى الباحثان: أن المرء اذا ما اعتمد على أحد غير الله تعالى وكده في كسب العيش تأثر به ورأه ولي نعمته، فيأخذ بأراءه ويتفكر بأفكاره، وشيئا فشيئا يكون عبدا له وهو لا يشعر او يشعر بذلك، فحرية الكسب مقدمة نتيجتها حرية المعتقد.

٥. القناعة: وهي التساهل في أسباب المعيشة والاعتصار منها على الكفاف^(٩٣)، ومن كلام النبي صلى الله عليه واله: "قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه"^(٩٤)، وقال: " ليس الغنى من كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس"^(٩٥)، فغنى النفس يورث

راحة البال وقوة الجسد وسدادة الرأي، وقال صلى الله عليه واله: "أرض بما قسم الله لكى تكن أغنى الناس" ^(٩٦)، وقال عليه السلام: "كفى بالقناعة ملكا و بحسن الخلق نعيما" ^(٩٧).

٦. الوقار: التأني في التوجه نحو المطالب ^(٩٨)، قال النبي صلى الله عليه واله: "التأني من الرحمن، والعجلة من الشيطان" ^(٩٩)، وقال صلى الله عليه وآله وسلام: "من تأنى أصاب أو كاد و من عجل أخطأ أو كاد" ^(١٠٠)، وبهذا يتبين أن التأني أمر أساسي في تحقيق التميز والإتقان، ورغم ذلك فالكثير من الناس لا يعيرون له أي اهتمام في مجالات حياتهم المتعددة، مفضلين العجلة والسرعة بدافع استغلال الوقت، وعدم تضييعه، أو فوات الفرص إلى غير ذلك من المبررات، وتناسوا أن العجلة هي مكيدة من مكائد الشيطان، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ^(١٠١)، وإذا كان التأني من الله، فإن الله يحبه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس "إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة" ^(١٠٢)، وفي ضوء ذلك الموقف نستطيع أن نتوصل إلى المطلوب بالرفق، وقد لا نستطيع التوصل إليه بالعنف والشدة، ومصادق ذلك يكون في تربية الأولاد، والتعامل مع الزوجات كذلك أيضاً يكون في البيع والشراء، واستخراج الحقوق من الناس، وهكذا في حال التعامل معهم بأي لون من العاملات، بالرفق يمكن أن تحل المشكلات، وبالرفق يمكن أن نصل إلى ما نريد، فضلاً عن ما تورثه صفة الشدة والغضب من نفور لدى النفوس، ولربما قابلوا تلك الشدة بمثلها فوقع له ما يكره، أما إذا تعاملنا باللطف والرفق فإن الناس تلين قلوبهم بهذا، ويحصل على المراد بالعقل والحلم.

٧. المسألة: هي المواجهة عند تنازع الآراء المختلفة ^(١٠٣)، وهي من اللطف في الخطاب والحوار وعدم التزم، يرسم لنا القرآن الكريم صورة جميلة في المسألة قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(١٠٤). ففي هذه الآية المباركة يخاطب صلى الله عليه واله الكفار عند تنازع الآراء ويقول لهم نحن وأنتم احدنا مصيب والآخر مخطيء ورغم ادراكه لضلال الآخرين الا

أنه لم يوجه لهم الانتقاد الحاد بل أراد منهم الرجوع إلى أنفسهم. وروي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "المسألة خبء العيوب"^(١٠٥)، أي أنها تخبأ العيوب والتي ربما تكون فكرية أو عقائدية أو حتى نطقية.

٨. الرفق: حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل^(١٠٦)، ويسمى أيضا الديانة، وقد أوصى الله سبحانه موسى وهارون عليهما السلام عندما امرهم بالذهاب الى فرعون قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا لِّعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١٠٧) لما لذلك من أثر طيب في النفوس، وقال تعالى: ﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١٠٨)، ومن كلام النبي صلى الله عليه وآله: "من يجرم الرفق يجرم الخير"^(١٠٩)،

وقال: "إن الله رفيق يحب الرفق"^(١١٠) يرى الباحثان أن الرفق صفة المؤمن الحقيقي ويكفي في حديث الرسول الكريم أن الرفيق ممن يحبهم الله سبحانه فالذي يتشرب القيم الاسلامية لا يدخل قلبه القسوة.

٩. حسن الصمت : وهو محبة ما يكمل النفس^(١١١)، لقد وردت الكثير من الاحاديث الشريفة التي تمدح الصمت وتبين فوائده ومنها : روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرها؟ قلت: بلى قال: طول الصمت، وحسن الخلق فو الذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما"^(١١٢). قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "الصمت الحسن والتودد والإقتصاد جزء من أربع وعشرين جزءا من النبوة"^(١١٣)، وعن الإمام علي عليه السلام قال: "بكثره الصمت تكون الهيبة"^(١١٤)، وعنه عليه السلام : "أفضل العبادة الصمت، وانتظار الفرج"^(١١٥)، ومن طريق التأمل في الاحاديث الواردة في الصمت يجد الباحثان أن الصمت يزكي النفس وينمي العقل ويهذب الوجدان وهو مداة للتأمل والتدبر زيادة على انه يمنح صاحبه وقارا وهيبة .

١٠. الورع : ملازمة الأعمال الجميلة^(١١٦)، أن التأمل في تعريف السيد الآملي يجده اسند صفة الجمال للأعمال ، فالجمال في العلم لا ينحصر في الجانب الحسي فهناك الجانب المعنوي وكما ان الحسي ناشيء من تناسب الاعضاء أي انه يعد عاملا أساسيا ، فكذلك

التناسب في الامور المعنوية والروحية أيضا عاملا على الجمال المعنوي، والانسان عاشق للجمال بفطرته، ولهذا يقال ان العمل الاخلاقي يعني العمل الجميل^(١١٧). وما اجمله من وصف للورع، ويستشهد السيد الاملي بقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، إلى قوله: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ)^(١١٨)، وقال تعالى: (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ)^(١١٩)، ومن كلام الامير عليه السلام: " لا معقل أحسن من الورع "^(١٢٠).

١١. الانتظام: تقدير الأمور وترتيبها بحسب المصالح^(١٢١)، وبفواته يحصل الفساد والخسران في الدارين. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "كن مقدراً ولا تكن مقتراً"^(١٢٢)، ونستطيع أن نقسم الانتظام بحسب المصالح إلى أقسام عدة:

١- التقدير والترتيب في حفظ الدين: إن التقدير في الدين يكون من جانبين: الأول: جانب الوجود: بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده؛ وذلك بالعمل به والحكم به والدعوة إليه والجهاد في سبيل الله، وجزاء تقدير الأمور وترتيبها جنات تجري من تحتها الانهار وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(١٢٣)، وكذلك قوله تعالى في باب تقدير الأمور بالجهاد للحضور على الشرف الأعلى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١٢٤). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنه القبر"^(١٢٥).

٢- التقدير والترتيب في حفظ النفس: المقصود بها مراعاة النفس المحترمة، وتحريم الاعتداء عليها، سد الذرائع المؤدية إلى القتل، والحكم بالعقاب والقصاص عند قتل العمد، والعفو عن القصاص من باب استبقاء نفس القاتل والحرص عليها إن كان القتل عن غير عمد، وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم وأكد على ضرورة تقدير الأمور

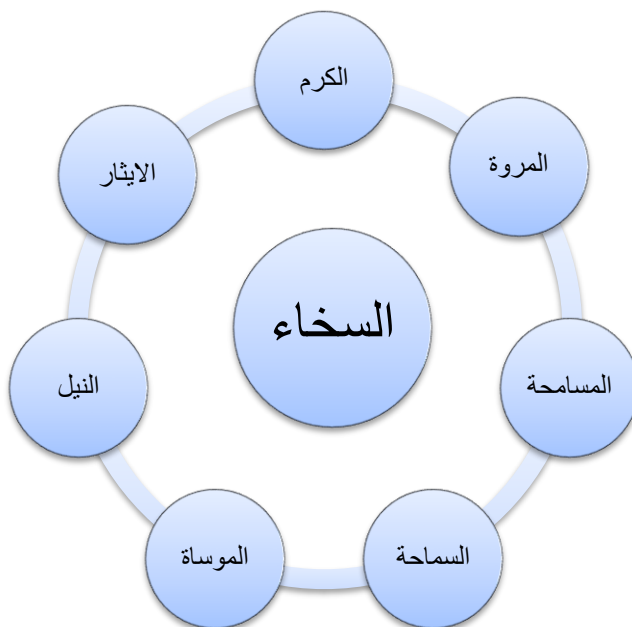
وترتيبها عن طريق الاحكام الشرعية المستمدة من القرآن الكريم قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١٢٦)، وكل ذلك لكي لا يتعدى الانسان على حدود النفس التي حرم الله قتلها قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٢٧)، وعن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): "إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظنَّ به ظنَّ السَّوء" ^(١٢٨).

٣) حفظ العقل: وهذا أمر متفق عليه في بداهة العقول، وقد جاءت الشرائع بالمحافظة عليه وذلك معلوم من كثرة النصوص في ذكره وكونه مناط التكليف وتحريم ما يفسده سواء كانت مفسدات حسية كالخمور والمخدرات وما شابهها، أم من المفسدات المعنوية من تصورات فاسدة وأفكار هدامة وبدع ومحدثات وغيرها. ولذلك أولى القرآن الكريم عناية فائقة بالعقل قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٢٩). وكذلك قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١٣٠) يتبين لنا أن القرآن المجيد استعمل مفردات كثيرة للإشارة إلى العقل، وكل من هذه المفردات تشير إلى جانب من جوانب هذا الوجود النفساني، وبتعبير آخر فإن كلا منها يتعلق ببعد من أبعاد العقل. وبما أن هذه القدرة الغامضة تردع الانسان عن الأعمال المشينة وتمنعه عنها قيل لها عقل ونهى. قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «قَوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ»^(١٣١). قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل». وقال الامام الباقر (عليه السلام): «لا مصيبة كعدم العقل»^(١٣٢).

ثالثاً: السخاء: إعطاء ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي^(١٣٣)، وهو حالة وسطية بين البخل والاسراف وقد أشار إليه القرآن الكريم بخصائصه، نذكر منها:

١- أن لا ييخل بما عنده، ولا يسرف بما لديه: أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(١٣٤).

٢- الانفاق في سبيل الله تعالى: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾^(١٣٥)، وقال تعالى: ﴿أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٣٦). ومن كلام النبي عليه السلام: "السخي قريب من الله ، قريب من الناس قريب من الجنة"^(١٣٧)، ومن كلام الامام علي عليه السلام: "سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء"^(١٣٨) ويرى السيد الآملي أنه نوع تحت سبع صفات وهي :



مخطط (٣) من إعداد الباحثين يبين الصفات الواقعة ضمن السخاء

١. الكرم: هو أن يكون ذلك الإعطاء بالسهولة، وطيب النفس في الأمور العظام^(١٣٩)، ولكي نحدد المفهوم الدقيق له سوف نستنتج من القرآن الكريم، وأحاديث الرسول وآل بيته صلوات الله عليهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١٤٠)، وهنا إشارة إلى البخل وما سيؤول إليه البخل، قال الرسول صلى الله عليه واله : " الرجال أربعة سخي، وكريم ، وبخيل، ولئيم. فالسخي الذي يأكل ويعطي والكريم الذي لا يأكل ويعطي، والبخيل الذي يأكل ولا يعطي، واللئيم الذي لا يأكل ولا يعطي"^(١٤١)، وعن الامام الحسن عليه

السلام " أما الكرم فالتبرع بالمعروف والاعطاء قبل السؤال" ^(١٤٢) ومن هذين الحديثين نستنتج بأن الكريم أعلى درجة من السخي ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكريم ولم يصفها بالسخي قال تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم﴾ ^(١٤٣) و ايضا (يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم) ^(١٤٤)، فهو الذي لا يحوجك الى سؤال ، ولا يبالي من أعطى ، هو الذي يعطى ما يشاء لمن يشاء وكيف يشاء بغير سؤال. ومن العرض السابق لصفتي السخاء والكرم فإن للباحثين رأي آخر يخالف رأي السيد حيدر الأملي (قدس) حيث جعل الكرم تحت السخاء في حين يرى الباحثان عكس ذلك في أن السخاء يقع تحت الكرم .

٢. الإيثار: وهو أن يكون مع الكفّ عن حاجاته ^(١٤٥)، وهو أن يوجد الانسان بالمال مع الحاجة اليه، وتفضيل غيره عليه ^(١٤٦)، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ^(١٤٧)، وفي وصف حالة من الإيثار قام بها أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ^(١٤٨)، وفي قيمة الإيثار قال رسول الله (صلى الله عليه واله) : " من آثر على نفسه آثره الله على نفسه يوم القيامة" ^(١٤٩)، وعن الامام علي (عليه السلام): "أفضل السخاء الإيثار" ^(١٥٠)

٣. النيل : وهو التسرع بالخير مع خصائصه وذلك يكون مع السرور به ^(١٥١)، وقد وصف القرآن الكريم هذه الثلة بالصالحين كما في قوله تعالى ﴿وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(١٥٢)، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ^(١٥٣). ويتبين من الآيتين المباركتين إلى ضرورة التسابق في فعل الخير. ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة. فالمطلوب من المؤمنين في الحياة الدنيا أن يتسابقوا إلى الخيرات قبل أن يأتيهم الأجل فيخسر عطاء الله تعالى، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَّا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا وَيَمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا" ^(١٥٤)، يشير الرسول الأكرم إلى سعي المؤمن في المبادرة بالأعمال الصالحة؛ لأنه قد يبتلى بالموت العاجل (موت الفجاءة)، أو قد يبتلى بمرض

يفسد عليه قوته فلا يستطيع العمل، أو يبتلى بهرم، أو يبتلى بأشياء أخرى، فعلى الإنسان أن يغتنم حياته وصحته وعقله بالأعمال الصالحات قبل أن يحال بينه وبين ذلك، فتارة بأسباب يبتلى بها، من مرض وغيره، وتارة بالطمع في الدنيا، وحب الدنيا، وإيثارها على الآخرة، وتزيينها من أعداء الله، والدعاة إلى الكفر والضلال. والتسابق في الخير له فوائد عظيمة وثمرات يانعات مباركات، فمن ثماره أنه :

١- دليل على كمال الدين والايان المطلق : وصف الله المؤمنين الخالصين بأنهم هم الذين يسارعون في الخيرات طلبا للصالح والفلاح. ﴿وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

٢- دليل حب الله تعالى للعبد : المسارعة إلى الخيرات - كذلك - دليل على حب الله تعالى للعبد، وأنه قد اختاره ليضعه في الأرض مفتاحا من مفاتيح الخير، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (١٥٥).

٣- سبب لتفريج الكرب وستر العيوب : المسابقة في عمل الخير من أسباب تفريج الكرب وستر العيب، وذلك من صفات أهل الإيمان، قال تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٦).

٤- سبب لاستجابة الدعاء وقبول الرجاء : فحب الخير والمسارة إليه سبب لقبول الدعاء، قال تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (١٥٧).

٥. المواساة : أن يكون في معاونة الأصدقاء بحيث يشاركهم بباله و ماله (١٥٨)، والمتأمل في القرآن الكريم لا يجد لفظة المواساة بعينها، وإنما جاءت بألفاظ مختلفة لكنها تشير إلى معنى المواساة، ومن ذلك مواساة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : في قوله تعالى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (١٥٩). مواساة المبتلين وأصحاب الهموم والكروب وتفريج كربهم : حيث نلاحظ من خلال التأمل في آيات كتاب الله تعالى أن هذا القرآن

فيه الشفاء والدواء من كل هم وكرب وغم، قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(١٦٠)، فنجد في القرآن الكريم أعظم منهج لمواساة المحزونين والمكروبين، ونجد فيه أعظم منهج وأسلم طريق لتفريج الكرب وإزالة الهموم والغموم، من فوائد المواساة أيضاً البركة في الماء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "البركة في المال من إيتاء الزكاة ومواساة المؤمنين وصلة الأقربين"^(١٦١). يرى الباحثان: أن السيد الآملي قد ضمن المواساة جانبين: الأول معنوي وهو أن يهتم المسلم لأخيه بباله، والثاني مادي في أن يبدي التعاون المالي إذا ما احتاج اليه. وهو بكل الأحوال تخفيف عن المكروب بالاعانة المادية والمعنوية.

٥. السماحة: بذل ما لا تحب بذله على سبيل التفضيل^(١٦٢)، أو بذل ما لا يجب تفضيلاً^(١٦٣)، وقد أكد القرآن الكريم على معنى السماحة في قوله تعالى قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١٦٤)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل»^(١٦٥). أي: تحرم النار على كل سهل طلق حليم، لين الجانب، وسمح في المعاملة، وقال الامام علي عليه السلام: كُنْ سَمَحاً وَلَا تَكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلَا تَكُنْ مُقْتَرّاً^(١٦٦).

٦. المسامحة: وهي ترك ما لا يجب تركه على سبيل التورع^(١٦٧)، قال الله تعالى في بيانها: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١٦٨)، وهي تخص التعامل مع الناس وتسهيل أمورهم، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من أنظر معسراً أو وسع له أظله الله تحت ظل عرشه يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله"^(١٦٩)، وهي تشبه السماحة في المضمون وتختلف عنها في الاداء .

٧. المروءة: بدل ما لا بدّ من إفادته عرفاً^(١٧٠)، وهي مراعاة الاحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها القبيح عن قصد وهي صفة تدعو الى التمسك بمكارك الاخلاق^(١٧١)، ويستشهد السيد الآملي بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾^(١٧٢)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف

المروءة " المروءة والله أن يضع الرجل خوانه بفناء داره، والمروءة مروءتان: مروءة في الحضر، ومروءة في السفر، فأما التي في الحضر تلاوة القرآن، ولزوم المساجد، والمشي مع الإخوان في الحوائج، والنعمة تُرى على الخادم أنها تسر الصديق، وتكبت العدو، وأما التي في السفر، فكثرة زاد وطيبه وبذله لمن كان معك، وكرهك أن يظلمهم وأمرهم بعد مفارقتك إياهم وكثرة المزاح في غير ما يُسخط الله عز وجل" (١٧٣)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام " المروءة اسم جامع لسائر الفضائل والمحاسن" (١٧٤)، والاحاديث المروية عن آل البيت عليهم السلام في المروءة كثيرة لم نذكرها رعاية للاختصار، فهي تدل على علو الهمة وشرف النفس، فمن عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته .

الخاتمة

١- سلط الباحثان الضوء على عناية السيد الآملي بالبحث الأخلاقي، والتعايش السلمي بين الافراد عناية كبيرة، في ضوء تقسيماته الرئيسية والفرعية التي تناولها في تفسيره المحيط الأعظم والبحر الخضم.

٢- يتضح أن السيد الآملي اعتد بالقرآن الكريم، وهو الأصل الأول عنده، فقد أورد الآيات المباركة في استشاداته في تقبل الآخر، ويليهِ الحديث الشريف، وروايات أهل البيت (عليهم السلام).

٣- اتضح أن السيد الآملي قد عمد إلى تقسيمات جديدة لمباحث الأخلاق، والتعايش السلمي، فقسمها إلى صفات رئيسية محددة تنبثق من كل صفة رئيسية صفات فرعية تنبع منها.

٤- انفرد الباحثان برسم مخطط توضيحي فصلا فيه كل صفة من الصفات الرئيسية والصفات الفرعية، وهذا المخطط يختصر للقارئ الكريم مضامين البحث.

٥- وقف الباحثان على كل صفة من الصفات التي ذكرها السيد الآملي وعرضاها بالاستشهاد القرآني، وبالحديث الشريف، وروايات أهل البيت (عليهم السلام)، فضلاً عن بيان تحليل مختصر لكل صفة يُستخلص منه زبدة المراد.

ملخص

يسعى هذا البحث إلى بيان آلية التعايش السلمي والتكامل الاخلاقي عند السيد الاملي في ضوء تقسيمات جديدة وفريدة لصفات أخلاقية، وقد سلط الباحثان الضوء على الصفات الأخلاقية الصادرة من ضبط القوى الشهوية والغضبية وهي: العفة والشجاعة والسخاء في منظوره، بغية الوصول إلى الكمال الانساني في ظل نظرية القرآن الكريم ومنهج أهل البيت (عليهم السلام)؛ ولهذا أراد الباحثان بيان الأثر الأخلاقي في المجتمع، والإفادة من نظرياته في عصرنا الحاضر، فهي جديرة بالبحث والدراسة، وقسم البحث على ثلاث صفات رئيسة تنبثق من كل واحدة منها صفات فرعية، ومن هذه الصفات الرئيسة: الشجاعة وتتضمن اثنتا عشرة صفة، العفة وتتضمن اثنتا عشرة صفة، والسخاء ويتضمن سبع صفات، وبهذا أصبح مجموع الصفات مع الرئيسية (إحدى وثلاثون) صفة، أما الخاتمة فقد سلطنا الضوء على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الهوامش:

(١) الاخلاق والآداب الاسلامية ، عبد الله الهاشمي : ٣٧٣.

(٢) غرر الحكم: ١٦٦٢، ٥٧٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١١٥.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢٢٩.

(٥) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥

(٦) سورة النساء : ٧٧

(٧) نهج البلاغة : الحكمة ٤٤٩.

(٨) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥

(٩) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة: ٢٩١.

(١٠) سورة الشعراء : ٤٩-٥٠

(١١) سورة طه : ٧٢

(١٢) السلسلة الصحيحة، الألباني : ٤ / ١٦٨ ، تلخيص المشابه في الرسم، البغدادي: ٨/١، وتعني

السفاسف: ما يدخل فيها وما لا يدخل فيها.

(١٣) شرح دعاء كميل لأمر المؤمنين عليه السلام: ١٧.

- (١٤) غرر الحكم: ٤٤٧.
- (١٥) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- (١٦) سورة آل عمران: ١٤٦
- (١٧) سورة البقرة: ١٥٥.
- (١٨) أخرجه أحمد: ١/١٨٥.
- (١٩) غرر الحكم: ٢٨٢.
- (٢٠) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- (٢١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦
- (٢٢) غرر الحكم: ٨٨٤٠.
- (٢٣) محمد- ميزان الحكمة ، الريشهري- دار الحديث ، الطبعة الأولى- الحديث ١١٥٨٠.
- (٢٤) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٦.
- (٢٥) سورة الفرقان: ٦٣.
- (٢٦) سورة المؤمنون: ٩٦
- (٢٧) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ٥/٢٢٦٧.
- (٢٨) الخصال: ٥.
- (٢٩) غرر الحكم: ١١٨٥.
- (٣٠) غرر الحكم: ٣١٩٤، ٨٦٢٠.
- (٣١) مشكاة الانوار: ٢١٧
- (٣٢) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٦
- (٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٨٨) ، ومسلم في صحيحه (٦٩٥١).
- (٣٤) ميزان الحكمة: ٤٥/٦.
- (٣٥) اخلاق الامام علي (عليه السلام) ، محمد صادق السيد محمد رضا الخراسان : ٢١٨
- (٣٦) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٧.
- (٣٧) سورة آل عمران: ١٣٤.
- (٣٨) سورة الشورى: ٤٠.
- (٣٩) سورة الزخرف: ٨٩.
- (٤٠) سنن الترمذي: ٢٠٠٧.
- (٤١) ينابيع الحكمة: ٤/٥٠٣.

- (٤٢) تفسير الألوسي (٢١٨/٣).
- (٤٣) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٦
- (٤٤) سورة الشعراء: ٢١٥
- (٤٥) سورة الفرقان: ٦٣.
- (٤٦) صحيح مسلم، باب استحباب العفو والتواضع: ٢٠٠١ .
- (٤٧) التحف : ١٧١.
- (٤٨) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي :ص ٢٦٨
- (٤٩) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٧
- (٥٠) المعجم الوسيط: ٤٩٨.
- (٥١) كتاب العين: ٤٠٥/٣ ، ولسان العرب: ٣٢٨/١٢.
- (٥٢) سورة المؤمنون: ٦١
- (٥٣) سورة القصص: ٢٣-٢٤.
- (٥٤) المحرر الوجيز: ٤/ ٢٨٣.
- (٥٥) التفسير الواضح: للحجازي محمد محمود: ٨٢٥/٢.
- (٥٦) فتح الباري: ١٠ / ٤٥٧.
- (٥٧) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٦/ ١٠٠.
- (٥٨) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٧
- (٥٩) سورة العنكبوت: ٦٩
- (٦٠) سورة الانشقاق: ٦
- (٦١) تفسير الطبري: ٣١٣.
- (٦٢) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٧.
- (٦٣) الإحياء، الغزالي: ٣ / ٣١.
- (٦٤) سورة الحجرات: ١٢.
- (٦٥) كشف الخفاء، العجلوني: ١ / ٥١٣ برقم ١٣٦٧.
- (٦٦) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٧.
- (٦٧) مسند أحمد: ٦/ ٥٦.
- (٦٨) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
- (٦٩) بحار الأنوار، المجلسي: ١٦٤/٧٥، باب وصايا الباقر عليه السلام.

- (٧٠) سورة الزمر: ٢٢
- (٧١) الاخلاق الاسلامية وأهميتها للحياة الانسانية، احمد الخاني : ١٣٢
- (٧٢) شرح معلقة عنتر بن شداد للزوزني: ٣٥٤.
- (٧٣) صحيح البخاري: ٤٦٣٦، ومسند أحمد: ١٢/٣.
- (٧٤) الاخلاق الاسلامية وأهميتها للحياة الانسانية، احمد الخاني : ١٣٢
- (٧٥) سورة البقرة : ٢٧٣
- (٧٦) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٧
- (٧٧) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٢٤/١.
- (٧٨) نهج البلاغة: الحكم ، الحكمة ٢٢.
- (٧٩) جامع السعادات ، محمد مهدي النراقي : ١٩٥
- (٨٠) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٨
- (٨١) النحل: ٩٦
- (٨٢) الصبر والثواب عليه لأبي الدنيا: ٢٤.
- (٨٣) نهج البلاغة: الحكم، الحكمة ٥٢.
- (٨٤) سورة فصلت: ٣٥
- (٨٥) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٨
- (٨٦) سورة طه: ١٣١
- (٨٧) مستدرك الوسائل: ١٢ / ١١٣ / ١٣٦٦٦.
- (٨٨) غرر الحكم: ٢٤٤٠.
- (٨٩) غرر الحكم، باب العقل: ٤٩.
- (٩٠) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٨
- (٩١) أخرجه البخاري: ١٤٧١، مسند أحمد: ١٦٤/١.
- (٩٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٢.
- (٩٣) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٩
- (٩٤) المجمع، للهشمي: ٢٥٩/١٠
- (٩٥) رواه البخاري - كتاب الرقاق رقم ٥٩٦٥.
- (٩٦) مسند أحمد: ٣١٠/٢.
- (٩٧) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٥٤/١٩.

- (٩٨) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٩
- (٩٩) السنن الكبرى، البيهقي: ١٠٤ / ١٠.
- (١٠٠) صحيح وضعيف الجامع الصغير: ٢٥ / ٢٨٨.
- (١٠١) سورة الإسراء: ٥٣.
- (١٠٢) صحيح مسلم: ٢٥.
- (١٠٣) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٩.
- (١٠٤) سورة سبأ: ٢٤.
- (١٠٥) نهج البلاغة: ٧٧٠.
- (١٠٦) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٩
- (١٠٧) سورة طه: ٤٤
- (١٠٨) سورة آل عمران: ١٥٩
- (١٠٩) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٢٠٠٣/٤)، رقم: (٢٥٩٢).
- (١١٠) صحيح البخاري - استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم: ٦٥٢٨.
- (١١١) تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٩
- (١١٢) السلسلة الصحيحة : ٤ / ٥٧٦، الأوسط، الطبراني: ٧٢٤٥.
- (١١٣) الوافي: ٥ / ٢٩٥، الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير: ٢ / ٢٢٣.
- (١١٤) نهج البلاغة: الحكمة: ٢٢١.
- (١١٥) رواه الترميذي: ٤ / ٢٧٩.
- (١١٦) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥٠
- (١١٧) التعليم والتربية في الاسلام، مرتضى المطهري : ١٠٢
- (١١٨) سورة المؤمنون: ٢
- (١١٩) سورة الروم: ٤٤
- (١٢٠) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧١ و ٤، والخطبة ١٧٦.
- (١٢١) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥٠
- (١٢٢) نهج البلاغة: الحكمة: ٣٣.
- (١٢٣) سورة العنكبوت: ٥٨.
- (١٢٤) سورة النساء: ٩٥.
- (١٢٥) الكبير، للطبراني: ١٨ / ٨٠٢.

- (١٢٦) سورة المائدة: ٤٥.
- (١٢٧) سورة الأنعام: ١٥١.
- (١٢٨) بحار الأنوار، ٧٢ / ٢٠١.
- (١٢٩) سورة البقرة: ٢٤٢.
- (١٣٠) سورة العنكبوت: ٤٣.
- (١٣١) سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١ / ٥٤٦.
- (١٣٢) بحار الأنوار: ٧٥ / ١٦٥.
- (١٣٣) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥٠
- (١٣٤) سورة الاسراء : ٢٩
- (١٣٥) سورة البقرة: ٢٦١.
- (١٣٦) سورة البقرة: ١٩٥.
- (١٣٧) رواه الترمذي: ١٩٦١.
- (١٣٨) الأمالي، للصدوق: ٣٢.
- (١٣٩) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥٠
- (١٤٠) سورة النساء: ٣٧.
- (١٤١) بحار الأنوار: ١٨ / ٣٥٦ / ٧١.
- (١٤٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٣ / ٢٥٨.
- (١٤٣) سورة المؤمنون : ١١٦
- (١٤٤) سورة الانفطار : ٦
- (١٤٥) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥١
- (١٤٦) الاخلاق والآداب الاسلامية ، عبد الله الهاشمي : ٣٢٧
- (١٤٧) سورة الحشر: ٩
- (١٤٨) سورة الإنسان: ٨
- (١٤٩) نور الثقلين، الحويزي ٥٢ / ٢٨٥.
- (١٥٠) ميزان الحكمة : ١ / ١٦.
- (١٥١) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥١
- (١٥٢) سورة آل عمران: ١١٤.
- (١٥٣) سورة البقرة: ١٤٨.

(١٥٤) أخرجه أحمد ٣٠٣/٢ (٨٠١٧) ومسلم: ٧٦/١ .

(١٥٥) سورة الانبياء: ٧٣.

(١٥٦) سورة آل عمران: ١٠٤.

(١٥٧) سورة الأنبياء: ٨٩-٩٠.

(١٥٨) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥١

(١٥٩) سورة فاطر: ٨.

(١٦٠) سورة فصلت: ٤٤.

(١٦١) تحف العقول : ١١٥ .

(١٦٢) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥١

(١٦٣) التعريفات، الجرجاني: ١٦٠.

(١٦٤) سورة الأعراف: ١٩٩.

(١٦٥) رواه الترمذي: ٢٤٨٨.

(١٦٦) نهج البلاغة: الحكم، حكمة: ٣٣

(١٦٧) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥١

(١٦٨) سورة البقرة: ٢٨٠

(١٦٩) صحيح الترغيب والترهيب: ٩٠٧.

(١٧٠) تفسير المحيط الاعظم : ٤٥١

(١٧١) الاخلاق والآداب الاسلامية ، عبد الله الهاشمي : ٢٣١

(١٧٢) سورة النور: ٢٢

(١٧٣) معاني الاخبار: ٢٥٨/٨.

(١٧٤) غرر الحكم ص ٢٥٨.

المصادر والمراجع

📖 السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، سنة

النشر: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

📖 إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)

الناشر: دار المعرفة - بيروت، د.ت.

📖 أخلاق الامام علي (عليه السلام)، محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان، دار المرتضى، د.ت.

📖 الاخلاق والآداب الاسلامية، عبد الله الهاشمي، ط٢، مط دار الاثر للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.

📖 الأمالي، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قدم له: الشيخ حسين الاعلمي الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى ٢٠٠٩.

📖 التربية والتعليم في الاسلام، مرتضى المطهري، ترجمة: أحمد القبانجي، دار الهدي للطباعة والنشر، د.ت.

📖 التعلم نظريات وتطبيقات، أنور محمد الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٨٣).

📖 التفسير الواضح: للحجازي محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

📖 الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان، د.ت. ينابيع الحكمة: ٥٠٣ / ٤.

📖 الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة- إيران، د.ت. مشكاة الانوار: ٢١٧.

📖 الذريعة إلى مكارم الشريعة، الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.

📖 السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر؛ المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية؛ سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣.

📖 الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي - يوسف النبهاني، مصطفى البابي الحلبي؛ سنة النشر: ١٣٥١ - ١٩٣٢.

📖 القراءة السريعة ، روبرت زورن ، ترجمة عبد الله مكي، مط دار البيان العربي، بيروت لبنان، ١٩٩١ .

📖 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد؛ حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية، دار ابن حزم، د.ت.

📖 المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية، د.ت.

📖 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية؛ سنة النشر: ٢٠٠٤.

📖 النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الكتاب الاسلامي الطبعة: الاولى ١٣٧٨هـ

📖 الوافي، الفيض الكاشاني الناشر: مكتبة الامام امير المؤمنين عليه السلام - اصفهان الطبعة: الاولى ١٣١٢

📖 بحار الأنوار، العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، د. ت. الاخلاق الاسلامية وأهميتها للحياة الانسانية، احمد الخاني : ١٣٢

📖 تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

📖 تحف العقول، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، د. ت.

📖 تدني مستوى التحصيل والانجاز المدرسي (أسبابه وعلاجه)، لمعان مصطفى الجلالي، ط٢، دار وأئل للنشر والتوزيع، عمان _ الاردن، ٢٠١١.

📖 تعليم التفكير (مع الامثلة التطبيقية والاختبارات التفكيرية)، سيف طارق حسين العيساوي، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٤.

📖 تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة.

📖 تفسير المحيط الأعظم والطود الأشم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، حيدر بن علي بن حيدر الآملي، تحقيق وتقديم وتعليق: محسن الموسوي التبريزي، طهران، وزارة الثقافة، ١٣٧٥ف.

📖 تلخيص المشابه في الرسم، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، المحقق: سكيته الشهابي البغدادي، الناشر: طلاس - دمشق، سنة النشر: ١٩٨٥.

📖 جامع السعادات ، الشيخ المولى محمد مهدي النراقي الناشر: انتشارات اسماعيليان الطبعة: السابعة ١٤٢٨

📖 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

📖 سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني دار النشر: مكتبة المعارف البلد: الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

📖 شرح المعلقات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله؛ المحقق: لجنة التحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، سنة النشر: ١٩٩٣.

- 📖 شرح دعاء كميل لأمر المؤمنين عليه السلام، السيد جعفر بن محمد باقر بن مهدي بحر العلوم، تحقيق: فارس حسون كريم، مكتبة فذك لإحياء التراث، ١٣٧٧هـ .
- 📖 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، دار ابن كثير - دمشق بيروت، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م.
- 📖 صحيح الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري زكي الدين؛ المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، سنة النشر: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- 📖 صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتبية، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦.
- 📖 صحيح وضعيف الجامع الصغير، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي.
- 📖 علم النفس التربوي (المبادئ والتطبيقات)، محمد بني خالد،، وزياد التح، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان _ الأردن، ٢٠١٢.
- 📖 فتح الباري شرح صحيح البخاري (ط. السلفية)؛ المؤلف: علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: محب الدين الخطيب، دار الكتب السلفية، د.ت.
- 📖 فن التفكير، ارنست دمنيه، ترجمة رشدي السيسي، راجعه مصطفى حبيب، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧.
- 📖 كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- 📖 كشف الخفاء ومزيل الإلباس المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ) الناشر: المكتبة العصرية تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندايي الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- 📖 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، المحقق: صفوت السقا - بكري الحياتي، الناشر: مؤسسة الرسالة، د-ت.

📖 لسان العرب، جمال الدين بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر بيروت. (د، ط).

📖 مبادئ علم النفس التربوي، عماد عبد الرحيم الزغول. ط ١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن، ٢٠٠٩.

📖 مبادئ علم النفس التربوي، عماد عبد الرحيم الزغول، دار الكتاب الجامعي - الإمارات، الطبعة: الثانية ٢٠١٢

📖 مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لا حياء التراث، د.ت.

📖 مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

📖 معاني الاخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي عنى بتصحيحه: علي أكبر الغفاري الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.

📖 ميزان الحكمة، محمد الريشهري- دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

📖 نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تصحيح: هاشم الرسولي الناشر: انتشارات اسماعيليان الطبعة: الاولى، د.ت.

📖 نهج البلاغة، الإمام علي بن ابي طالب- جمعه الشريف الرضي، ضبطه الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، د - ت.

📖 عيون الحكم والمواعظ، الشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الواسطي الليثي (من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، الطبعة: الأولى ١٣٧٦هـجري شمسي

📖 مجمع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين؛ المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة.

📖 الاخلاق الاسلامية وأهميتها للحياة الانسانية، احمد الخاني، ط١، مط الردمك، الاردن، ٢٠١٢.

اخلاق الامام علي (عليه السلام)، محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان، دار المرتضى للطباعة والنشر، ط٧، بيروت، ٢٠١٠.

📖 الاربعون حديثا، روح الله الخميني، د.ط، مط دار الكتاب الاسلامي، قم ايران ١٩٩١

📖 جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ط١، مط انتشارات دار تفسير، قم، ايران ١٤١٧هـ.

📖 علم النفس التربوي مفاهيم ومبادئ، عباس نوح سلمان محمد الموسوي، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠١٥.

📖 علم النفس المعرفي نظرية وتطبيق، عدنان يوسف العتوم، ط٣، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠١٠.

📖 غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الامدي التميمي، عني بترتيبه وتصحيحه: العلامة الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى ٢٠٠٢م.

📖 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي؛ المحقق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤١٧ - ١٩٩٦.

📖 النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، ط١، مطبعة شريعت، إصدار مكتبة الإمام الحسن (عليه السلام) العراق - النجف الأشرف، ٢٠٠٦.

التعايش السلمي وأثره في الحوار بين الأديان

أ.د. حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه الميامين. وبعد...

فان للتعايش السلمي اثر كبير في بناء وتقدم المجتمع لان هذا التعايش من شأنه ان يدفع عجلة التقدم نحو الامام من خلال انشغال الناس بالتطوير العلمي وبناء مجتمع خال من مظاهر التخلف او الافساد في الأرض وبذلك يتحقق مصداق ما أراده الدين الإسلامي من اصلاح الأرض واعمارها وبناء فرد سليم يحب اخاه وان اختلف معه في الدين وهذا ما دعا اليه أئمة اهل البيت عليهم السلام اذا "الحوار بين الأديان" هو مخاطبة بين طرفين أو أكثر من أهل الأديان والمؤمنين بها. فكلية "حوار" كلمة عامة تشمل كل ما يقع عليه معنى التجاوب والتراجع والتخاطب، فحوار الأديان من الموضوعات المهمة في الوقت الحاضر، لأن سعته من حيث الأهداف والنتائج متمخضة من القضايا الدينية التي تختلف فيها الأديان، كالقضايا العقائدية وتأتي بالمرتبة الأولى ، والقضايا السياسية ، وقضايا الواقع المعاش وعلاقات الشعوب ببعضها وحرية التعبير ، ومن هذه القضايا نتجت قضايا مشتركة كمحاربة الإرهاب والاحتلال العسكري، أو إدانة التطاول على الديانات والرسول والأنبياء والمسائل المقدسة . كما قد يأتي حوار الأديان لمناقشة قضايا تطرح نفسها في الوقت الحاضر.

وهو مرتبط بالظروف بحيث يؤثر ويتأثر بها بشكل مباشر بشكل لا ينفصل عنها سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية، لذا فرض الحوار اهتماماً بهذا الموضوع، فقد شغل البشرية على اختلاف انتماءاتهم الدينية، ونتيجة لذلك كثرت المبادرات الداعية إلى طرحه . أما من حيث المتحاورين فقد يكون المتحاورون رجال

دين يمثلون الأديان المتحاوره ، وقد يكونون أكاديميين ، وقد يكونون ناشطين في المجال الإنساني ، وقد يكونون خليطاً من كل هؤلاء .

وقد يأتي حوار الأديان مقصوراً على ديارتين سماويتين كالإسلام والنصرانية ، أو ثلاث ديانات سماوية ، أو أكثر من ذلك بإدخال بعض الأديان الموضوعه .

كما قد يقتصر حوار الأديان على إقليم معين أو بلد معين أو يكون دولياً عاماً . والمعني بهذا الموضوع ، يجد أنه قد يكون مفيد في هذا العصر بل قد تشتد الحاجة إليها إلى درجة الوجوب ، بعد أن طغت الآلة على الإنسان مؤخرًا ، لذا فهو في حالة استعداد دائم للاندماج في الثقافات الأخرى .

حوار الأديان يعد النموذج الأمثل في العلاقات الإنسانية وهي دعوة السماء ، حيث كان المحور للرسالات والرسول هو الإنسان . فالجدية تتمثل في حاجة الشعوب حتى تتجنب البشرية مخاطر تطورها في الوسائل ، وهو الذي يوجد الأمان بين أهل الأديان ، وهذا يحتاج إلى قيم دينية راقية غنية في الإرشاد ، كفيلة بأن توجه أهل الأديان ممن يمتلك الوسائل إلى من يصنع السلام لأنها تتعد عن الاستغلال وحب السيطرة .

الحوار بين أهل الأديان مسؤولية الإنسان الذي فهم الدين فهمًا خاطئاً ولم يكن الدين سبباً في حصولها؛ لأن الكتب السماوية جاءت بقيم ومبادئ ترفض الصراعات بين أفراد المجتمع البشري أو هو مسؤولية الإنسان الذي استغل الدين المقدس لغاياته غير الشرعية فحواله إلى وسيلة للسيطرة على الآخرين ومقدراتهم ، فالدين بكل رسالاته السماوية كان ضحية الصراعات السياسية والعسكرية ، فلا بد في البحث عن القواسم المشتركة التي نادت بها النصوص الدينية في الكتب السماوية والتي أكدتها الرسالات السماوية والتي تدور حول هدف واحد ألا وهو الإنسان ، ويجب أن تكون من مصدر واحد وهو الله تعالى ، فكانت رسالات متكاملة لا تناقض ولا اختلاف فيها . وهناك ملاحظة جديرة بالطرح وهو لا يمكن فهم الأديان بمعزل عن النصوص الدينية ، جاءت هذه النصوص تؤكد على أن الدين وسيلة جمع بين البشر وليس من وسائل التفريق ، وإنما الاختلاف هو في المنهج ، قال تعالى: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء

الله لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿١﴾، نص الآية صريح لا يقبل التأويل فالاختلاف هو في الشرعة والمنهاج، فالآية نصت على صنع الخيرات للمجتمع البشري، وأما الاختلاف الشكلي فسيخبركم الله به لأن مرجعكم إلى الله. ليس من المهم كيف نعبد الله إن المهم هو أننا نعبد الله وهو القاسم المشترك الذي يجب أن نجتمع على عبادته وطاعته. فالبعد الأول للإيمان بالله وهو علاقة الإنسان بربه لا يتأثر بشكل العلاقة ولكن لا بد من انعكاسه إيجاباً في علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان وهذا يشكل البعد لعملية الإيمان والاعتقاد. فالتأكيد على ما هو عمل الآخر وكيف يعمل؟ وكيف يكون التعامل مع الآخر وليس سؤال ماذا يعتقد وماذا يعبد؟ لأن الدين في جانبه الآخر هو المعاملة. فعلى ذلك أصبح الحوار بين الأديان مرتكزاً على قبول الآخر كما هو وليس الحوار عملاً تبشيراً يهدف إلى إقناع الآخر بتخليه عن دينه ومعتقداته بل يجب أن يكون الهدف من عملية الحوار أن يفهم بعضنا البعض الآخر ليتحقق التعامل بين شعوبنا بشكل سليم نابع من احترام الآخر وحقه في اختيار البقاء على معتقداته وبذلك نؤسس لأخوة بشرية قائمة على التبادل والتعدد من دون التفكير بمنطق إلغاء الآخر أو السيطرة عليه ، بل بمنطق الاحتواء. لهذا دعت طبيعة الموضوع أن يقسم على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحوار، مفهوم الدين ، مراحل الحوار ، التطور الفكري، للحوار أنواع الحوار

المبحث الثاني: آداب الحوار، شروط الحوار، ضرورة الحوار ، الدليل الشرعي في الحوار بين الأديان .

المبحث الثالث: المنهج في الحوار، عقيدة الإيمان أصل الحوار ، حوار الأديان بين الواقع والتنظير، الحوار والاتجاه المعاكس.

المبحث الرابع: الحوار المتمدن، دراسة تحليلية للحوار الشرعي .

واخيراً جاءت خاتمة البحث، لتلخص أهم نتائج البحث .

المبحث الأول

مفهوم الحوار

الحوار لغةً: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء .. والمحاورة: المجاورة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة ^(١)، و "المحاورة والحوار: المرادة في الكلام، ومنه التحاور" ^(٢).

وردت في القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً﴾ ^(٣)، "أي يراجع في الكلام ويجاوبه" ^(٤)، وقال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ ^(٥)، أي: "تراجعكما" أي في الكلام. ^(٦)

إذن الحوار هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر فمرجع الحوار للتخاطب والكلام المتبادل بين اثنين فأكثر. ^(٧) اصطلاحاً: هي تجاذب الكلام بين المختلفين، بضوابط أخلاقية ينبغي توفرها في الحوار ليكون ذو فائدة. فالمناقشة (بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي). ^(٨) أو أنه: مناقشة بين متحاورين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر. ^(٩)

فالحوار لا يختلف عن الجدل لأن الجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها.. وجادلته أي: غلبته. ^(١٠) وهو: "الجدل مقابلة الحجة بالحجة، وهي المناظرة والمخاصمة" ^(١١)، والغرض منه إلزام الخصم، وهكذا فالجدال صورة من صور الحوار، وقد أمر بها الله ورسوله تجنباً للخصومة بالتي هي أحسن، حتى لا يفضي الجدل إلى الشقاق. أما المناظرة فهي تفيد النظر والتفكير في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين. وحوار المناظرة يكون بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين، بغية

الوصول إلى تبيان الحق وكشف الباطل، مع توفر الرغبة الصادقة في ظهور الحق والانصياع له .

إذن؛ الحوار هو أحد المميزات الاجتماعية الأساسية للوجود الإنساني كحوار الأخلاق، حوار التربية، حوار العلاقة مع الآخر، حوار التبادل الثقافي وتستخدم كلمة الحوار في الغالب للكلام عن التبادل بين أشخاص أو مجموعات لها مقارباتها المختلفة للواقع، أو مواقفها المختلفة، إن لم يكن المتناقضة، من الحياة، أو مشاريعها المختلفة في ما يخص قيادة المجتمع.

مفهوم الدين

الدين لغةً : هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع . ولزوم الانقياد، باعتبار أن: (كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، ويكون خاضعاً له، فإذا وصف الطرف الأول، كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني، كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين، كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة)^(١٢).

الدين اصطلاحاً: هو استعمال اللفظ عند أهل كل علم بحيث لا يحتاج حين التخاطب مع أهل مصطلحه إلى قرينة، لا معينة ولا صارفة^(١٣). فلهذا كثرت تعاريفه مابين: (السنة والطريقة العامة لجميع الأمم)^(١٤).

أو(تنزيل سماوي من قبل الله سبحانه وتعالى على رسول من رسله، أو نبي من أنبيائه)^(١٥).

أو هي: (أحكام اعتقادية وعملية، تهتدي إليها الفطرة الإنسانية، أو يبلغها الرسول محمد ﷺ عن الله تعالى إلى المكلفين، من أجل كمالهم في تطبيقها)^(١٦).

وتتألف من ثلاثة دعائم العقائد، والأخلاق، والفقه، لا يمكن الفصل بينها، وأي محاولة للفصل ستنتهي إلى خلل عميق في فهم الدين^(١٧)

الشرع لغة: النهج والطريق الواضح ، وأستُعير ذلك للطريقة الإلهية^(١٨)؛ قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١٩) (الشريعة والشرع والمشرعة : المواضع التي

تَنَحَّدِرُ إِلَى الْمَاءِ مِنْهَا، وَالشَّرْعَةُ وَالشَّرِيعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَشْرَعَةُ الْمَاءِ^(٢٠) أَوْ: (مَا سَنَّ اللَّهُ مِنَ الدِّينِ وَأَمْرٌ بِهِ)^(٢١)، ثُمَّ قَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾^(٢٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾^(٢٣) إِذَنْ: الشَّرْعَةُ هِيَ الدِّينُ، وَالْمَنْهَاجُ الطَّرِيقُ.

الشريعة اصطلاحاً وهو: (معناها الحقيقي عند أهل الديانة الإسلامية، وليس مطلقاً ما اصطَلَحُوا عليه من مناهج خاصة في شتى الميادين، ولا مطلق المنهج السماوية؛ وإلا فيمكن القول بأن مصطلح الشريعة له من المصاديق ما يتعذر عدّها، وفيه من التداخل بينها وبين المعنى اللغوي من جهة، وبينها أنفسها، ما يصعب فك اشتباكه)^(٢٤). فاطلاقها هي: (الطريقة الممهدة لأمة من الأمم، أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها)^(٢٥). وهذا مشترك بين أهل الديانات السماوية، في أنّ لديهم منهجاً سماوياً وشريعة، لكن كلمة الشريعة إذا أُطلقت في العرف الفقهي الإسلامي إنما يتبادر منها المنهج السماوي الذي جاء به محمد ﷺ، دون غيره من الأنبياء، وهو المقصود.

إِذَنْ: هِيَ بِالْخُصُوصِ: (المنهج الربّاني الذي أوحى الله به إلى رسوله محمد؛ ليضبط علاقة الناس بالله وعلاقتهم بعضهم ببعض)^(٢٦).

فـ(مجموعة الأحكام الإلهية الفرعية القطعية، الموحاة إلى الرسول محمد ﷺ؛ لتبليغها إلى المكلفين بها)^(٢٧).

وهذا فرق بين ما خرج (عن إطار هذا التعريف، كالأحكام الظنيّة فهو ما فهم من أحكام الشريعة، ويمكن تسميته بـ: (فقه الشريعة) وليس الشريعة بذاتها، فضلاً عن مؤدّى الأصول العملية الشرعيّة منها، بل فضلاً عن العقلية إن صح لنا تسميتها أحكاماً)^(٢٨). الفقه لغة: هو الفهم^(٢٩)، هذا هو الأصل، ثم خصّ به علم الشريعة، والعالم به فقيه^(٣٠). وغلب الفقه على علم الدين لشرفه^(٣١). وهو: (التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، وهو أخص من العلم)، وقد ورد إستعمال كلمة الفقه في القرآن، وفسرت بذلك المعنى اللغوي وهو (الفهم)، كقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٣٢) وَ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾^(٣٣).

الفقه اصطلاحاً : وهو (العلم بكل ما جاء من قبل الله سبحانه وتعالى في الدين، سواء ما يتعلق بأصول الدين، أو الأخلاق، أو أفعال الجوارح، أو معرفة النفس، أو القرآن وعلومه)^(٣٤). ثم تخصص المصطلح فجعل علماً مستقلاً ؛ ليختص الفقه الاصطلاحي بعلم خاص^(٣٥).

فالفروق بين الدين والشريعة والفقه في العرف الإسلامي هو أن الاعتقادات التي لا تحتاج للجعل والتشريع، بل لو شرع مشرع بخلافها، لكان تشريعه باطلاً، ومع أنها أحكام دينية، ولكنها ليست شرعية، وبهذا يكون مفهوم الدين أعم من مفهوم الشرع. أو هي التي يهتدي إليها الإنسان بفطرته من دون حاجة إلى جعل جاعل، مثل الاعتقاد بوجود خالق، وبإلهيته، وعبودية المخلوق، وباعتباره موجوداً له، وكذلك الاعتقاد بصفاته الكمالية، والجلالية. فالشريعة لوحظ بها جهة الصدور، والدين لوحظ به الانقياد والطاعة والامثال.

لذا فالدين بمعناه العام، منه ما يستحيل فيه التغيير؛ باعتباره حقيقة خارجية غير خاضعة لجعل جاعل، أو وضع واضح، فالتوحيد مثلاً لا يمكن أن نتوقع معه في الخارج ما ينافيه كأن يكون لله شريك.

الفرق بين الشريعة والفقه:

الفقه هو الفهم البشري لأحكام الشرع، من خلال نصوص الشريعة وأدلتها. فهو خاضع للتغيير وفق تجدد الرؤى والمستجدات العصرية، زمانية ومكانية، فضلاً عن تغير ملاكات الأحكام التي يمكن للفقيه معرفتها.

أما الشريعة: فتحمل البعد الثابت في كليّاتها ومقاصدها، وهي قابلة للتغيير أيضاً، باختلاف الأحوال، والظروف التي بموجبها يحصل الملاك، ويتغير الحكم بتغيره، كما هو حال النسخ. والفقه فرع للشريعة وهو فهم الشريعة. والفقه هو علم غير المعصوم عليه السلام بالحكم الإلهي الفرعي، أما نفس الحكم الإلهي الفرعي فهو الشريعة.

فهناك أحكام قطعية هي القدر المتيقن لما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، ما يصدر من الفقيه، فهو المضمون بأنه حكم الله ومراده، وأما ما لا يختلف فيه أحد مثل كون الصوم واجباً،

وإن الصلاة محدّدة بفرائض معينة إجمالاً ، فهذا صادر من الفقيه لا من جهة الاستنباط قدر ما هو من مسلمات الدين التي يمكن لغيره أن يدركها ويشارك الفقيه في ذلك الإدراك؛ لأنّ من أحكام الشريعة قد صار من ضروريات الدين ، ويدعى هذا النمط من الأحكام بالضرورات الدينية، وهي التي لا تتوقف معرفتها على اجتهاد واستنباط كالبديهيات في المعارف الأولية ، بل هي من البديهيات الدينية .

ويتصف الفقه بالقصور تبعاً لقصور وإدراك الناظر بالأدلة واستنباطه منها، أمّا الشريعة فهي كاملة ومصانة من القصور والنقص وما إلى ذلك من أوصاف الوهن والنقصان ؛ لصواب العلم الإلهي بالمصالح والملاكات المقتضية للحكم، وكذا ما يلقيه المشرع المقدّس على المعصوم عليه السلام من نبي ، أو وصي، كما أنّ علم المعصوم عليه السلام بالأحكام الشرعية الواصلة إليه من المشرع هو الآخر يوصف بالصواب ، وإلا لانتفت العصمة، ولا يسمى هؤلاء بالفقهاء اصطلاحاً .

مراحل الحوار

بدأ النزول مدرجاً حسب الوقائع فمن الآيات ما حثت على جدال المشركين بالتي هي أحسن، وتأمّر المسلمين بحسن دعوتهم، كما هو وارد في كتاب الله، ثم جاءت آيات أخر تدعو إلى قتالهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦) ، حيث جعلت الآية شرعة الجهاد وسيلة الدعوة للكفار.

وهذه الآية نسخت كل تقارب فإن بعض المفسرين من يقول إن آيات المجادلة والمحااجة للكفار منسوخات بآية السيف لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا فيه بحث فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ، كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام، والقول بنسخ آيات الجدال يعارضه قول طائفة من العلماء من التابعين وغيرهم، يرون آيات الجدال محكمة، ومنه قول مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ قال : "هي محكمة، فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن. وهذا لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة، فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما، وإذا لم يتنافيا، بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ، ومعلوم أن كلا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالهما جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق". (٣٨)

ثم نحن نتأسى بسنة الرسول الأكرم ومحاكمته للمشركين قبل نزول آية السيف وبعدها " وإذا كان النبي ﷺ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله، ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغ رسالات الله وإقامة الحجة عليه (٣٩)، وأيضاً فإن آيات الجدال محكمة، بل يعتبرها نوعاً من الجهاد المأمور به: "وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره، فإنه إذا شرع جهادهم باليد، فباللسان أولى، وقد قال ﷺ : ((جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم))..". (٤٠)، وعليه سار أصحابه من بعده، وقد أمره سبحانه بمجادلهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية.. وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة". (٤١).

لأن؛ النسخ دعوى لرفع وجوب العمل في بعض أمر الله، ولا يصار إلى مثل هذا إلا بدليل معتبر يكافئه. ومثل هذا الدليل لم نجده عند أولئك الذين ادعوا نسخ آيات الجدال بالجلاد، بل هم محجوجون بفعل الصحابة ثم إطباق العلماء على إحكام هذه النصوص وعدم رفع أحكامها.

التطور الفكري للحوار

منذ سطع نور الإسلام على الدنيا أدرك المسلمون طبيعة دينهم وعالمية رسالته، فقاموا يدعون الناس إلى هديه، فبدأ الحوار بين المسلمين ومشركي قريش، وسجل القرآن في آياته الكثير من هذه الحوارات، وتولى فيها الرد على المشركين.

وكان من أهم مناسبات الحوار هجرة أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة، وحوارهم مع النجاشي حول قول المسلمين في المسيح وأمه عليهما السلام.

وحين انتقل النبي ﷺ إلى المدينة بدأ الحوار مع أهل الكتاب من قطن المدينة المنورة، وقد نقل القرآن الكثير من الحوارات التي طلب من النبي ﷺ أن يجريها مع أهل الكتاب، والكثير منها كان يبدأ بقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب﴾ (النساء: ١٧١، المائدة: ١٥، ١٩، ٥٩، ٦٨، ٧٧)، كما كانت مراسلة النبي ﷺ ملوك الأرض يدعوهم للإسلام^(٤٢)، كما جرت على مد التاريخ حوارات جرت في قصور السلاطين من المسلمين وغيرهم، وبعيداً عن قصور الأمراء تحاور العلماء المسلمون مع غيرهم^(٤٣)

ولم تنقطع الحوارات والكتب المتبادلة بين المسلمين وغيرهم، وإن خفت بريقها مع تراجع الحركة العلمية عند المسلمين.

ومع بداية الحركة الاستعمارية الغربية تجدد الحوار بين المسلمين ومستعمرهم، ولعل من أبرز ما يذكر في هذا الصدد الحوار الذي جرى بين العلامة رحمة الله الهندي والقس كئي ومساعد القس فرنج، ثم جرت المناظرة الكبرى بينه وبين القس فندر في شهر رجب من عام ١٢٧٠هـ رداً على النشاط التنصيري في الهند.

وفي القرن الميلادي العشرين نشط الحوار بين الأديان، حيث بدأت فكرة حوار الأديان في الظهور على الساحة العالمية في القرن الماضي وتحديدًا في عام ١٩٣٢م كانت فرنسا أول من نادى بها، عندما قامت بإرسال ممثلين إلى علماء الأزهر للتحاور معهم حول إمكانية توحيد الديانات الثلاث، الإسلام والنصرانية واليهودية. فالتطور الفكري لحوار الأديان ومع مرور الأعوام؛ تطورت فكرة حوار الأديان، تم انعقاد الكثير من المؤتمرات العالمية، إلى جانب الندوات المحلية، والحوارات التي جرت بين رجال الدين، والتي تبنت الفكرة في حيز التنفيذ إلا أن الصورة لم تظل على حالها، وتباينت أهداف و منطلقات حوار الأديان.

ونشطت الدعوة إلى حوار الأديان إثر انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني ١٩٦٥م والذي دعا لاستئناف الحوار مع الأديان، وأنشأ مؤسسات خاصة بذلك داخل الفاتيكان تولت

الدعوة لعدد من المؤتمرات واللقاءات بين القيادات الدينية في العالم، ثم توالى الحوارات والدعوات من مختلف المؤسسات والمنظمات والدول الإسلامية وغيرها. والمتأمل في هذه القراءة التاريخية السريعة في تاريخ الحوار؛ لن تخطئ عينه رؤية ما قدمه الإسلام من نماذج حوارية فريدة منذ بعث النبي ﷺ، نماذج لم تتوقف في تاريخنا الطويل، وهي تدعونا لاستئناف الحوار الحضاري وتنشيطه من جديد، وأخذ زمام المبادرة إليه، استجابة لأمر الله تعالى، وتأسياً وإتباعاً لنهج نبينا ﷺ.

أنواع الحوار بين الأديان

الحوارات متعددة بين الأديان وأنها على أنواع مختلفة، ولكل نوع خصائصه المحددة له والمميزة له عن غيره، مع أن جميع الأنواع يصح إطلاق اسم "الحوار بين الأديان" عليها. الحوار في أمور دنيوية بحتة، وهذا ما يسمى بالمفاوضات وهي خاضعة للسياسة الشرعية ضمن إطار أحكام الإسلام في الصلح والمعاهدة وما يتعلق بذلك من التعامل الدنيوي الذي ليس له ارتباط بالأديان والعقائد والمفاهيم، وبناء على ذلك فليس هناك مبرر في إضافة هذا النوع إلى الأديان، وقد يطلق على هذا اسم التعايش وقد يراد بالتعايش التقارب الفكري المباشر والتفاهم الديني بالتنازل عن شيء من أحكام الدين لما يظن فيه أنه من المصلحة. وبيان ذلك هو أنه تم تنزيل مقام المفاوضات السياسية في منزلة الحوار الديني وأصبحت مؤتمرات الحوار تناقش قضايا دنيوية سياسية مع الإغفال التام والمقصود للقضايا الدينية، ومع ذلك تضاف هذه الحوارات إلى الأديان على اعتبار نوعية الحضور والشخصيات المشاركة وليس على اعتبار القضايا المطروحة للحوار، وحينئذ أصبحت الصورة هي شخصيات دينية (علماء وغيرهم) يناقشون قضايا سياسية ثم تسمى (حوار بين الأديان). (٤٤).

الحوار في الأمور الدينية وهذا ما يؤديه إضافة الحوار إلى الأديان فيكون الحوار إذن في الأمور الدينية وحول مفاهيم العقائد والقضايا الدينية محل الاختلاف مثل التوحيد والإيمان والبعث ونحو ذلك. فكل ذلك ظهر على الساحة الفكرية الحوارية على صور وهي:

حوار التقارب وهو الحوار في الأمور الدينية:

والمقصود به في المفهوم الإسلامي: الحوار مع أتباع الأديان الأخرى لبيان صحة هذا الدين، وانه ناسخ لكل الأديان السابقة، وإيضاح صحة نبوة محمد ﷺ. ومحاسن الإسلام العظيمة، وبيان ما هم عليه من الباطل المنحرف. وهذا الحوار مطلوب شرعا. تدل عليه كل الآيات والأحاديث الدالة على فضيلة الدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الباطل^(٤٥). أما مقصوده الإنساني: القول بحرية الدين وإنكار حد الردة في الإسلام باعتباره معارضاً لحرية اختيار الإنسان للدين الذي يقتنع به، منع كل ألوان الاعتداء على الآخر وإنكار الحرب باسم الدين وتفسير الجهاد في الإسلام بأنه للدفاع عن النفس وإنكار جهاد الطلب. منع الكراهة الدينية و الدعوة للإخاء الإنساني.

المطالبة بالحرية الدينية للأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية والتعامل معهم على أساس الوحدة الوطنية وليس على أساس المعتقد الديني، واقتراح الغرب الحل العلماني كأفضل حل لمشكلة الأقليات وان كان هذا لا يراه كل من يرى الحوار بهذا المفهوم. الإقرار بالأديان السماوية جميعاً وتفسير هيمنة الإسلام عليها بأنه (مراقب) عليها فهو يرصد ما تتعرض له الديانات من انحراف عن الحق. والاجتماع على تقوية الصلة بالله في النفوس، خاصة بعد طغيان المادية وتفشي قيمها المسيطرة على الشباب في العالم. البعد عن العنف والإرهاب والتطرف الديني والتكفير والتدخل في خصوصيات الآخر الدينية وأن كل هذا مناف للاحترام الديني الذي يجب أن يكون بديلاً عن كل القيم السابقة^(٤٦).

حوار التبادل والتفاهم او التسامح :

هو: الحوار الذي "يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، وربما تكون أقليات دينية، ويعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجرين، واللاجئين ونحو ذلك"^(٤٧). وهذا التعريف هو لمعنى التعايش بالمفهوم العام الذي يؤخذ من دلالة الكلمة دون ارتباطات بالمفاهيم اللاحقة. يكون في العادة بين الدول التي تمارس الحياة العملية بحكم الاتصال المادي بينها

وهذا المفهوم العام لا يزيد على حسن المعاملة، والعيش بصورة ملائمة بين كافة المجتمعات مع الاختلاف الديني والفكري والثقافي.

والتعايش بهذا المعنى بين اتباع الأديان المختلفة لا يرفضه الإسلام، ويدل عليه معنى البر والإحسان والقسط الوارد في مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٤٨) ويعتمد على مراعاة الولاء والبراء، فلا تلازم بين الإحسان والعيش الكريم والتسامح في المعاملة وبين الموالاة للكفار. أو ترك البراءة منهم، فالولاء والبراء أصل شرعي دلت عليه نصوص شرعية كثيرة.^(٤٩) إقامة العدل، والإنصاف مع كل الناس، فالعدل أساس عظيم في نماء المجتمعات واستقرارها، التزام الحكمة في المعاملة، وهي وضع الأمر في موضعه ومقامه الصحيح الأتق به. الموافق للمنهج الرباني. ولطبيعة النفس الإنسانية.

لقد أصبحت فكرة (التعايش والتسامح) دعوة فكرية تحمل في طياتها مضامين فكرية وثقافية وحضارية واجتماعية. والتعايش والتسامح وهو تقدير التنوع الثقافي وهو الانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى بدافع الإطلاع وعدم رفض ما هو غير معروف". أنه يقتصر على الحوار فيما يتعلق بالمعيشة البحتة بين أهل الأديان التي تفرضها طبيعة الحياة البشرية وحاجاتها الفطرية. أنه لا يتضمن محبة أو ولاء أو اعترافاً بصحة دين الآخر أو تزكية له أو مدحاً بل هو قاصر على الأمور الدنيوية وفي حدود الحاجة.

أن لا يتضمن شيئاً من التنازل عن أمر من أمور الدين بحجة الترغيب لهم في الدخول في الإسلام أو إعطاء صورة حسنة عن الإسلام أو بأي تعليل آخر. هذا النوع من الحوار جائز لا إشكال فيه، وهو خاضع للسياسة الشرعية العملية التي يقدرها أهل الحل والعقد من أهل الخبرة والعلم والدين. وله خصائص بالمفهوم المعاصر^(٥٠):

حوار التقريب :

وهو الاعتقاد بصحة عقائد الأديان الأخرى وعباداتها، وأنها طرق موصلة إلى الله. ^(٥١)، فهو يدعو للوحدة من منطلق إنساني لوحدة أديان الإنسانية ، والعمل على المساواة بين كتاب المسلمين وعباداتهم ومساجدهم مع ما يقابلها عند أصحاب الأديان الأخرى ^(٥٢).

أنه طعن في أصول الإسلام وجذوره الأساسية مثل شهادة ألا إله إلا الله التي تقتضي الكفر بالطاغوت الذي هو من أبرز شروطها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) ^(٥٣). وهذا الحديث يدل على أن قول لا إله إلا الله وحده دون الاعتقاد أو عمل غير عاصم للدم والمال الذي هو علامة على ثبوت الإسلام ولا معرفة معناها مع لفظها ولا الإقرار بذلك بل لا بد من الكفر بما يعبد من دون الله وهو الطاغوت، وكذلك طعن في شهادة أن محمداً رسول الله وقد تقدم.

وتأسيساً على ما سبق : "فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع" ^(٥٤).

بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ ^(٥٥) ويقول تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ ^(٥٦)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ...﴾ ^(٥٧). قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ^(٥٨).

أنه موالاة للكفار ومخالفة لعقيدة الولاء والبراء، أنه مخالفة لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في حوار الأديان، وإتباع لغير سبيل المؤمنين، ومخالف لإجماع المسلمين.. وهو مناقض لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء الإسلام فأصحاب هذا النوع من الحوار يتركون نقاط الاختلاف، ولا سيما مسائل العقائد وهذه مناقضة لمنهج الدعوة النبوية، فدعوة التقريب فيها تنكّب لطريق الأنبياء ومعاكسة له، وهذا من دلائل بطلانه. كما أنه إغراض وترك لبعض الأحكام الشرعية. يقول تعالى: ﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ...﴾^(٥٩)، وهذه الآية صريحة في ثلاثة أمور أثناء الحوار مع أهل الكتاب وهي:

دعوتهم والحكم بينهم بحكم الله، وهذا أعرض عنه دعاة التقريب بالبعد عن نقاط الاختلاف وتنزيل الدين الحق منزلة الدين المحرف بحجة اعتبار الآخر واحترامه. البعد عن مجاملتهم والنزول معهم وإتباع أهوائهم، وهذا أعرض عنه دعاة التقريب في مشاركتهم لهم في أعيادهم وإثبات إيمانهم وتزكيتهم. الحذر من فتنهم عن بعض ما أنزل الله تعالى، وهذا أعرض عنه دعاة التقريب فانزلقوا في مخالفة بعض ما أنزل الله بحجة التقارب والحوار إلغاء أحكام أهل الذمة تحت مسمى "العدالة الاجتماعية" و "حقوق الإنسان". إبطال حد الردة، وتمكين الكفار من الدعوة إلى دينهم وبناء معابدهم، ونشر كتبهم تحت مسمى "حرية الدين" و "التعددية الدينية" و "التعرف على الآخر".

إلغاء الجهاد في سبيل الله وما يتبعه من أحكام مثل استرقاق الأسرى والغنائم تحت مسمى "السلم العالمي"، وفكرة الجهاد من أصلها لا تناسب الحوار بين الأديان بمعنى التقريب المزعوم. وغير ما تقدم من الأحكام الشرعية أعرضوا عنها بسبب الحوار والتقريب^(٦٠).

أنه يتضمن المساواة بين الكافرين والمسلمين، يقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾^(٦١) ويقول تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٦٢)، ودعوة التقريب في أساسها تقرر مبدأ

المساواة الدينية، وهذا رفع لما وضعه الله، وتنزيل لما رفعه الله تعالى. فالتقارب يفترض المساواة بين الأديان وعدم امتلاك الحقيقة المطلقة لأي منها، وهذا شك في الإيمان والإسلام وتوسط بين الأديان وهذا يقتضي ترك الجزم بصحة الحقائق المطلقة في الإسلام ونظرته إلى أهل الأديان الأخرى.

المبحث الثاني :

آداب الحوار

القرآن الكريم أوضح بجلاء ما ينبغي على المسلم أن يتصف به وهو يحاور غير المسلمين، كما أكدت السنة الشريفة ذلك، فالتأمل في آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة أنها أوصت في التوصل إلى آداب الحوار وأخلاقياته.

يفترض الحوار وجود الاحترام والإصغاء وقبول الاختلاف. إن شرط إمكانية قيام حوار هو وجود الاستعداد المسبق عند طرفيه أو أطرافه للقبول باختلاف الآخر واحترامه والإصغاء له. إذا لم يكن هذا الاستعداد متوفراً سرعان ما نجد أنفسنا أمام "حوار غير مجدي يحاول كل طرف فيه أن يحول الآخر إلى موقفه بإقناعه أو إفحامه أو... إلغائه. الحوار الحقيقي لا ينتهي عادة بتغلب أحد أطرافه، بل بخروج الجميع مقتنعين لأنهم صاروا أكثر فهماً لذواتهم وللآخر، مع كل ما يتطلبه ذلك من إعادة نظر في الأحكام المسبقة.

الأمر الأكثر أهمية هو أن الحوار يجعل التقاءنا بالله أمراً ممكناً، فالحوار يضعنا في مواجهة الحقيقة من خلال علاقة محبة، فعندما يُخاطب المرء شخصاً آخر ويُجاوبه بإخلاص، يتحرك كل منهما باتجاه الآخر ويحاول أن يفهمه بشكل أفضل، وهذا النوع من التلاقي بين إنسان وآخر لا يفصلُ عن التلاقي بين الإنسان وخالقه^(٦٣). والآداب في هذا الباب كثيرة، منها:

١- التخلق بأخلاق الإسلام والحض على مكارم الأخلاق لما كان الحوار وسيلة من وسائل الدعوة والتعريف بالإسلام، توجب على الدعاة أن يجتنبوا السوء من القول،

وياخذون الحسن منه ، قال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ ^(٦٤) ، حتى يتوافق مع الدعوة بالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن ^(٦٥).

٢-التصرف الأمثل بالتجاوز عن الإساءة من حسن المعاملة الإعراض ما أمكن عن المنازعة وأسبابها، ولو بالإعراض عن الإجابة. فالإعراض عن الجواب نوع من التلطف وأدب من آداب الدعوة والحوار ^(٦٦).

٣-الجدل لمن علم وأيقن قال عز وجل: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ ^(٦٧)، قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئلاً﴾ ^(٦٨).

إن قلة المعرفة بالعلوم الشرعية هي من الأسباب، التي تدفع بالمحاور إلى الشطط في مجارة الآخرين، فينساق إلى ما هو باطل، أو يقصر عن تبيان ما هو حق، فتقصر حجته، وتكسد بضاعته.

والمنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده .. وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن، فقال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ^(٦٩).

لأن ترك الخوض فيما لا يحسنه أفضل ، لعل من الضروريات التي لا يحسن بأحد تجاوزها عدم خوض المرء فيما لا يملك عليه بينة ولا برهاناً، وفي هذه الآيات تقرير من القرآن الكريم لأولئك الذين يلجون إلى الحوار دون دليل ولا برهان، ولأنهم لا يملكون علماً ولا حجة، فإنهم يعالجون مسائلهم بالهوى والجدال بالباطل والتكذيب والاستكبار عن قبول الحق.

٤-الإفساح للآخر في الإعراب عن دينه لأن مداراة المحاور وإكرامه وحسن التعامل معه وممارسته شعائره من آداب الحوار حسن المعاملة مع المحاور، ومداراة المحاور الآخر وإكرامه وحسن استقباله. وإن جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى .

٥- الإنصاف بالحجة، وهو التنزل مع الخصم في الحوار ومجادلته بالحجج القرينة إليه

قال تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾^(٧١)، إنها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافق ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصاً أفلاً^(٧٢).

لكن هذا لا يعني موافقة الآخر على أصوله الباطلة (والله تعالى لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إن لم تكن علماً، فلو قدر أنه قال باطلاً، لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل، لكن هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه، لا لبيان الدعوة إلى القول الحق ودعوة العباد إليه..)^(٧٣).

٦- الإقرار للآخر بإيجابياته لأن الإنصاف للمخالف بذكر إيجابياته وموافقته فيما يصدر عنه من حق المسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يأخذها ويقر بها بلا غضاضة، من أي طريق جاءت، وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي ﷺ فأقروا لمخالفهم ما عندهم من صور إيجابية.

٧- حسن الاستماع للمحاور الآخر من أهم الآداب التي لا ينفك عنها الحوار؛ حسن الاستماع للمحاور الآخر. وهو أدعى إلى قبول دعوته وسماع حجته، فالدعوة إلى الإسلام بالحوار والجدال ينبغي أن تكون منضبطة بالوسائل والآداب الشرعية التي رأيناها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٨- عدم الابتعاد عن لغة الإسلام ومصطلحاته وأساليبه. ومما يقع به المتحاورون أحياناً هجر المصطلحات والأساليب والحجج الشرعية والتباعد عنها تقرباً إلى الآخرين أو غيره مما يروونه مصلحة للدعوة.

شروط الحوار

الحوار معرفة الآخر والاعتراف به، من غير أن يتنازل أي من الطرفين عن ذاته أو عن تراثه أو عن شخصيته وبموضوعية لأنه وسيلة فكرية لنبد التنافس إلى التكامل، ومن التنافر إلى التلاقي، ومن الخصومة إلى الأخوة. ومن شروطه:

١- الاعتراف بالمساواة بين الأديان الأخرى وأنها لا تقل في أصالتها عن الديانة التي أعتقها، كونها صادرة عن الغيب.

(٢) الاعتراف بالأخطاء الماضية وتصحيح نظرة كل طرف إلى الآخر، ولا يكون ذلك إلا بقبول الجذور التاريخية للخلافات حتى يمكن تطوير الثقة المتبادلة.

(٣) لغة الحوار هي نداء مشترك للضمير، وهو درب الإنسانية له مقوماته وهي التلازم مع القبول بالمختلف والاعتراف به.

(٤) لابد للحوار من أشخاص قادرين على إصدار الأحكام والثبات على المواقف المصيرية ولهم استقلاليتهم في الرأي

٥- . يتطلب الحوار فكراً منفتحاً، واستعداداً للإصغاء والتعلم، ومحاولة مخلصاً للتحرر من الأحكام المسبقة والآراء الجاهزة^(٧٤).

٦- لابد للحوار من المجاملة التي من خلالها إبعاد الكثير من إثارة النعرات .
ضرورة الحوار :

الإنسان من خلال العلاقات التي يقيمها مع الأشخاص الآخرين يكسب ذاته ، ويتم ذلك من خلال طرح عقائد الإسلام وآدابه وأحكامه بشكل واع وفي حالة انفتاح على الآخرين، لكون الحوار يمثل وسيلة فعالة للبشر يحققون بواسطتها وجودهم وذاتهم، فالنقص في الانفتاح يمنع من المعرفة ، ويدع الشخص رهينة الانغلاق المتزايد والتصرفات المبنية على نظرة الطرف الواحد والأحكام الموروثة. وطبيعة التكوين التي أودعها الله أساسها في التنوع والاختلاف ، فقد جاء التأكيد في القرآن الكريم أن اختلاف البشر في شرائعهم واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبطة بحكمته. فالإسلام يعترف بوجود الاختلاف وعدم إمكانية جمع الناس على دين واحد، لكنه يفرض على أهل الحق أن يتصدوا لهداية من قدروا على هدايته من المختلفين عنهم، مع يقينهم بالعجز، وعليه فإن هداية البشرية من المحال، كما إن الإقرار بذلك لا يعني قبول هذه المختلفات، ويطلب من العلماء بذل الجهد في القيام بواجب البلاغ والإرشاد^(٧٥).

الدليل الشرعي للحوار بين الأديان:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٧٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ

اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٧﴾، وقال تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ﴿٧٨﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ﴿٧٩﴾، وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾، وكل نبي يبعثه الله لقوم يقول لهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ﴿٨١﴾.

هذه الآيات الكريمة تعتبر نصاً في موضوع الحوار ولا يمكن أن يتجاوزها من أراد معرفة حكم الله تعالى في الحوار بين الأديان، ويتضح من خلال هذه النصوص والأحاديث المبينة لحوار الأنبياء والرسل أنها دعوة وبيان للحق وكشف للباطل، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك الشرك، ولهذا فسر الصحابة ومن بعدهم (الكلمة السواء) في الآية بـ ﴿لا إله إلا الله﴾. ولم نجد شيئاً يدل على محاولة القرب من الأديان أو العمل معهم في القضايا المشتركة والبعد عن نقاط الخلاف لاسيما العقائد، فليس في المنهج الحق تحاور مع الأديان بمعنى التقارب بل هو الدعوة إلى التقارب، وهو دعوة ومجادلة وبيان للحق. وهذا الأصل الشرعي مأخوذ من بيان الله تعالى لدعوة الرسل الكرام لأقوامهم، وقد كان أقوامهم على أديان مختلفة.

المبحث الثالث

المنهج في الحوار

الحوار الديني لا يكون بالنصوص الشرعية؛ بل بالأدلة العقلية، لأن الآخر لا يؤمن بالأدلة الشرعية من حيث المبدأ. وإن أول من قام بالحوار الديني هم الأنبياء الكرام في حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم، وهي الدعوة إلى الله تعالى، ولكن المنهج الصحيح هو ردُّ المعنى الباطل وإبراز المعنى الصحيح خاصة وهو (الدعوة إلى الله تعالى).

إن تصحيحاً لما حصل في الحوار بين الأديان من الخلط بسبب عدم فهم المنهج الشرعي الصحيح، فالمنهج الشرعي في حوار الأديان من جهة الدعوة وبيان الحق جاء من خلال تركيز الشارع الدعوة إلى التوحيد وإبطال الشرك. يبين ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾، وكذلك سنة الرسول ﷺ في خطابه الموجه إلى أهل الديان وغيرهم وهي الدعوة إلى التوحيد ونبد الشرك وهذا هو هدف بعثة الرسل الكرام، بالأسلوب المباشر مرة وبالتذكير مرة والترغيب والترهيب تارة أخرى. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٨٣). وأخيراً أسلوب الإنكار. يقول تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ❖ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (٨٤)، كما لم يغفل الإسلام أن يصل إلى من يحاورهم بوسائل الحوار وهي الذهاب إليهم في نواديهم ومحافلهم وأسواقهم وبيوتهم. دعوتهم إلى دار الإسلام. الكتابة إلى زعمائهم وحكامهم. استقبال وفودهم. ودعوتهم أثناء الغزو والجهاد. ومناقشة علمائهم والاطلاع على كتبهم للاحتجاج عليهم، وإسماعهم القرآن وتلاوته عليهم. ثم إقامة البرهان والدليل القاطع على صدق الحق وصحته.

الإيمان أصل الحوار

إن أول من نادى بحرية الاعتقاد هو الدين الإسلامي، لأن السلام الديني لم يعرف إلا بعد ظهور الإسلام حيث قرر حرية الاعتقاد، وتبعاً لذلك إقراراً واعترافاً من قبل المسلمون أقروا بالحوار والتعايش السلمي بالنسبة للآخرين، وخير شاهد ما فعله الرسول الكريم مع نصارى نجران حيث أقر عليهم الجزية والعيش مع المسلمين بأمان، والتاريخ الإسلامي كله يخلو من إكراه غير المسلمين على الإسلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، ويقول تعالى: ﴿.. أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، مقارنة بالأديان الأخرى فالأمر مختلف، ولقد كان لهذا المنهج في الاعتراف بالتعددية في الأديان، واعتماد ما لم ينسخ منها ليستوعبه ويمثله في نسيجه الحضاري موسعا بذلك مفهوم الحضارة العربية الإسلامية ونطاقها كان لهذا

النهج آثاره العظمى في دفع غير المسلمين إلى الإسهام في البناء الحضاري، ولذا نجد غير المسلمين تمتعوا في إطار عقد الذمة بحقوق^(٨٥).

من خلال تتبع العقبات التي وضعت في طريق الحوار الديني الصحيح ، هو كون الحوار قد لازم الوضع السياسي المتكئ على مخلفات الماضي، وإن ما يحدث اليوم من حوادث قد يبقى بعيداً عن تطلعات البشرية نحو سلم ديني ، وإن القاسم المشترك بين الأديان يمكن معرفته من خلال تقرير التوحيد لكل البشرية ، وقد تبين موقف الإسلام من غير المسلمين، ولكن تمسك الآخر بمعتقداته وتزمتته أدى إلى التلكؤ في طرح الحوار الديني وتأخر عجلته.

إن الحوار بين الإسلام والأديان السماوية أمر لا بد منه لكون الإسلام لا يعيش بمفرده على الأرض فلا بد من بث التفاهم والتعايش والعمل ولا يكون ذلك إلا وفق أسس من القيم الفاضلة من عدم المداهنة والمساومة على حساب مبادئ وقيم الإسلام الثابتة التي لا تقبل المساومة أو المرونة التي لا تتفق وروح العقيدة الإسلامية حتى يكون الحوار في صورته المتكافئة ، وهذا يتطلب دراسة وافية وعميقة للآخر.

حوار الأديان بين الواقع والتنظير

حتى لا تطلق الأحكام اعتباطاً، ينبغي لحوار الأديان أن يأخذ بنظر الاعتبار بعض الأمور الموافقة للواقع، لا وفقاً لما ينظر^(٨٦). فالواقع هو أن تعرف مع من تحاور وما هي مقومات الحوار، فلا تكفي صدق النوايا من وراء الحوار لإطلاق الحكم بصحته ثم مشروعيته، فأن الحوار اليوم أصبح مع أهل الديانات السماوية ومع الكفار، وإن الحوار مع الكافر مشروع، في قضايا شرعية، ودينية تجارية أو غيرها، فهو مشروع في الإسلام لأنه من ورائه الاجتماع مع أهل الأديان على محاربة الفواحش، وتوحيد الله ، ولكنه قد يتغافل عن أهل الأديان ، أن هناك مساس في حريات معينة لا تمت بصلة إلى الشريعة وضوابطها فالإسهام فيها جناية على ضروريات الدين، كأن يطلب منا الشرك بالله العظيم، بل واجب علينا بناء عليه أن نحترمه، ويقتضي تقدير الشرك وغيره من أديان الكفر كأديان معتبرة محترمة ، يحق لمن شاء اعتناقها، وفي ذلك ضياع الهدف الذي من

اجله جاء الحوار، كتعزيز مكارم الأخلاق ومحاربة رذائلها والمحافظة على شأن الأسرة. فلو أخذنا على سبيل المثال تجريم الزنا أو الشذوذ، فتجريم هذه الجرائم مما يخالف مواثيقهم، ويخالف مطالب اللجان الحقوقية عندهم، لكن قد تكون غايته تجريم ما يسمونه جرائم، وهذه فيها حق وباطل، فقد يكون الحوار على منع الزنا مثلاً جريمة لأنه نوع من كبت الحريات، بل قد ينجم عنه إلزامنا بشيء من مبادئهم في الحريات أو غيرها، ومحصلة ذلك تنازل منا لا رقي منهم إلى مقررات شريعتنا.

لذا فالحوار حسب المنهج الرسالي الإسلامي، والتدرج في طرح المنهج الإسلامي حتى ينفع الآخر المشترك لدعوته إلى التوحيد، وحتى لا يتشاغل بالدعوة إلى قضايا أخرى دونه، لأن ذلك لن ينفعهم مع شركهم بالله وكفرهم برسوله. ولأن توحيد الله تعالى أساس علاج المشكلات الأخرى، وكما أن دعوة الناس إلى غير التوحيد مع حاجتهم إليه انحراف عن المنهاج الذي أوصى به الرسول الأكرم.

الحوار والاتجاه المعاكس

قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ﴾^(٨٧)، وقوله ﴿وَلَنْ أَتِيَتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَنْ اتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَنِ الظَّالِمِينَ﴾^(٨٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٨٩).

أن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة، إلا أن العقلاء منهم اكتشفوا بعد جهد أن الحوار القائم الآن والذي تدعو إليه المؤسسات الغربية هو لا تختلف كثيراً عن المؤسسات التنصيرية رغم التضليل الخارجي المتخفي خلف الشعارات^(٩٠). فكل الحوارات التي دارت بين الإسلام والأديان الأخرى لا تزال مفتقدة لشروط الحوار الصحيح؛ وهو شرط الاعتراف بالآخر، فالمحاور لا يعترف بالآخر، فموقف الآخرين من الإسلام هو موقف الإنكار، لذلك فالحوار يكون عقيماً غير مثمر، فالعمل على ثقافة القوة وفرضها على ثقافة السلام يعتبر هو المكون في حوارات اليوم، ودعوات

الإنسانية والضمير هو إن المقوم الأساسي لسلوكيات الأفراد وترشيد ثقافتهم والأديان جميعها تتفق في قيم مشتركة وهي إقامة العدل وتعمير الأرض وان مقاصد الحوار هو أن نبتعد عن صميم العقائد لان كل واحد منا غيور علي دينه وان نتجه للحوار والتعاون في القيم المشتركة الأخرى . حتى تكون هناك جدوى من حوار الأديان وعدم تغافل الآخر بكل ما يحمله من معتنق ، وهذا هو حوار ممكن حيث يتكلم الجميع و يسمع الآخر.

إن الحوار بين المختلفين في الأديان وهم يعيشون في وطن الواحد هي القضية الممهدة للحوار وهي التي لابد من الاهتمام بها ، هذا النوع من اتجاه يدعو الضمير والإنسانية كوننا نعيش على هذا الكوكب، فلو قلنا إن حوار الأديان يتطلب الاعتراف أو القبول للدين الآخر أو الاعتراف به كدين سماوي، وهذا المفهوم للحوار يدعو المتحاورون حتى يصطدموا بمشكلة القبول هذه فتصبح عقبة أمام الحوار والخروج بلا نتائج مفيدة . فمعنى الحوار هو قبول الآخر مهما كان معتنقه، فلو حصل ذلك لصاروا أتباعا لذلك الدين الآخر وليس لدينهم وليس المطلوب ولا المنطقي إذن؛ إن يعترف أتباع كل دين باي آخر سوى دينهم، فالحوار إذن؛ الاعتراف بحق الآخرين في ديناته المختلفة عن ديننا دون مؤاخذة منا نحوهم ، هذا النوع من الحوار في التعامل والتعايش بين أصحاب الأديان هو المطلوب في فكر البعض والذي يعتقدون أنه هو الحوار السلمي والذي يفضي إلى نتائج مفيدة ، لحل المشاكل المستعصية^(٩١).

المبحث الرابع :

حوار الأديان ضرورة ملحة

حوار الأديان نظرة استشرافية ؛ لأن الوسائل الممهدة للاتصال الاجتماعي لها دورا مهما في توجيه الحوار، فالآخر أصبح يؤثر ويتأثر في حياتنا شئنا أم أبينا. فحوار الأديان أصبح ضرورة ملحة لمعرفة الآخر؛ لتحقيق الأهداف في تطور الإنسانية، وذلك يقتضي إيجاد حوار يهدف إلى عدم الإساءة للمقدسات والأديان، فضرورة تصدى علماء الدين في السعي لردم التعالي على الآخر يعد إحدى الوسائل المهمة في

تعميق الحوار ثم وضع الأحكام الملائمة دون إساءة في إثارة النعرات العنصرية والعرقية والدينية. والتأكيد على ذلك.

الإيمان بالله الواحد الأحد هو القاعدة الأساسية التي تدعو لها الرسالات السماوية في التمهيد إلى الاستخلاف في الأرض لعمارتها وسلوك العمل الصالح فيها لإقامة العدل وإشاعة مكارم الأخلاق، لذلك كان من الواجب وقوع المسؤولية على أهل الديانات لتحقيق علاقة تقوم على أسس من الاحترام المتبادل وحسن التعامل بما يحقق أفضل النتائج للإنسانية. فالحوار الذي يجري بين أتباع الديانات السماوية يعد حواراً عملياً وواقعياً يهدف إلى تحقيق التواصل بين الناس بكرامة وعدل وأمن وسلام. فهو وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي.

دراسة تحليلية للحوار الاسلامي

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٩٢).

الدعوة في هذه الآية شاملة، وإن كانت في ظاهرها دعوة لأهل الكتاب، فهي شاملة لغيرهم أيضاً، وهي دعوة التوحيد، وأن كلمة (السواء) هو أن الحوار يدعو إلى الالتزام في صحة النبوة والوحي، ولزوم الإتيان للأنبياء، وتحصيل لوازم هذا القدر المشترك (٩٣). وهناك في طيات كلمة (سواء) دعوة لأهل الكتاب إلى التوحيد أولاً من خلال مناقشتهم للوصول إلى نتيجة محددة، ثم تصحيح ما عندهم من مفاهيم غير واقعية وبعيدة عن أدب الله عز وجل ثم بعد ذلك الحث على التعاون المشترك للوصول لما فيه الخير للإنسانية.

الحوار كان قائماً على الدعوة بدليل لإثبات دين الإسلام ووجوب الانقياد له ونبذ الأديان المحرفة، وبيان ما في دينهم المحرف من الباطل بخطاب عقلي ومنهجية إلهية. فتحديد الهدف الرباني في الحوار هو الدعوة إلى الله تعالى وهدايتهم للإسلام والحرص على تصوير الإسلام لهم كما أمر الله به وتوضيح نقائه وصفائه لهم بقدرة من له أهل

القدرة علماً وبياناً ، بإقامة الأدلة العقلية على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دون الأدلة الشرعية؛ لأن الخصم لا يقر بحجيتها، مع مراعاة حسن التعامل والمناقشة ليكون للدعوة قبول ، كالقول بإقرارهم على اعتبار دينهم والثناء عليهم بمثل ذلك باسم احترام الآخر.

الحوار المتمدن

لا يمكن فرض الحوار على أحد، وذلك لأن الحوار فعل حر، بل يمكن الدعوة إليه. والأهمية الكبرى للحوار هو لا يمكن تهميش الأيمان في الحوار بين الأديان، بل يتم باسم الإيمان، وأن لا ندع إيماننا، بل لا بد من الارتكاز على معطيات هذا الإيمان، وإلا تزول عن الحوار صفته الدينية ويتحول إلى حوار إنساني وحسب؛ لأن الحوار بين الأديان فهم كل طرف منهما لقناعات الطرف الآخر بشكل أفضل في إطار مبادئ الحقيقة واحترام الحرية، ولذا يتحتم علينا أن نبحث، بشكل مستمر، عن وسيلة لا للتعايش فحسب، بل للتواصل المفيد الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله بعيداً عن التعصب ورفض الآخر. هذا هو جهد غايته البلوغ إلى فهم أكثر للحقيقة من خلال الوعي المتبادل والأيمان. فالحوار يعني البحث عن الحقيقة بروح تستبعد الشائيات المتعارضة ، وذلك يعني الحقيقة مع الآخر وليس الحقيقة ضد الآخر^(٩٤). لا بد من الإشارة إلى عنصر أساسي مهم في الحوار هو الحرية، فمثلاً حوار الحياة في العيش المشترك في مجتمع ما بين المؤمنين فيه وهو متاح للجميع في واقع التعددية الدينية السائد اليوم، وهناك الحوار الأخلاقي والإنساني الذي تسعى الأديان كافة إلى تعزيزه، والمقصود به الالتزام المشترك بأعمال تحقيق العدالة الاجتماعية ومساندة المحرومين والدفاع عن حقوق الإنسان. والحوار العقائدي حيث يتلاقى المسؤولون الدينيون أو المختصون فيها للتبادل المنهجي الرصين حول تراثاتهم الدينية. وأهمية هذه اللقاءات تشير جو الثقة والاحترام المتبادلين الذي ينتشر بين أتباع الديانات.

ونتيجة لما كان سائداً في الحوارات من الجدال الغير مجدي، مما أدى إلى دفع أهل الحوار تجاهل الانتماء الديني لمشاركات تجمع أهل الأديان لأساس من التفاوض لا يمكن أن

يفرض أحد أطراف الحوار شروطه المسبقة. إذ لا أحد من طرفيه يسعى إلى إقناع الآخر أو هدايته، بل يتجه الطرفان إلى اهتداء في الله وبالله. وهذا ما يلقي على الطرفين مسؤولية متبادلة. فالإسلام يتحمل مسؤولية كبرى في هذا المجال إذ إنه مدعو إلى طمأنة الآخر إلى ترسيخ العلاقات وتوطيدها. إن الحوار يجب أن تكون له جرأة على مواجهة الحقيقة، فالمجتمعات الأصيلة هي تلك التي تمتلك القدرة على مواجهة الواقع بموضوعية، بغية الإصلاح وفي سبيل المصلحة العامة، بعيداً عن التجريح والجدل العقيم والتهجمات والتشكيك في الآخر.

الخاتمة

الإسلام هو أول من اعتمد الحوار كوسيلة حضارية في التفاعل مع الآخر، وقد وضع له قواعد، وضوابط، وسعى إلى حمايتها من كل ما من شأنه تهيش هذه الوسيلة، ودعاة الإسلام ومؤسساته المجتمعية مطالبة اليوم باستعادة دورها الحضاري، في المبادرة إلى طلب الحوار، وهذه المهمة الملقة على عاتق الإسلام مفادها التأكيد على حرص شعوب العالم الإسلامي على إرساء قواعد الحوار.

فالحوار الحضاري هو الطريق الأفضل لفهم الآخر والتعرف على مقاصده، بعيداً عن الأحكام المسبقة التي اعتمدت على أخطاء السلف.

يساهم الحوار بين الأديان في توطيد السلام والتفاهم المتبادل والمصالحة، في عالم يتسم سوء الفهم وانعدام الثقة بين المتحاورين، والحوار لا يؤدي بأي طرف إلى استيعاب الآخر، بل يجعله أكثر تمسكاً بمعتقداته دون تعصب. فهو لا يريد دمج الهويات ولا تكوين أي نوع من أنواع التوفيق الديني، إنه احترام واعتراف بإمكانيات العيش المشترك في إطار تعددي.

أن الاعتراف بالاختلافات واحترامها لا تؤدي بأحد إلى الشعور بأنه مدعو إلى التنصل من معتقداته.

كما إن ضرورة التربية على الحوار بوصفها مرافقة على دروب الحياة، وهذا يتطلب أن نوسع مدى رؤيتنا نحو آفاق أكثر رحابة لنرى الإنسانية أسرة واحدة ذات تطلعات

مشاركة رغم اختلافاتها. إنها تربية على القيم الأساسية للكرامة البشرية وهي تولد الرغبة في معرفة الآخرين، وفي التفاعل معهم، فالتربية على الحوار هي بعث الأمل بإمكانية تسوية النزاعات.

وذلك يقتضي تشجيع الدراسات التي تهتم ويتم على أساسها تطوير توجهات جديدة في داخل الأنظمة التربوية الخاصة بكل جماعة دينية.

الحوار بين الأديان يكون أكثر فعالية بين الشعوب باعتماده الإنسانية وهي جوهر الرسائل السماوية لأنه لولا الإنسان لم يكن الكون بحاجة لرسول وأديان، المهم إننا كيف نتعامل مع الآخر وليس ماذا يعتقد ويعبد؟ الحوار بين الأديان يجب أن يركز على قبول الآخر كما هو وليس الحوار عملاً تبشيراً يهدف إلى إقناع الآخر.

الهوامش:

(١)-ظ:لسان العرب:٤/٢١٧.

(٢) -ظ:مفردات القرآن:٢٦٢.

(٣) -الكهف: ٣٤.

(٤) -ظ:الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٤٠٣.

(٥) -المجادلة: ١.

(٦) -ظ:تفسير الجلالين: ١/٧٢٤.

(٧) -ظ: مقاييس اللغة -لابن فارس: ١١٧/٢، والقاموس المحيط -للفيروز ابادي- مادة (حور)

(٨) - الحوار وآدابه -صالح بن حميد: ٢.

(٩) -ظ:- الحوار الإسلامي المسيحي -بسام داود عجك: ٢٠.

(١٠) -ظ:لسان العرب (١١/١٠٥).

(١١) -ظ:لسان العرب (١٢/١٠٥).

(١٢)-أصول الدين الإسلامي -رشدي محمد عليان، وقحطان عبد الرحمن: ٢١.

(١٣) - ظ:الثابت والمتغير في الشريعة-جواد البهادلي-رسالة ماجستير: ١٧

(١٤)-الميزان في تفسير القرآن -محمد حسين الطباطبائي: ٥/٣٥٨.

(١٥)-الثابت والمتغير في الفكر الديني- كامل الهاشمي: رسالة التقريب العدد ١٠: ٣.

(١٦) -البهادلي: ٢٤

- (١٧)- ظ: الشيعة والتجديد الفقهي -مقاصد الشريعة نموذجاً--حسن البلوشي: مقال في منتدى القرآن الكريم: ٢.
- (١٨)- ظ: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٠.
- (١٩)- ظ: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٠.
- (٢٠)- ابن منظور: لسان العرب: ٢٢٣٨/٤.
- (٢١)- ابن منظور: لسان العرب: ٢٢٣٨/٤.
- (٢٢)- الجاثية، ١٨.
- (٢٣)- المائدة، ٤٨.
- (٢٤)- ظ: البهادلي جواد: ٢٣.
- (٢٥)- الميزان في تفسير القرآن- محمد حسين الطباطبائي: ٣٥٨/ ٥.
- (٢٦)- يوسف القرضاوي : الشريعة بين الثابت والمتغير، ص ١.
- (٢٧)- ظ: الثابت والمتغير في الشريعة الاسلامية -جواد البهادلس: ٣٤.
- (٢٨)- ظ: نفسه
- (٢٩)- ظ: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٢. والرازي: مختار الصحاح: ٣٠٠. والفيروز آبادي: القاموس المحيط، ٤: ٢٨٩. والطريحي: مجمع البحرين: ٦/ ٣٥٥.
- (٣٠)- القاموس المحيط -الفيروز آبادي+ الطريحي: ٦/ ص ٣٥٥.
- (٣١)- القاموس المحيط -الفيروز آبادي: ٤/ ٢٨٩.
- (٣٢)- النساء، ٧٨.
- (٣٣)- هود، ٩١.
- (٣٤)- ظ: موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليه السلام، تحقيق وتأليف ونشر مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي: ١٨.
- (٣٥)- المصدر نفسه.
- (٣٦)- التوبة: ٣٦.
- (٣٧)- سورة العنكبوت: ٤٦.
- (٣٨)- الجواب الصحيح- ابن عطية: ٢١٨/١ - ٢١٩.
- (٣٩)- ظ: الجواب الصحيح: ٢٣١/١ - ٢٣٢.
- (٤٠)- الجواب الصحيح: ٢٣٨/١.
- (٤١)- زاد المعاد: ٦٤٢/٣.

- (٤٢) - ظ: عيون المناظرات: ١٨٥.
- (٤٣) - ظ: عيون المناظرات: ٢٠٧-٢٠٨+٢١٧+ درء تعارض العقل والنقل: ١٢٧/٣+ التفسير الكبير- الرازي، تحقيق: عبد المجيد النجار+ ابن القيم في هداية الحيارى: ٣٨٤-٣٨٥+ رسالة راهب فرنسا للأمر المقتدر بالله، ورد الباجي عليها، تحقيق: محمد الشرقاوي
- (٤٤) - ظ: الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان - سامر أبو ريان- رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية.
- (٤٥) - ظ: الحوار مع أهل الكتاب- خالد القاسم: ١١٢-١١٧.
- (٤٦) - المصدر نفسه.
- (٤٧) - دعوة التقريب بين الأديان ١ / ٣٤٨.
- (٤٨) - الممتحنة: ٨.
- (٤٩) - ظ: الولاء والبراء- د/ محمد سعيد القحطاني - كاملاً
- (٥٠) - ظ: التعايش السلمي — هيوكتسكل + دراسات في التسامح — ناجي البكري + تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر — عبد اللطيف الحسين + فهم التعايش في الإسلام — عباس الجراري+ المسلمون والأوروبيون (نحو أسلوب أفضل للتعايش) — الخزندار.
- (٥١) - ظ: دعوة التقريب بين الأديان ١ / ٣٣٩.
- (٥٢) - ظ: التحليل المفصل لنظرية جارودي ونقدها في دعوة التقريب بين الأديان ٢ / ٨٣٩ - ٩٣٧.
- (٥٣) - ظ: رواه مسلم في صحيحة عن أبي مالك عن أبيه، رقم ٢٣
- (٥٤) - ظ: فتوى اللجنة الدائمة في (وحدة الأديان) برقم (١٩٤٢) ، وتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤١٨هـ.
- (٥٥) - الممتحنة: ١.
- (٥٦) - المجادلة: ٢٢.
- (٥٧) - المائدة: ٥١.
- (٥٨) - النساء: ١١٥.
- (٥٩) - المائدة: ٤٩.
- (٦٠) - ظ: دعوة التقريب بين الأديان ٤ / ١٤٤٨
- (٦١) - القلم: ٣٥.
- (٦٢) - ص: ٢٨.
- (٦٣) - ظ: ماريو أنور- الحوار المتمدن - العدد: ١٣٠٦ - ٢٠٠٥ / ٩ / ٣-المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
- (٦٤) - البقرة: ٨٣.

- (٦٥) ظ: تيسير الكريم الرحمن: ٩٣/٣.
- (٦٦) ظ: الجامع لأحكام القرآن: ٧١/٢.
- (٦٧) -ال عمران: ٦٦
- (٦٨) -الإسراء: ٣٦.
- (٦٩) -النحل: ١٢٥.
- (٧٠) ظ: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٨/٤.
- (٧١) -سبأ: ٢٤.
- (٧٢) مدارج السالكين- ابن القيم: ٦١/٣.
- (٧٣) الرد على المنطقيين: ٤٦٨.
- (٧٤) مشروعية حوار الأديان: ١٧-١٨.
- (٧٥) -ماريو أنور -الحوار المتمدن - العدد: ١٣٠٦ - ٢٠٠٥ / ٩ / ٣ -المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
- (٧٦) -سورة فصلت: ٣٣.
- (٧٧) -سورة يوسف: ١٨.
- (٧٨) - سورة آل عمران: ١٤.
- (٧٩) -سورة النحل: ٣٦.
- (٨٠) - سورة : آل عمران: ٦٤.
- (٨١) -سورة الأعراف: ٥٩.
- (٨٢) -سورة آل عمران: ٦٤.
- (٨٣) -سورة المائدة: ٧٣.
- (٨٤) -سورة آل عمران: ٧١.
- (٨٥) ظ:- essalouany@maktoob.com-محمد السلواني -وضعية الحوار بين الأديان
- (٨٦) - حوار الأديان بين الواقع والتنظير- ابراهيم الازرق
- (٨٧) -سورة البقرة: ٢١٧.
- (٨٨) - سورة البقرة: ١٤٥.
- (٨٩) - سورة البقرة: ١٢٠.
- (٩٠) - ظ: اعترافات الدكتور محمد عمارة حول حوار الأديان- المصدر: موقع صيد الفوائد-سليمان الخراشي

(٩١) - ظ: حوار الاديان ام حوار الطرشان؟ الشيخ الشعراوي ومحمد عمارة والقمص باسيلي بين

العدوانية والتعايش الديني فرانسوا باسيلي القدس العربي - Al-Quds Al-Arabi

(٩٢) - سورة آل عمران: ٦٤.

(٩٣) انظر: جامع البيان - للطبري - ٢٩٩/٣ ، تفسير القرآن الكريم - لأبن كثير - ٤٥/٢ + الدرر المنثور

- للسيوطي - ٢٣٣/٢.

(٩٤) - ماريو أنور - الحوار المتمدن - العدد: ١٣٠٦ - ٢٠٠٥ / ٩ / ٣ - المحور: العلمانية، الدين السياسي

ونقد الفكر الديني

المصادر والمراجع

١. خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

٢. أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العارومي ، ط ١، دار

رمادي للنشر، ١٤١٨هـ.

٣. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤٠٥هـ.

٤. التعريفات، علي الجرجاني، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، ط ٢، دار الكتاب العربي،

١٤١٣هـ.

٦. تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، ط دار المدني، جدة.

٧. الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية - رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الفقه في جامعة

الكوفة

٨. جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية - جواد أحمد

كاظم البهادلي - إشراف - الدكتور محمد حسين علي الصغير - كلية الفقه/جامعة

الكوفة - ٢٠٠٧م.

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت،

١٤٠٥هـ.

١٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
١١. حاشية ابن القيم، ابن قيم الجوزية، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٢. الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، ط ١، دار قتيبة، ١٤١٨هـ.
١٣. الحوار وآدابه، صالح بن حميد، ط ١، دار المنارة.
١٤. درء تعارض العقل مع النقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٩٩هـ.
١٥. دعوة التقريب بين الأديان، أحمد عبد الرحمن القاضي، ط ١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.
١٦. الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ط ٤، المكتبة الإمدادية، لاهور.
١٧. شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
١٨. عون المعبود، شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد العظيم آبادي، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٩. عيون المناظرات، أبو علي السكوني، تحقيق: سعيد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م.
٢٠. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢١. الفتاوى الهندية، الشيخ نظام الهندي وآخرون، ط دار المعرفة بيروت، لبنان.
٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٣. لسان العرب، ابن منظور، ط ١، دار صادر، بيروت.
٢٤. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٢٥. المصنفى من علم الناسخ والمنسوخ، ابن الجوزي، تحقيق: د. صالح الضامن، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٦. مفردات القرآن، الراغب الأصفاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، دار القلم، ١٤١٢هـ.
٢٧. نواسخ القرآن، ابن الجوزي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٨. زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب عبد القادر الأرئوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.
٢٩. الجامع الصحيح، للأمام المسلم ابن الحجاج ترتيب فؤاد عبد الباقي.
٣٠. الحسن " يوسف الحسن": الحوار الإسلامي المسيحي (الفرص والتحديات)، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٩٩٧م.
٣١. العسقلاني "ابن حجر العسقلاني": فتح الباري شر صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة.
٣٢. أبو زيد "بكر أبو زيد": الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، دار العاصمة، الرياض، ط ١، عام ١٤١٧هـ.
- ٣٣.
- السيوطي "جلال الدين السيوطي": الدر المنثور في التفسير المأثور، ط ١، دار الفكر، بيروت.
٣٤. الطبري "أبو جعفر الطبري": جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط ٣، مكتبة المصطفى البابي الحلبي، مصر.
٣٥. ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق- عبد السلام هارون - ، ط ٢، مكتبة البابي الحلبي، مصر.
٣٦. القاضي "أحمد القاضي": دعوة التقريب بين الأديان، ط ١، دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ.

٣٧.

الفيروز "ابادي الفيروز": القاموس المحيط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ.

٣٨.

ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن تحقيق السيد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩. القحطاني "محمد سعيد القحطاني": الولاء والبراء في الإسلام، ط ١، دار طيبة، الرياض.

٤٠. القرني "عبد الله القرني": المعرفة في الإسلام (مصادرها ومجالاتها)، ط ١، دار عالم الفوائد.

٤١. ابن كثير "الحافظ ابن كثير": تفسير القرآن العظيم تحقيق، محمد البنا وآخرين، ط دار الشعب

٤٢. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوفي وجلال الدين المحلي، مراجعة المباركفوري، دار السلام، الرياض.

٤٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، إعداد وإشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٤٤. الدوريات ومواقع الانترنت:

٤٥. صحيفة البيان الإماراتية.

٤٦. موقع الإسلام أون لاين.

٤٧. موقع الإسلام اليوم.

٤٨. موقع الجزيرة نت.

٤٩. موقع ليلة القدر.

فتاوى المرجعية وأثرها في تحقيق السلم الأهلي في العراق

أ.م.د. حيدر زوين / كلية الآداب – جامعة الكوفة

د. عبد الكريم جعفر الكشفي / مدير عام تربية دياي السابق

المقدمة:

لقد كان للمرجعية الدينية الشريفة دور فعال في أحداث العراق والمنطقة قبل سقوط النظام لا يمكن لأحد إن يتجاهله، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى، إذ دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز، وقد أسهم بعضهم في القتال فعلا، وفي عام ١٩١٨م تأسس في النجف حزب أطلق عليه "حزب النجف السري" وكان يضم عددا من الساسة ورجال الدين الشيعة، وكان برنامجهم يدعو إلى استقلال العراق وتأسيس حكومة برئاسة أحد أبناء الشريف حسين، ثم تلى ذلك حدوث الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م، إلا إن تنامي دورها الأساس والرئيسي في الشؤون العامة ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣م، وبعد صعود: (التيارات السياسية الإسلامية والقومية والمدنية) إلى السلطة في العراق اثر سقوط النظام البائد، ظهرت بعض الأصوات الشعبية تطالب بإشراف المرجعية الدينية ورعايتها في النجف الأشرف وعلى رأسها (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) للعملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية المختلفة، وفعلا دعت المرجعية الدينية الشريفة إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة إلى تشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضا لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخاب أعضاء المجالس المختلفة، (مجلس النواب، ومجالس المحافظات والاقضية والنواحي)، لذلك كان- ولا يزال- للمرجعية الدينية في النجف الاشرف دور مهم في المرحلة الراهنة لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل ملفت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على ثلث مساحة العراق تمثلت في أجزاء واسعة مهمة في الموصل والانبار وكركوك

وصلاح الدين، وقد أصدرت هذه المرجعية فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات وآخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب.

وللكتابة عن هذا الموضوع يتطلب منا التمعن والتبصر بتلك الانتصارات والبحث عن القوة الحقيقية الكامنة وراء تلك الحشود العظيمة، لهذا ارتأينا أن نقسم البحث على ثلاثة مباحث تناولنا في الأول: ومضات تاريخية عن فتاوى المرجعية، وفي الثاني: المرجعية وفتاوى الجهاد المقدس، وفي المبحث الثالث فتاوى المرجعية والسلم الأهلي، لنختتم بحثنا بخاتمة ونتائج للبحث ومن ثم قائمة بأهم المصادر الداعمة للبحث.

إن النصر الحقيقي على "داعش" إن شاء الله تمثل في النهاية بالتفاف الشعب حول مرجعيته الرشيدة والتي عودتنا على مواقفها الحاسمة في اصعب الظروف وأحلكها لتكون بذلك صمام أمان لكل العراقيين والداعم الأساسي لقوات الحشد الشعبي مدعومة بالقوات المسلحة وأبناء العشائر الغيارى ليخرج العراقيون من المعركة أمة واحدة عراقية يجمعها وطن نهائي واحد هو العراق الجميل الواحد المستقل المزدهر.

المبحث الاول

ومضات من تاريخ فتاوى المرجعية الدينية

إن تاريخ علماء الشيعة الجهادي مليء بالأحداث الملهمة والمهمة والتي لا يمكن اختصارها في بحث أو بحثين، لاسيما الحديث عنها وهو رهين التاريخ النضالي والجهادي الدامي الذي قامت به المرجعية الرشيدة والعلماء المجاهدين ٠٠٠، لقد كان هذا النضال في حقبة بالغة الحساسية من تاريخ المسلمين في العراق، وكان لرجال الدين والمرجعية دورهم المميز ابتداءً من ثورة التبناك مروراً بالاحتلال الروسي لإيران، والاحتلال البريطاني للعراق وثورة العشرين وأخيراً وليس آخراً فتوى الجهاد الكفائي التي أصدرتها المرجعية الدينية الرشيدة بالجهاد ضد عصابات (داعش) ومن لف لفهم من ازلام النظام السابق وبقايا البعث المقبور.

لقد شاب هذه الفتاوى العظيمة عبر مسارها كثير من التشويش والبخس ، اذ حاولت الدوائر المعادية والاستكبار العالمي لإضعاف الترابط بين المرجعية والأمة الاسلامية وایجاد حواجز بينهما ٠٠٠ ، فقد استطاع الاستعمار والمتعاونون معه من استقطاب العديد من الكيانات والموجودات السياسية والدينية ؛ لكنها عجزت عن الحصول على تعاطف المرجعية او تعاطف مرجع شيعي واحد بل ان المرجعية والعلماء الراجعين للمرجعية قد حددوا منذ البداية موقفهم المبدئي من الاستعمار ومقاومة تدخله في بلاد المسلمين ورفض اي خيار يمس استقلال البلدان الاسلامية ٠

لقد ركزنا في هذه الوريقات على حقبة التحدي الاستعماري للبلاد الاسلامية من خلال القرنين الماضيين وهذا التحدي أخذ انماطا عديدة من مواجهة تاريخية؛ لكنها تجتمع في هدف واحد هو مواجهة الهجمة الاستعمارية والتطرف الاسلامي والسعي لتحقيق استقلال البلاد وسيادة الأمن والأمان ٠ لقد كانت فتاوى المرجعية الرشيدة وعلماءها الدور الاكبر للتأثير في حركة الأحداث وصناعة الموقف التاريخي البارز في حياة الأمة الاسلامية خلال تاريخها الحديث في الظرف الخالد الذي تعيشه الأمة الاسلامية وعلى الرغم من صعوبة الأجواء التي أحاطت بالمرجعية ؛ لكنها لم تلق كامل التأثير في حركة الأحداث السياسية والاجتماعية فلقد كانت للمرجعية وفتاواها الحضور الفعال في حركة الاحداث ٠ ولقد دخل على الساحة الراهنة ، وأخيراً المحاولات الارهابية والداعشية التي تحاول تحجيم والغاء تأثير المرجعية في الساحة الإسلامية؛ وفيما يأتي ومضات من فتاوى الجهاد للمرجعية الرشيدة :

□ - لقد كانت أولى فتاوى الجهاد في العراق وايران التي اصدرتها المرجعية فيما تخص حركة المشروطية في ايران وأحداثها عام ١٩٠٦ م وكذلك الحركة الدستورية العثمانية عام ١٩٠٨م بصماتها على الحس السياسي وتشكلت بدايات الوعي السياسي وبداية الارهاصات الحزبية في المدن العراقية فأسست عدة أحزاب سياسية في النجف والبصرة وإسطنبول وطهران اذ برزت رجال دين مجاهدون كثر يطول الحديث عنهم ٠٠٠ ، وحركة المشروطية هي حركة المطالبة بالدستور وسميت بهذا الاسم ؛ لأن الداعين لها

عدوا مواد الدستور بمثابة شرط على السلطان او الملك ٠٠٠٠٠ بها في حكم رعيته وقد استمدت هذه الفكرة من فكرة العقد الاجتماعي التي شاعت في اوربا بعد ثورة الفرنسية^(١) .

□ - ثم جاءت ثاني فتاوى الجهاد الذي أصدرته المرجعية في العراق وايران هو عندما تم احتلال ايران من القياصرة الروس بتاريخ ١٢ تموز / ١٩٠٩م إذ حارب هذا الاحتلال الوعي الاسلامي لدى المرجعية في ايران والعراق عام ١٩١١، فقد وقف علماء العراق وعلى رأسهم الشيخ محمد رضا الشيباني والشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد مهدي الحيدري والسيد اسماعيل الصدر والسيد احمد الصافي النجفي والشيخ مهدي الخالصي وقفوا موقفاً شديداً ضد الاحتلال الروسي لإيران واصدروا فتاوى الجهاد ضده مطلقين على موقفهم هذا اسم حركة الجهاد التي وجدت استجابة جماهيرية واسعة لدى الجمهور المسلم وتشكلت كتائب المجاهدين العراقيين لمحاربة روسيا واخراجها من ايران . وعند اعلان علماء الدين الجهاد تجمع آلاف المقاتلين في الكاظمية وقد نصبت الخيام في أطراف البلدة ولمسافات شاسعة ، وخرجت العشائر العراقية في عشرة الاف مقاتل الى منطقة المحمودية لاستقبال علماء الدين والمجاهدين القادمين من النجف جنوب العراق ، وقبل وصول الطلائع الى الكاظمية وصلت الى العراق اخبار انسحاب القوات الروسية من ايران^(٢) .

□ - وبسبب فتوى الجهاد التي اصدرتها مرجعية النجف سُمح لأبناء الشيعة دخول المدارس الحكومية والعسكرية التي كانت حكراً على ابناء السنة وادخلت العلوم الحديثة واللغات اللاتينية للمدارس وقد تم فتح المدرسة الجعفرية عام ١٩٠٨م والمدرسة المرتضوية ،وقد أصدرت مجلة العلم عام ١٩١٠م للسيد هبة الدين الشهرستاني الذي عاضده اية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وتميزت مساعي هذين الرجلين بنشر الوعي السياسي والثقافي الذي مهد لثورة العشرين في العراق .

□ - أما فتوى الجهاد ضد الاحتلال البريطاني ، والذي ما ان دخلت القوات البريطانية الاراضي العراقية عام ١٩١١ م حتى ارتفعت دعوات الجهاد ودوت في كل أرجاء

العراق ، إذ أصدرت المرجعية في النجف عدة فتاوى للدفاع عن بيضة الاسلام ضد العدو الكافر وصدر محمد سعيد الحبوبي والسيد كاظم اليزدي والشيخ الخالصي وشيخ الشريعة مصطفى الكاشاني وعلي الداماد فتاوى بالجهاد ضد المحتل البريطاني ، اذ افتى محمد تقي الشيرازي في سامراء مقر المرجعية الدينية آن ذاك فتوى بضرورة الجهاد ومحاربة المحتل البريطاني وقد أرسل ابنه محمد رضا لالتحاق بجامعة من العلماء في جبهات القتال في الجنوب كما وصل الى النجف ٦٠٠ فارس من المجاهدين الأكراد وتحركت كتائب شعبية في عدة مدن لتلبية فتوى الجهاد ، بعد ان ادرك العراقيون انهم امام حقيقة استعمارية بغیضة تنوي استعباد الشعب العراقي وامتصاص ثرواته وسحق كرامته ٠٠٠

□ - فقد اصدرت المرجعيات الدينية في العراق فتاوى التصدي للمآرب البريطانية في ١٩٢٠/٤/٢١ م ٠٠٠ ، وعقد اجتماع كبير في بغداد بمناسبة ولادة الامام الحسين عليه السلام في جامع الحيدرخانه ضم قيادات الحراك السياسي في عموم العراق للتنسيق فيما بينهم لتصعيد نشاط الجهاد ضد سلطات الاحتلال وقد انتخب المجتمعون وفداً لتقديم المطالب العامة ، واللقاء بالوكيل الحاكم الملكي العام في بغداد ٠٠٠ ، لم تلق مطالب رجال الدين والمرجعية آذان صاغية لدى البريطانيين ، مما اضطر رجل المرجعية الاول السيد محمد تقي الشيرازي الى اصدار فتوى الكفاح المسلح لإخراج المحتل من العراق ، وقد ذهب جمع من العلماء الى ضريح الامام الحسين واقسموا جميعاً على ما اتفقوا عليه ٠

لقد بدا للمرجعية وعلماء الدين ان البريطانيين لا يريدون الاستجابة لمطالب الشعب وهذه الحالة ولدت الى اندلاع الثورة العراقية في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠ م ليستكمل فيها المشروع الشيعي السني الطويل في العمل السياسي ضد الاستعمار الذي بدأ بالتحرك السياسي ثم لجأ الى العمل المسلح حين لم يتواجد ثمة خيار آخر^(٣)

□ - وكانت آخر فتاوى المرجعية هي فتوى الجهاد الكفائي ضد الخطر الجديد الذي هدد بيضة الاسلام الا وهو حركة داعش الوهابية التي باشرت وبوساطة الاستكبار العالمي

بالسيطرة على أجزاء من العراق وسوريا ، لقد كانت لفتوى المرجعية الاثر الكبير في وقف تقدم داعش للوصول الى بغداد والمراقد الدينية في كربلاء والنجف وضد المرجعية فضلا عن فتاوى الدعم المادي والمعنوي لسرايا الحشد الشعبي والقوات المسلحة .

المبحث الثاني : المرجعية وفتاوى الجهاد المقدس

المعطيات الصادرة عن الأحداث في العراق تظهر العديد من الصور والتجليات لحقائق واضحة وضوح الشمس، تظهر في كل مناسبة مواقف وشخص و قامات، ومتغيرات لا تفتأ ان تكون مفصلية، لترسم في كل منعطف خريطة جديدة لمسار الأحداث المتداخلة، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. حتى بات لدى القاصي والداني رؤية متكاملة تبين له الخيط الأبيض عن الأسود، فتكشف تارة عمن حمل العراق شعبا ووطنا بين جنبيه وروحه، وبين من اتخذ من هذا العنوان مصطلحا للمتاجرة والمماكسة والترحيل الشخصي، ماديا او معنويا، لتطيح المحن التي مرت بهذا البلد بكثير من الاقنعة المزيفة، ممن اتقن المكر والنفاق والخديعة. وفي الوقت نفسه كشفت عن معادن الاوفياء للدين والوطن والامة الاسلامية والعربية، لتصقل بذلك درر الرجال ممن أوفوا بما عاهدوا الله عليه. ما تعرض له العراق من نكسة اهتز لها صميم الدولة، وكادت لولا لطف الله وهمة الغيارى ان تطيح بمكتسبات العهد الجديد، وتبدد سيل الدماء الذي جرى على مدى عقود في سبيل اقامة نظام ديمقراطي ضامن للحرية والتعددية للفرد والمجتمع، لقد كان لتهديد داعش والحركات التكفيرية التي تتخذ من الاسلام ثوبا لها اثر كبير في حشد طاقات واسعة من الشعب للوقوف بوجه هذه الهجمة الشرسة التي تستهدف بيضة الاسلام، وعلى الجميع الانتباه الى وجود محاولة مستمرة لتصوير انتفاضات وثورات الشعوب المظلومة بوصفها سيناريوهات مفتعلة من قبل بعض الأجهزة الدولية^(٤) .

ولعل اصطفااف المرجعية الرشيدة واتخاذها الإجراءات المناسبة وهذا الأمر ليس ببعيد عن مواقف المرجعية والتي هي صمام أمان في خضم هذه الارهاصات التي اشتد فيها الخطر وضائق السبل، لذا كان لنداء المرجعية الرشيدة الدور الفعال إذ هب العراقيون من كل حذب وصوب ، لنصرة العراق والدفاع عن عرضه وأرضه وماله ، فضرّبوا

أروع البطولات التي سطروها في معارك التحرير وكتبوا ملاحمهم بحروف من ذهب ،
نقشت على صفحات التاريخ بصور خالدة لا تنسى أبداً على مر الزمان ، فكان النداء
صرخة في وجه الظلم والهمجية التي أرادت بشعبنا الأذى ، ولكن أبناءنا من الحشد
الشعبي أبوا الا يحصل ذلك ، فتناخوا فيما بينهم ، وسحقوا رؤوس الخونة والارهاب
من الدواعش التكفيريين ومن لف لفهم وحققوا انتصارات لا مثيل لها في امرلي
وحميرين وصلاح الدين وسامراء وديالى وجرف النصر على الرغم من التصريحات
والمواقف النشاز لبعض الكتل ورجالات كانتونات السياسة الداعمة لداعش وهناك
مسألة أخرى ظهرت بعد ٢٠٠٣م وهي وسائل الاعلام التي ليس لها وسيلة فنية فقط
بل هي احدى وسائل الهيمنة السياسية وكذلك صعود الدور التركي القدر.. كما ان
امريكا سعت لتحسين صورتها امام الشعوب العربية^(٥).

لقد كان لشعبنا الابي الدور الكبير في اسناد فتوى الجهاد المقدس وأن الوقوف مع
القوات الامنية والجيش والحشد المقدس ومساندتهم واجب شرعي ووطني تمليه
الظروف على كل عراقي شريف غيور على أرضه وعرضه ، وإن تضمين الخطط
العسكرية لمخارج تأمين إجلاء المدنيين وتحرير تلك المناطق هو بحد ذاته دفاع عن حقوق
الانسان التي انتهكتها عصابات داعش الاجرامية بأبشع الصور. اننا مطالبون اليوم ان
ندعم قوات الحشد المقدس بالغالي والنفيس لوقفته البطولية وان نشيد بقوة بفتوى
المرجعية الرشيدة وتوجيهاتها التنظيمية لجهود الحشد الشعبي ودعوتها لتأمين سلامة
المدنيين سكان تلك المناطق ، كما طالبت بتكثيف الجهد الحكومي لمعالجة الآثار التي
سببتها هذه الهجمة الشرسة على أرض العراق شعبا وحضارة ، وقد تسال البعض عن
سبب تأخير الفتوى؛ إن سبب تأخير اصدار الفتوى لا يعني تسليما نهائيا بالنتائج بل
يعني صبرا وحكمة مسلحة بالإرادة والاستقلال والسيادة والحرية وهي جاهزة
الاستعمال لكل الوسائل المشروعة في اللحظة المناسبة من دون تأجيل المعجل او تعجيل
المؤجل^(٦).

لقد اثبتت وقائع أحداث الحشد الشعبي تجربة متفردة في تاريخ حركات التحرر الوطني ومحاربة الإرهاب ودرس كبير في مواجهة الانهيار النفسي والهزيمة العسكرية وخطوة مهمة لتحرير الأرض واسترجاع السيادة. ولعل هذه هي الأهم من وجهة نظر المرجعية الرشيدة ؛ لأن استعادة الأمة لإرادتها وقدرتها على مواجهة التحديات والتداعيات ضمان لكل العراقيين ومصدر يبعث الطمأنينة في نفوسهم ، سيما وأن الحشد الشعبي المقدس بات يحقق الانتصارات تلو الانتصارات في ظل الانقسام والتآمر الدولي والإقليمي وضعف الخطط والمستلزمات ، ولقد انقلبت المعادلات والمؤامرات ، وانا نشمن ونحيي بطولات أبنائنا من القوات الامنية والالاسلامية حشد الشعبي لما يسطروه من بطولات وتضحيات لتحرير المناطق العراقية التي وقعت تحت سيطرة العصابات الاجرامية.

ان هذه التجربة الفريدة ، والتي أملتھا الظروف الصعبة والخطر الاتي من خلف الحدود لتمزيق بيضة الاسلام النقية وتقسيم العراق الغالي الى دويلات تحكمھا عصابات مجرمة تتخذ من الاسلام ثوبا خرقا...لقد كانت تجربة الحشد المقدس أنموذجاً منيراً وفريداً لتلاحم الشعب العراقي الابي المجاهد بكل قواه وفئاته وقومياته زالت واماطت الستار لمن كان على أعينهم غشاوة ، وان الشهادة في الدفاع عن بيضة المسلمين هي اعلى انواع الشهادة عبر التاريخ الطويل فقد كان للمرجعية الدور الكبير في دفع الناس للتضحية في سبيل الاسلام وان خط الشهادة يتحمل مسؤوليته المرجع على اساس ان المرجعية هي امتداد للنبوة والامامة ^(٧). فتحية لشبابنا وتحية للقوات المسلحة وتحية للحشد الشعبي المجاهد ، وتحية إجلال واكبار للشعب العراقي وللأمهات اللائي أنجن رجالاً وأرضعنهم حب الوطن وتحية للآباء الذي سقوا أبنائهم من الوفاء والشجاعة ، ورفعوا رؤوسنا عاليا في سماء الوطن ، وحفظتم الارض والعرض ، إنها رسالة الى التاريخ ، إنكم مؤمنون صدقتم بما عاهدتم الله ، فطوبى للرجال الأمناء على شعبهم وأهلهم وأبنائهم ، وطوبى لكل من يقف موقف الشرفاء في يوم ضاعت فيه القيم ، وانخطت فيه الأخلاق ، وتبا لكل من يصد عينيه عن اهله يوم الضيق.

إن هذه الهبة المباركة جاءت لتقلب موازين القوى لصالح وطننا الذي استباحته قوى الظلام والشر والحقد بعض مدنه العزيزة بغفلة من الزمن وتآمر شرس داخلياً وخارجياً لتزداد جراح المواطن العراقي المنكوب بالفساد والمنهوب ماله وخيراته ، لقد أسقط الحشد الشعبي بما يمتلك من حس وطني عال وعقيدة قتالية وروح استشهادية كبيرة كل مراهنات ومؤامرات الأعداء ودواعش الداخل والخارج ، فها هم يكيلون الضربات الموجعة لشراذم داعش ويسحقون فلولهم ويحررون أرضنا بشجاعة نادرة وهم يستلهمون روح التحدي والنصر من عظمة الرموز الدينية والوطنية، واضعين نصب أعينهم إحدى الحسينين النصر المؤزر على الأعداء ودحرهم للأبد أو نيل الشهادة، وقد روت دماؤهم الزكية أرضنا العزيزة في كل مدنا التي دنستها عصابات داعش في آمرلي والانبار وديالى وصلاح الدين ، فكانوا بحق السند القوي لأبطال جيشنا الجسور وشرطتنا الوطنية وهم يذودون عن الأرض والعرض ، فهنيئاً الشهادة لمن نالها والنصر المؤزر بإذن الله لشباب الحشد الشعبي وهم يتقدمون الصفوف لتحرير كل شبر من أرضنا العزيزة من دنس جرذان داعش ومن يناصرهم من أعداء وطننا الغالي . روعة البطولات التي يسطرها أبطال الحشد الشعبي ، فأنها لا يمكن أن توصف الا بالصرخة الكبرى التي أذهلت الأعداء وقلبت الموازين وقضت مضاجع أرباب الفتنة وقلبت الطاولة على رؤوسهم وقطعت الطريق على مخططات التقسيم الرامية الى الغاء العراق من الخريطة السياسية والقضاء على دوره الريادي ومكانته المرموقة في المنطقة والعالم . ولا بد من أن نقف هنا بإجلال وإكبار لفتوى المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف لسماحة السيد السيستاني (دام ظله) التي كان لها الفضل الاول في هذا السيل البشري من المجاهدين لأبطال الحشد الشعبي ولا نوفي تضحياتهم . إذ ان فكرة الجهاد الأصلية عند المسلمين والعرب تبرهن عن ادراكهم لفكرة الاستمرار والخلود في حياة الامم الاخرى فالفرد يفنى والجيل ينقضي ؛ ليحفظ للأجيال المقبلة حريتها اذ لا حياة بغير الحرية والشعب الذي يفقد حريته يعيش عيشة الميت الفاقد^(٨).

فمنذ أن سقط النظام السابق تهدمت معه المؤسسة العسكرية بكاملها وكان أملنا أن تبنى من جديد على أسس تليق بعراق الحضارات ولكن ما يؤسف له راح السياسيون يتصارعون على خيرات ومناصب الدولة ناسين أن هناك شرا وأخطاراً تحيط به من كل الجهات. وبشكل مفاجئ ظهرت قوى الظلام من المتطرفين والبعثيين وغيرهم تحت عنوان داعش. وبين ليلة وضحاها تساقطت المدن العراقية بأيديهم التي لا ترحم وأصبح نصف العراق محتلاً ولم نجد جيشاً سوى قوائم من الأسماء الفضائية ومئات من الشباب العزل تساق للذباح في سبايكر وهنا أصبح الخطر واضحاً ليس على الإنسان العراقي بل حتى المراقدة المقدسة ناهيك عن ثروات البلد وأصبح الشعب بكل أطيافه حائراً مهزوماً أمام هذا البلاء يبحث عن منقذ وفعلًا كانت الحوزة الدينية والسيد السيستاني المسؤول الأول عن طبيعة المواجهة إذ نادى بفتوى الجهاد الكفائي فهب الشعب لتلبية النداء دفاعاً عن الدين والأرض والعرض وهاهم يتسابقون على الشهادة وقد تحققت الانتصارات على الأرض، نعم لو لم تكن الفتوى لما بقي شيء في العراق .

فهذه الانتصارات لها أهمية كبيرة في فتح آفاق إيجابية واسعة لتسوية المشاكل، وتعزيز التلاحم بين جميع المكونات العراقية، وإيضاً يجب الاهتمام بمستحققات الحشد الشعبي ودفع مرتبات المتطوعين وتوفير المطلوب من الذخيرة والأسلحة والمعدات لمواجهة الأعداء وتحقيق انتصارات المستقبل، لذا يجب أن تشكل لجان متخصصة لرعاية مقاتلي الحشد الشعبي و استيعابهم بالكامل ضمن إطار الدولة وتقديم يد العون لعوائلهم وإدراج الشهداء منهم ضمن فقرات مؤسسة الشهداء، كذلك نطالب بعدم الزهد برجال الحشد الأبطال من الذين سطوروا أروع الملاحم في معاركهم مع الإرهاب طاعة للمرجعية وحفاظاً على المقدسات وتحريراً للأراضي المغتصبة، دفاعاً عن الوطن والمواطنين.

وما عسانا نقول إزاء ما يسطره أبطالنا الميامين من ملاحم بطولية في سوح الوغى وهم يقاتلون نيابة عن الإنسانية جمعاء من أجل القيم والمبادئ التي أرسى دعائمها جميع الرسل والأنبياء فما من نبي مرسل أو كتاب منزل إلا ويدعو إلى المحبة والتسامح والسلام

، وعصابات داعش تدعو للكراه والبغضاء وقتل البشر بوحشية مقيتة وهو بناء الله الذي كرمه وسخر له كل شيء ، وهذه العصابات الإرهابية التي عاثت في الأرض فساداً ولم ينج منهم بشر ولا حجر كان لابد من الرجال أن يتصدوا لهم ، فتناخى أبطالنا من رجال الجيش والشرطة والحشد الشعبي ملبين نداء الوطن مسترخين أرواحهم من أجل عزته والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، فما عساني أقول بوصف بطولات هؤلاء الأبطال الشجعان الذين كلت الألسن عن وصف بطولاتهم ..وقديما قال ابو تمام:-

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

إن أفضل الطاعات على الإطلاق الجهاد والتعاون لردع هؤلاء الطغاة عن البغي وإن ليس للإنسان شيء في الدنيا والآخرة إلا بالعمل والكفاح من البداهة ان القوة شرط اساس لكل جهاد ونضال ومن البداهة ايضا ؛ إنه لا قوة الا بالوحدة وهل ذهبت الاندلس من قبل فلسطين من بعد الا بتفريق الكلمة وتصعد الصف^(٩).

ختاما أقول أيها الرابضون بسوح الوغى نحن مدينون لكم بكل شيء ، وما عسانا الا نرفع أكفنا داعين الله تعالى أن يسدد خطاكم وينصركم على القوم الظالمين ويعيدكم إلى دياركم سالمين غانمين محملين بأكاليل الغار وأنتم تعيدون رسم ابتسامة النصر والفرح على ثغر العراق الباسم وطن الحب ودار السلام الذي ظل عصيا على الاعداء على مر الزمن فتاوى المرجعية ودورها في الامن السلمي .

المبحث الثالث : فتاوى المرجعية وأثرها في تحقيق السلم الأهلي

لم تكن المرجعية الدينية بعيدة عن متغيرات الواقع العراقي وأحداثه ، كما أن هذه الأحداث لم تكن بعيدة عن المرجعية وتوليد آثار وضغوط على سلوكها ودورها الديني وعليه فقد تأثرت هذه المؤسسة بهذا الواقع وتعاطت مع الوقائع والأحداث التي مرت به .

وتُعدّ مرجعية السيد السيستاني مسموعة في الوسط الشيعي العراقي. اذ نأى بالمرجعية (النجف في العراق) عن الميل إلى طرف من دون آخر، في الساحة الداخلية. وعلى الرغم من كثرة أتباعه، إلا أنه بقي بعيداً من الانخراط المباشر بالسياسة، وتدخلاته في

الوضع السياسي كانت نادرة منذ الغزو، الذي قادت الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣ م ، إذ قال مع بداية الغزو الأميركي للعراق إنه ((إذا كان هناك حاجة إليهم (أي الأميركيين) فليكن عملهم بإشراف الأمم المتحدة، لا أن يكون وجودهم في العراق على نحو قوات احتلال))^(١٠). إلا أنه في أواخر عام ٢٠٠٣ م تدخل في السياسة للمرة الأولى، داعياً العراقيين إلى المشاركة الكبيرة في الاستفتاء على الدستور، الذي أعقبه تشكيل أول حكومة انتقالية. كما دعا سماحته في فترات العنف الطائفي في البلاد بين عامي ٢٠٠٦ م وحتى ٢٠٠٨ م ، إلى التهدئة. وبعد مرور عام على ذلك، تدخل مرة أخرى لإنهاء المعركة بين جيش المهدي، الذي قاده الزعيم الشيعي مقتدى الصدر، والقوات الأميركية في عام ٢٠٠٤ م .

وفي الوضع الراهن، بعد هجوم "داعش"، وجه سماحته دعوة ضمنية الى تشكيل حكومة وطنية تحظى بتأييد كل العراقيين لها القدرة على تحمل اعباء البلد ومواجهة خطر التطرف المتمثل بـ(داعش) ، كما طالب سماحته البرلمان بالانعقاد في المواعيد الدستورية، لتشكيل "حكومة تحظى بقبول وطني". ودعا ايضا جميع العراقيين من كل الطوائف إلى "مقاتلة داعش"، موضحاً أنه إذا لم يتم طرد هذه الجماعة الجهادية المتطرفة من العراق، فسيندم الجميع غداً، ومعتبراً إياها جماعة تكفيرية، وبلاء عظيمًا، ابتليت بها منطقتنا^(١١).

اما بما يخصّ المسألة الكردية، فدعا إلى عدم التخلي عن مدينة كركوك المتنازع عليها بين العرب والأكراد، مؤكداً على أنه "لا يسمح بدمجها أو بيعها، لأنها نفس كل عراقي، مهما يكن اعتقاده الديني، وأن موضوعها غير قابل للنقاش، أو مسموح بطرحه. وقال إن "ثروات العراق يجب ألا تُقسّم بين أشخاص سمحوا لأنفسهم بالتحدث باسم العراق، وهم يسعون لتقسيمه على وفق المصالح الخاصة.

أما ما يتعلق بمسألة الفتنة الطائفية، فقال إن "هذا العمل مرفوض تماماً"، موضحاً أن "لا صراع دينياً بين الشيعة والسنة في العراق، بل هناك أزمة سياسية، ومن الفرقاء من يمارس العنف الطائفي، للحصول على مكاسب سياسية، وخلق واقع جديد، بتوازنات مختلفة

، يُضاف إلى ذلك ممارسات التكفيريين الذين يسعون إلى تأجيج الصراع بين الطرفين، ولهم مشروعهم المعروف".

وبما يخص مسألة الدستور العراقي الجديد، أوضح أن "أصل الفيدرالية ونوعها المناسب للعراق يجب أن يقرره الشعب العراقي، عبر ممثليه المنتخبين، مشيراً إلى أن الإسلام هو دين غالبية الشعب العراقي، وإذا كُتب الدستور بأيدي منتخبة من قبل العراقيين، فمن المؤكد أنه ستمثل فيه قيم الإسلام، وتعاليمه السمحاء. مشدداً على أن "دستور على أساس فكرة ولاية الفقيه، ليس وارداً".

ورأى في موقفه من موضوع الانتخابات الرئاسية العراقية الأخيرة أن الشعب العراقي قرر مصيره بنفسه من طريق إجراء الانتخابات، ودعا مقلّديه إلى المشاركة في التصويت، باعتبارها واجباً شرعياً.

لقد كانت المرجعية الرشيدة متمثلة بالسيد السيستاني حفظه الله وما زالت على علم ودراية بمخططات الاحتلال في زرع الفتنة الطائفية وتقسيم البلد إلى دويلات متناحرة قائمة على الاصطفاف الطائفي والمناطقية والتي يمكن عدها القنبلة الموقوتة التي تهدد النسيج الاجتماعي العراقي، وإن إثارة الدوافع والانفعالات المذهبية من جهات دينية ورسمية وسياسية ستكرس الكراهية ثم الرغبة في الانفصال وتقسيم العراق إلى دويلات صغيرة، علماً بأن العشيرة كوحدة اجتماعية تعد عامل توحيد، على الرغم من تباين انتماءات أبناء العشيرة الواحدة المذهبية"، و أن الصراع الدائر في العراق، الذي وصل إلى حمل السلاح، أخذ طابعاً مناطقياً بمزاعم الدفاع عن المذهب، بتشجيع من جهات رسمية^(١٢).

الكل يعلم ان المرجعية الدينية في العراق خصوصاً وفي مجمل الدول التي يتواجد فيها الشيعة عموماً لها خصوصية التوجيه والارشاد والنصح من جانب ووضع منهج العمل بالتعبد على فتاويها من جانب آخر إذ تكون الفتوى ملزمة لاتباع أي مرجع يصدر فتواه باتجاه تحقيق الغرض الالهي وما يتعلق بحياة الناس عموماً حين تتعرض حياتهم ومقدساتهم ودينهم الى الخطر الداهم. اليوم نحن في العراق نمر بأقسى ازمة امنية تمر

عليه لأول مرة وبهذا الحجم المؤثر في الواقع السياسي والاجتماعي ان العراق يعاني اليوم من مشاكل حقيقية وتحديات كبيرة فبالإضافة الى التحدي الاكبر في محاربة الارهاب الداعشي والتحديات الامنية الاخرى الناجمة من احتضان البعض للإرهابيين ودعمهم لهم في الفتك بإخوانهم وشركائهم في الوطن بالأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة وفي المقابل اعتداء البعض من حاملي السلاح خارج اطار الدولة على المواطنين الآمنين والتعدي على اموالهم وممتلكاتهم، بالإضافة الى التحدي الامني بمختلف صورته هناك التحدي الاقتصادي والمالي الذي يهدد بانهيار الاوضاع المعيشية للمواطنين نتيجة لاستشراء الفساد المالي والاداري وانتشار الرشى وتفشي المحسوبية والمنسوبية في المجتمع العراقي في الآونة الاخيرة من جهة وغياب الخطط الاقتصادية المناسبة وعدم مكافحة الفساد بخطوات جدية من جهة اخرى ، ومع كل هذه المشاكل نجدها الراعي السلمي وصمام الامان الذي يجمع العراقيين في مختلف طوائفهم وانتماءاتهم الدينية والعرقية ، فقد وجهت دعوات متكررة لأطراف العملية السياسية من مختلف المكونات الى رعاية السلم الاهلي والتعايش السلمي بين ابناء هذا الوطن وحصر السلاح بيد الدولة ودعوة المسؤولين والقوى السياسية التي بيدها زمام الامور الى ان يعوا حجم المسؤولية الملقاة على عواتقهم وينبذوا الخلافات السياسية التي ليس وراءها الا المصالح الشخصية والفئوية والمناطقية الضيقة ويجمعوا كلمتهم على ادارة البلد بما يحقق الرفاه والسعادة والتقدم لأبناء شعبهم، الا ان الساسة والمتاجرين بدماء العراقيين لم يكونوا على قدر المسؤولية من ذلك ، وهذا ما دفع المرجعية الرشيدة في النأي عن نفسها وعدم التدخل في السياسة متخذة من الصمت سلاحا بوجه هؤلاء الساسة .

لقد دأبت المرجعية الرشيدة منذ اليوم الاول للاحتلال إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة إلى تشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة إلى كتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضا إلى اجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة، (مجلس النواب، ومجالس المحافظات والأقضية والنواحي)، وهي تحاول في كل ذلك الحفاظ على

السلم الأهلي للمواطن العراقي ، ولا تزال تمارس دورها على الرغم من مقاطعتها للسياسيين لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل ملفت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين، وخاصة فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات وأخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب.

وفي الثاني من اب ٢٠١٤م أصدرت المرجعية ايضا في هذا الصدد اجوبة لمسألة اختيار رئيس الوزراء طالبت فيه الشخصيات السياسية التي تتزعم البلد الى عدم التشبث بالسلطة الذي يؤدي بالبلد الى الصراعات الداخلية المقيتة وارجاع البلد الى الدكتاتورية البغيضة .

وإذا عدنا إلى أسباب تدخل المرجعية الدينية في الأمور السياسية والعامة للبلاد، فإن هناك عددا من الأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م، جعلت المرجعية الدينية الرشيدة تنهض من طورها التقليدي الذي ابتعد عن التدخل المباشر في الأمور السياسية للعراق، إلى التدخل المباشر، وبطرق عديدة منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها (السياسية والاجتماعية) ، ومنها الدعوة إلى التهدة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية ، للحفاظ على وحدة البلد وتوفير السلم الاهلي للمواطن ، ويمكن إن ندرج بعض هذه الأسباب لذلك ومنها:

١- ترى المرجعية أن دورها يعني الأشراف على شؤون المؤمنين : (الروحية والعبادية والاجتماعية) وهي تكليف وليس تشريف وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزا سياسيا، لذا إن الانتخابات في نظر المرجعية ليست شأنا سياسيا فقط بل هي شأن اجتماعي والشأن الاجتماعي يدخل في دائرة اهتمامات المرجعية وبحكم تصديه لمقام المرجعية الدينية، (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) نفسه ملزما

بالتعاطي في قضية الانتخابات والتي يعتقد أنها الأساس المتين للعملية السياسية وللحياة الاجتماعية في أي مجتمع أو بلد، ومن خلال التأمل في تجارب الأمم التي تتمتع بنظم سياسية مستقرة وبحياة هادئة فسلامة الحياة السياسية يكون بوجود انتخابات حرة نزيهة تعبر عن رأي الأمة واراقتها، على أن إعطاء رأيه بالانتخابات لم يكن ابتدائيا بل جاء كجواب لتساؤل عرضه عليه بعض مقلديه، وقد أجاب على التساؤل المذكور بصفته مرجعا للتقليد لا زعيما سياسيا ولا وليا فقيها، كما أن إصراره على الانتخابات يأتي من باب التلميح والحدس باحتمال ميله للإيمان بولاية الأمة على نفسها وبقيوميتها على ذاتها إذا لم يتم لديه الدليل على ولاية الفقيه المطلقة التي يقول بها البعض لكن ذلك لا يعني عدم تعاطيه السياسة مطلقا، خصوصا وان هناك كثير من الساسة العراقيين والأجانب قد طرق بابه لأخذ المشورة منه في أمور العراق المختلفة.

٢- إن تدخل المرجعية في الحياة السياسية، نابع من مواقفها وحرصها الشديد على أن ينال كل العراقيين حقوقهم، وان لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة، وتأتي أيضا من تفهم المرجعية الرشيدة لأهمية الدستور في حياة أي أمة وهي ترى أهميتها في حياة الأمم المتحضرة، وهو يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب العراقي وان لا يكون لفئة ما امتياز على بقية الفئات وهذا هو موقف ابوي تجاه شرائح المجتمع العراقي وليس موقفا سياسيا الزاميا.

٣- فلقد كانت مرجعية اية الله العظمى (السيد علي السيستاني) ترى بان الامور ستتحسن عند اجراء الانتخابات إذ سيأخذ كل ذي حق حقه، إلا أن ظهور تقصير واضح من قبل الذين تصدوا للعمل السياسي في العراق من مختلف المكونات، من خلال ظهور التقسيم الطائفي- المحاصصة الطائفية- للحكم في العراق وليس على أساس الكفاءة والمؤهلات، كذلك استشرى الفساد المالي والإداري في كل مفاصل الدولة وعلى مختلف المستويات الذي لم يشهده العراق خلال تاريخه السياسي، وأخيرا أدى هذا التناحر بين الكتل السياسية والفساد المالي إلى سوء الخدمات وتزايد مستويات الفقر

وسرقة المال العام، ودخول المجموعات الإرهابية المسلحة التي أهلكت الحرث والنسل من خلال تنظيم داعش الإرهابي والاستيلاء على مساحات واسعة من العراق، وعلى الرغم من التحذير المستمر للمرجعية الدينية للسياسيين من خطورة هذه الأمور على مستقبل العراق، ودعواتها المستمرة إلى الالتزام بحرية الشعب وتوفير العيش السليم له والحفاظ على المال العام، ومطالبتها المواطنين وفي بداية إي انتخابات على مستوى النواب أو المحافظات، إلى الاختيار على أساس الكفاءة والنزاهة لتولي المناصب العليا في البلاد، وذلك في محاولة لتغيير الوضع القائم وإنهاء حالة الانقسام والفساد المستشري بالطرق الديمقراطية عن طريق الانتخابات، إلا إن الوضع بقي على حاله ولم يتغير، بل زاد من سوء الأمور إلى الأزمة الاقتصادية لانخفاض أسعار النفط، كل هذا قاد المرجعية إلى تصاعد دورها في الأمور السياسية للبلاد، وعدم ترك الأمور بيد الساسة الحاليين.

٤- بعد وصول التنظيمات الإرهابية إلى المناطق المقدسة والأهلة بالسكان، وقتلها لآلاف من العراقيين في الموصل وصلاح الدين على أساس طائفي، وعدم وجود قوات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة على وقف تقدم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة الوضع الأمني الحالي، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة، لذا جاءت دعوة المرجعية الدينية لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي ودعمهم بالمال والسلاح، إذ إن تخاذل السياسيين والانقسام بين الكتل والأحزاب السياسية، دفعها لان تأخذ زمام المبادرة في الدفاع عن الوطن والمقدسات والشعب.

٥- تسعى المرجعية الدينية للاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف بوجه الإنحلال والمد التكفيري، ولذا لم توافق على الوجود الأميركي لوقت طويل، كما إن القيادات السياسية كانت تحاول كسب رضا المرجعية الدينية ومباركتها لخطواتها وقراراتها، كما حدث في الانتخابات السابقة لاكتساب الشرعية، كذلك رفضت أغلب هذه القيادات السياسية تواجد الاحتلال في العراق ودعت لا خراجه.

٦- تتمتع المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع ومن مختلف شرائح ومكونات المجتمع، وذلك لمواقفها الوطنية التي لم تفرق بين مكون وآخر، وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق تحقيقاً لتوازن سياسي، وتحقيقاً لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية أو أهلية وصولاً إلى استقرار المجتمع العراقي داخلياً، فقد دعت لل تهدئة في عديد من الاحداث ومنها تفجير الإمامين العسكريين عليهم السلام، لقد كانت المرجعية الدينية واعية للمخططات الامريكية التي تحاك ضد العراق ومحاولة إثارة الحرب الطائفية فيه، فكان لهذا التأييد الشعبي الواسع لها بمثابة دعوة شعبية لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد، وعدت الملجأ الأول والأخير للعراقيين للوقوف بوجه السياسة الإدارية غير الفعالة في العراق .

٧- بعد المظاهرات الأخيرة المطالبة بالإصلاح والخدمات، دعت المرجعية الدينية عبر وكلائها في كربلاء إلى الاستجابة لمطالب المتظاهرين وتوفير الخدمات إليهم والقيام بالإصلاحات الضرورية، لقد سبقت المرجعية هذه الدعوات بسنوات عديدة، إذ ومنذ الاحتلال دعت إلى الإصلاح السياسي وتوفير الخدمات والأمن للشعب العراقي، لهذا كانت دعوة المرجع الأعلى (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) ومن خلال وكيله المرجعية في كربلاء في خطب الجمعة الحكومة العراقية باتخاذ "خطوات جادة" لتحسين الأوضاع في البلاد غداة تظاهرات عمت المحافظات العراقية وقال: "إن المرجعية الدينية العليا إذ تقدر عالياً أداء المواطنين الأعزاء ممن شاركوا في مظاهرات يوم أمس بصورة سلمية حضارية ومن لم يشاركوا تحسباً لمخاطر استغلالها من قبل ذوي المآرب الخاصة تدعو مجلس النواب والحكومة العراقية إلى اتخاذ خطوات جادة وملموسة في سبيل تحسين الخدمات العامة ولاسيما الطاقة الكهربائية ومفردات البطاقة التموينية وتوفير فرص العمل للعاطلين ومكافحة الفساد المستشري في مختلف دوائر الدولة، وقبل هذا وذاك: اتخاذ قرارات حاسمة بإلغاء الامتيازات غير المقبولة التي منحت للأعضاء الحاليين والسابقين في مجلس النواب ومجالس المحافظات ول كبار المسؤولين في الحكومة من الوزراء وذوي الدرجات الخاصة وغيرهم والامتناع عن استحداث مناصب

حكومية غير ضرورية تكلف سنويا مبالغ طائلة من أموال هذا الشعب المحروم وإلغاء ما يوجد منها. إن المرجعية الدينية التي طالما أكدت على المسؤولين بضرورة العمل على تحقيق مطالب الشعب المشروعة تحذر من مغبة الاستمرار على النهج الحالي في إدارة الدولة ومما يمكن أن ينجم عن عدم الإسراع في وضع حلول جذرية لمشاكل المواطنين الذين صبروا عليها طويلاً، كما أكد المرجع الأعلى أيضاً على: "إن المرجعية الدينية العليا في الوقت الذي تؤكد على تعاطفها مع مطالب المواطنين المشروعة وحقوقهم في التعبير عن آرائهم بصورة سلمية، تبدي قلقها من أن تخرج التظاهرات التي دعت إليها بعض الأطراف عن السيطرة وتستغل من قبل ذوي المآرب والأجندات الخاصة وتؤدي إلى إزهاق الأرواح والتعدي على الممتلكات العامة والخاصة، ولذلك تهيب بالمواطنين إلى أن يكونوا على حذر من هذا الأمر.

٨- إن القوة الناعمة التي اعتمدت عليها المرجعية الدينية في النجف، التي تعتمد على أسلوب التصاعد الهادئ، في نبرة المطالبة بالتغيير والإصلاح، وهو أسلوب دبلوماسي أنموذجي جديد، يستحق فعلاً أن يكون مدرسة مستقلة بذاته؛ لأن المرجعية نجحت بأدوات وطرق بسيطة تمتلكها- إذ أنها لم تمتلك لأي جناح من أجنحة السلطة- من أن تغير كثيراً من المعادلات، من دون الخروج عن أطر النسقية و الديمقراطية الحاكمة في البلد، إذ إن المظاهرات التي حصلت في العراق، لم تكن عفوية، بل أنها جاءت متناغمة مع منهج التصاعد البطيء، الذي اتبعته المرجعية الدينية، في تصعيد خطابها الإصلاحي، ضد فساد سلطات الدولة ومؤسساتها، إلى درجة وصلت فيها حالة التناغم بين الجمهور وبين المرجعية، بأن يكون كلام المرجعية شعارات ترفع، ومطالبات رسمية تقدم من قبل الجماهير، مع انصياع عجيب من قبل الحالة العامة للمتظاهرين مع توصيات المرجعية، في ضبط إيقاع المظاهرات، وضبط الحالة الانفعالية، وفورة الغضب لدى الجمهور في مجملها العام.

ومن هذا كله تثبت لنا المرجعية الرشيدة إن لها الدور الفعال والذراع الطولى في عملية بناء المؤسسات، والقيام بالتغيير والإصلاح، إذ لا يوجد أي دور ملموس للسياسيين

ورجال الدولة العراقية في حركة الإصلاح والتغيير الأخيرة، فمن خلال أدواتها البسيطة المعتمدة على ثقة الجمهور بها، وبنزاهتها وبجالتها الأبوية، ومن حسن وصفه وفعله من السياسيين، لا يمكن إعطاءه دور أكبر من دور المنفذ لتوصياتها؛ احدثت المرجعية الدينية ثورة للمطالب والإصلاح، وان دورها سوف يكون له وقع خاص في احداث العراق اللاحقة، فقد استجاب لمطلبها كل السياسيين العراقيين، سنة وشيعة وكرد، اذ إن تصويت البرلمان على حزم الإصلاح في البرلمان وبوقت قصير جدا ما كان لتحدث لو لا تدخل المرجعية الدينية، كما إن ضبط الشارع والمظاهرات هو الآخر ما كان إن يكون سلميا لولا دعوة المرجعية الى سلمية المظاهرات، واحترام المؤسسات العامة، فقد راينا سابقا كيف تحولت مظاهرات واعتصامات أهل الانبار والموصل - على الرغم من الفارق الكبير بين هذه المظاهرات وتلك- الى اعمال عنف، وايواء المعارضين للعملية السياسية، والطائفيين، والسبب هو عدم وجود مرجعية دينية تقودهم نحو السلمية والتهدة.

وما زالت المرجعية الدينية الرشيدة وعلى رأسها (اية الله العظمى السيد علي السيستاني) ترقب الأحداث يوميا وبدقة، وتسعى للحفاظ على التظاهرة التي غايتها الإصلاح، وأن لا تُجبر لجهة سياسية، وبالاخص الجهاات الرسمية والحزبية التي قد تنبري لاحتواء هذه التظاهرة بالمال وبالوعود الوردية الكاذبة، لأنه من الخطر أن تقدم الجهات الحزبية المتهاكة على المنصب والمال لتبنى تلك التظاهرات، كم لا بد لنا أن لا ننسى الدور الذي يلعبه البعثيون في مراقبة الساحة السياسية والعمل بالخفاء لاستغلال الموقف لصالح أجنداتهم الخاصة. وإن تظاهرة السابع من آب من هذا العام أظهرت أهمية الدور الذي تؤديه المرجعية الدينية في تجسيد المشروع المقاوم للفساد المنتشر في جميع مرافق الدولة داخل البرلمان التشريعي والحكومة التنفيذية؛ بسبب المحاصصة والشاركة البغيضين، كما أظهرت التظاهرة أهمية الحشد الشعبي الطبيعية للدفاع عن المشروع الإصلاحي للدولة العراقية بدأ من مقاومة الإرهاب وانتهاء بمقاومة الفساد المستشري في أوساط الطبقة السياسية والطبقة الحاكمة، ولقد آن الأوان للشروع بعملية

الإصلاح السياسي والأخلاقي، ومحاربة الفساد بتغيير بعض بنود الدستور لإنهاء حالات الجنوح السياسي والقانوني.

الخاتمة

بعد هذا التجوال الممتع والجميل في مواقف المرجعية الرشيدة وأثرها في السلم الأهلي نصل الى الخاتمة التي نوجزها :

١- لقد اثبتت المرجعية الرشيدة بأنها الصمام الامان ، ليس للمسلمين فقط بل لجميع اطراف الشعب العراقي .

٢- لقد اثبت الحشد الشعبي بأنه الاداة الرادعة لكل مخططات الاستعمار ودوائره الامبريالية

٣- ترى المرجعية أن دورها يعني الإشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية وهي تكليف وليس تشريف وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزا سياسيا .

٤- إن تدخل المرجعية في الحياة السياسية، نابع من مواقفها وحرصها الشديد على أن ينال كل العراقيين حقوقهم، وان لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة وهو يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب العراقي

٥- جاءت دعوة المرجعية الدينية لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي ودعمهم بالمال والسلاح ، لإدراكها خطورة الوضع الأمني الحالي، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة .

٦- تسعى المرجعية الدينية للاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف بوجه الإحتلال والمد التكفيري .

٧- على الرغم من التأييد الشعبي الواسع لها ، الا أنها لم تفرق بين مكونات الشعب العراقي تحقيقا لتوازن سياسي، وتحقيقا لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية او اهلية وصولا الى استقرار المجتمع العراقي داخليا .

٨- نجحت المرجعية بأدوات وطرق بسيطة تمتلكها إذ انها لم تمتلك - لأي جناح من أجنحة السلطة- من أن تغير الكثير من المعادلات، من دون الخروج عن أطر النسقية الديمقراطية الحاكمة في البلد .

٩- تراكم الازمات واستفحال الاخفاقات في الشأن العراقي دفع المرجعية الرشيدة في النجف الاشرف الى مخاطبة الحكومة العراقية بلسان الشعب بضرورة الاصلاح ومحاسبة الفاسدين .

المقترحات

ولأجل تطوير وجود وعمل الحوزة الدينية في الشؤون السياسية بصورة أكثر فعالية، نقترح إن يتم إشراك علماء الدين من ذوي الخبرة والاختصاص في مناصب في السلطة القضائية والمؤسسات المدنية الأخرى في الدولة، لأجل العمل على التزام الدولة بحقوق المواطنين، ومنع المسؤولين من التعدي على حقوق المواطنين والمال العام، وتطمين الشعب من إن المرجعية الدينية قريبة من صنع القرار ومهتمة بتنفيذ مطالب المواطنين، وأخيراً تشكيل مجلس شورى مرجعي موحد ، يجمع كل مراجع الدين في الحوزات الدينية المختلفة ، لتشكيل قيادة موحدة للتشاور في إدارة شؤون البلاد وتوحيد دورها القيادي في المجتمع.

الملخص:

وللكتابة عن هذا الموضوع الموسوم فتاوى المرجعية وأثرها في تحقيق السلم الأهلي في العراق يتطلب منا التمعن والتبصر بتلك الانتصارات والبحث عن القوة الحقيقية الكامنة وراء تلك الحشود العظيمة ، لهذا ارتأينا أن نقسم البحث على ثلاثة مباحث تناولنا في الاول ومضات تاريخية عن فتاوى المرجعية ، وفي الثاني المرجعية وفتاوى الجهاد المقدس ، وفي المبحث الثالث فتاوى المرجعية وأثرها في تحقيق السلم الأهلي ، لنختتم بحثنا بخاتمة ونتائج للبحث ومن ثم قائمة بأهم المصادر الداعمة للبحث إن النصر الحقيقي على "داعش" يتمثل في النهاية بالتفاف الشعب حول مرجعيته الرشيدة والتي عودتنا على مواقفها الحاسمة في اصعب الظروف وأحلكها ؛ لتكون بذلك صمام أمان لكل

العراقيين والداعم الاساسي لقوات الحشد الشعبي مدعومة بالقوات المسلحة وأبناء العشائر الغيارى ليخرج العراقيون من المعركة أمة واحدة عراقية يجمعها وطن نهائي واحد هو العراق الجميل الواحد المستقل المزدهر.

الهوامش:

(١) ينظر: موسوعة السياسة العراقية ، د. حسن لطيف الزبيدي ، دار العارف ، بيروت ، ٢٠١٢ م، ط٢ : ٥٨٢ .

(٢) ينظر : موجز تاريخ العراق السياسي الحديث ، مختار الاسدي ، مركز النهرين الصديدين للدراسات والبحوث / النجف ، ٢٠٠١ : ١٤ .

(٣) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، سليم الحسيني ، مؤسسة الثقلين ، دمشق ، د.ت : ٢٤٤٠ .

(٤) ربيع الشعوب ، وخريف الدكتاتوريات ، اكرم الحكيم ، مطبعة العدالة ، بغداد ٢٠١٢ : ١٤٤ .

(٥) الحراك الجماهيري الشعبي الواسع والتغير في البلدان العربية.. د.علي عودة العقابي.. دار الضياء.. بعداد ٢٠١٣ : ٨٥ .

(٦) السيد علي الحسيني السيستاني، حياته فكره، اصدار مكتبة الحضارة.. بيروت لبنان.. ٢٠١٠ : ٢٠٨ .

(٧) الاسلام يقود الحياة.. محمد باقر الصدر، مجمع الثقلين العلميط ٣.. بعداد ٢٠٠٤ : ٢٠١٠ .

(٨) الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسيني.. مؤسسة المحبين، قم.. ١٤٢٦ هـ : ٢٧ .

(٩) في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، دار التيار ، بيروت لبنان ، ٢٠١٣ ، ٣ : ٢٣١ .

(١٠) السيد علي الحسيني السيستاني، حياته فكره: ١٩٦ .

(١١) نفسه ١٠٢ .

(١٢) دور العلماء الشيعة : ٨٦ .

المصادر والمراجع

- خير المصادر القرآن الكريم
- الاسلام يقود الحياة.، محمد باقر الصدر، مجمع الثقلين العلميط٣، بغداد، ٢٠٠٤م.
- الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسيني.، مؤسسة المحبين، قم. ١٤٢٦هـ.
- الحراك الجماهيري الشعبي الواسع والتغير في البلدان العربية. د.علي عودة العقابي. دار الضياء. بغداد ٢٠١٣م .
- دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، سليم الحسيني ،مؤسسة الثقلين ،دمشق ،د.ت .
- ربيع الشعوب، وخريف الدكتاتوريات، اكرم الحكيم ، مطبعة العدالة ، بغداد ٢٠١٢م .
- السيد علي الحسيني السيستاني، حياته فكره، اصدار مكتبة الحضارة.، بيروت لبنان. ٢٠١٠م .
- في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، دار التيار ، بيروت لبنان ، ٢٠١٣م .
- موجز تاريخ العراق السياسي الحديث ، مختار الاسدي ، مركز الشهيدان الصدرين للدراسات والبحوث ، ط١ ، ٢٠١٤م .
- موجز تاريخ العراق السياسي الحديث، مختار الاسدي ، مركز النهرين الصدرين للدراسات والبحوث /النجف ، ٢٠٠١م .
- موسوعة السياسة العراقية ، د. حسن لطيف الزبيدي ، دار العارف ، بيروت ، ٢٠١٢م ، ط٢ .

الأسس الفكرية والعلمية في التراث الإسلامي وأثرها في التقارب

بين المذاهب الإسلامية

أ.م.د. محمد جواد كاظم السلامي
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

المقدمة:

لا شك في أن اتحاد الأمة الإسلامية على أسس ديننا العظيم هو أمل كل المسلمين في كل مكان؛ ذلك أن الإسلام هو الذي جعل من العرب المتناحرين إخوة في دين الله، والمسلمون في عصر المواجهة الحضارية والثقافية والسياسية بأمس الحاجة إلى وحدة الفكر والبناء والعمل المشترك من أجل بناء قوة الأمة الإسلامية، والحفاظ على قوتها وعزتها.

وهذا يستدعي التعريف بالجسور المتينة التي تقوم عليها وحدة الأمة، وخصوصاً في المجالات الفكرية والعلمية في المجالات الكلامية والفقهية والأصولية؛ ذلك أن الخلاف فيها بين المذاهب الإسلامية في جوهره أمر يسير، ونقاطه قليلة محصورة بسبب وحدة المصادر الاستنباطية والاعتماد على أصالة القرآن الكريم والسنة الشريفة، ووجوب رد كل نزاع أو خلاف إليهما، لذا فإن نقاط الالتقاء بين المذاهب الإسلامية أكثر مما يفرقها. ومن هنا اقتضى البحث في أهم الأسس الفكرية والعلمية بين المذاهب الإسلامية لتحقيق الغرض المنشود وهو التقارب فيما بينها، واستكناه الثروة الفكرية التي تركها لنا علماء الأمة.

ومن أجل إعطاء صورة واضحة للبحث فقد قسمته على مقدمة ومبحثين، عرض المبحث الأول التعريف بمفهوم (التقارب والمذاهب) في اللغة والاصطلاح، وكذلك بيان أهمية التقارب بين المذاهب الإسلامية، وعرض المبحث الثاني الأسس العلمية والفكرية للتقارب بين المذاهب الإسلامية، فضلاً عن الموانع والعقبات التي قد تقف في طريق التقارب، مختتماً البحث ببعض النتائج، ومذلياً البحث بقائمة من المصادر.

المبحث الأول

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: مفهوم (التقارب والمذاهب) في اللغة والاصطلاح
أولاً: تعريف التقارب في اللغة والاصطلاح:

١. التقارب لغة.

القرب: نقيض البعد، والتَّقَارُبُ ضِدُّ التَّبَاعُدِ، قال سيبويه: إِنَّ قُرْبَكَ زَيْدًا، وَلَا تَقُولُ إِنَّ بُعْدَكَ زَيْدًا، لِأَنَّ الْقُرْبَ أَشَدُّ تَمَكُّنًا فِي الظَّرْفِ مِنَ الْبُعْدِ... وَتَقَارَبَ الشَّيْئَانِ: تَدَانِيَا.^(١)
والبعد نقيض القرب، والتباعد نقيض التقارب.^(٢) فالتقارب مصدر مشتق من الفعل قرب، وهو الدنو.

٢. التقارب اصطلاحاً.

لا نكاد نجد تعريفاً واضحاً للفظ (التقارب)؛ لأن هذا اللفظ من مستحدثات هذا العصر، ولكن يمكن أن نقف على بعض التعريفات التي تتقارب مع هذه اللفظة، فمثلاً عُرِّفَ بأنه:

أ. مقارنة اليقين في الاعتقادات والأحكام، وذلك حين توصلنا الأدلة والبراهين إلى نتائج وحقائق على درجة من الصحة والثبوت، يتلاشى معها احتمال الخلاف، وهذا يفضي إلى مقارنة التمام والمنتهى من دون الوصول إليه.^(٣)

ب. محاولة جادة لتعزيز الروابط بين أتباع المذاهب الإسلامية، عن طريق تفهم الاختلافات الواردة بينها، ونزع آثارها السلبية، وليس إزالة أصل الاختلاف في البين.^(٤)
ج. اتجاه فكري داخل أمة الإسلام، مجرد تماماً من اللون الطائفي والإقليمي، هدفه التخلص من العداوة المتبادلة بين أهل المذاهب الإسلامية المختلفة وصيانة وحدة المسلمين.^(٥)

د. أن يكون بين المذاهب الإسلامية تعارف والتقاء، وهذا يشير إلى ما بينهما من حالة التنافر والتباعد، وإلا لما كان لإطلاق لفظ التقارب معنى.^(٦)

وعلى هذا فالتقارب إذن وسيلة لجمع ورأب الصدع، وتبادل حسن الظن والتقدير من أجل وحدة الأمة، والتأكيد على أن التقارب لا يراد به إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، بل الغرض منه هو إزالة ما يكون سبباً للعداء والبغضاء، وتبديل التباعد والتضارب بالإخاء والتقارب.^(٧)

يقول الشهيد المطهري بهذا الصدد: "إن اختلاف المسلمين في المسائل الكلامية والفقهية ليس بالمستوى الذي يزعزع وحدتهم العقائدية العملية؛ لأن مشتركاتهم العقائدية والعملية من الكثرة بحيث لا تباريها موارد الخلاف بينهم".^(٨)

ومنهم من يرى أن التقارب لا يقصد به أن يلغي المسلم انتماءه المذهبي، كأن يكون السني شيعياً أو العكس، وأن يتخلى كل ذي مذهب عن مذهبه، وليس أن يجعل جميع المذاهب مذهباً واحداً، حتى لا يبقى من المذاهب المختلفة أثر، ويصبح المسلمون على مذهب واحد، بل إن الغاية منه هو أن يسود بين المذاهب الإسلامية تعاون وثيق وتفاهم، وتقارب يزيل الشك، ويؤكد صدق النوايا، ويعبر عن الأخوة الإسلامية، ويعمل على وحدة الكلمة ونبد الفرقة، وألا يكون الخلاف في الرأي بين الفقهاء سبباً للعداء والبغضاء.^(٩)

يقول السبحاني في هذا الصدد: "المراد من التقارب هو التقارب بين القادة للمذاهب وبالتالي بين القادة وأتباعهم، وذلك من خلال رسم الخطوط العريضة المشتركة التي تجمع المذاهب الإسلامية في مجالي العقيدة والشرعية، وأنه لو كان هناك خلاف فيهما فهو بالنسبة إلى الأمور المتفق عليها قليل جداً... فاللازم على المسلمين في هذه اللحظات الحاسمة، التمسك بالعروة الوثقى وبجبل الله المتين والانظواء تحت المشتركات وإرجاع الاختلافات إلى المدارس والمحافل العلمية التي يكثر فيها البحث والجدال، وفي النهاية يخرجون منها إخوة متحابين .

هذا هو الذي يدعو إليه دعاة التقارب، وهو عدم إفناء مذهب في مذهب، بل إلفات أنظار القادة إلى المشتركات المتوفرة بين المذاهب، وترك الاختلافات إلى المدارس ومراكز البحث التي لا يضر الخلاف فيها بالوحدة وجمع الشمل".^(١٠)

ثانياً: المذهب في اللغة والاصطلاح

١. المذهب لغة:

المَذْهَبُ مصدر، كالذَّهَابِ، والمَذْهَبُ: الْمُعْتَقَدُ الذي يُذْهَبُ إليه؛ وَذَهَبَ فلانٌ لِدَهْبِهِ أي لِمَذْهَبِهِ الذي يَذْهَبُ فيه، ويقال: ذَهَبَ فلانٌ مَذْهَباً حَسَناً^(١١)، وهو الطريقة والأصل^(١٢)

٢. المذهب اصطلاحاً:

عُرِّفَتْ لفظة المذهب بتعريفات متعددة ومختلفة، وهذه التعريفات لم تخرج في مضمونها عن المعنى اللغوي وهو الطريق أو الاصل، فقد عُرِّفَ بأنه:

أ. العمل الفكري المستند إلى الدليل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع والقياس أو غيرها من الأدلة المبنية على قواعد وأصول أقرها الفقهاء والعلماء فيما ورد من مسائل العادات وقضايا المعاملات، ودرسوها وقلبوها واستخلصوا منها ما رأوه صحيحاً وصالحاً للعمل به لأنفسهم أولاً، ولمن اقتنع بدليل اجتهادهم، وذلك ما ورثوه للأجيال من بعدهم كنوزاً ثمينة أغنت الفكر الإسلامي.^(١٣)

ب. طريقة تعبد واستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، ويختص المذهب بعقائد وأصول تميزه عن غيره.^(١٤)

ج. الاتجاه الذي سار عليه كل إمام من أئمة الاجتهاد في استنباطهم للأحكام، من حيث اعتمادهم على الرأي أو على النصوص، أو عليهما معا.^(١٥)

ويتضح أن لفظ المذهب يتمظهر بأشكال عدة وبحسب ما يضاف إليه، وبحسب مسار البحث فإن هذا اللفظ يطلق ويراد به ذلك الاتجاه الفكري الذي يسير عليه العلماء والأئمة من الفقهاء والمتكلمين، مستندين فيه على الأدلة النقلية والعقلية من النصوص الدينية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وعلى غيرها من الأسس والقواعد المعمول بها في علم الفقه والأصول.

المطلب الثاني: أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية

تنطلق أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية من مكارم الشريعة الغراء، ومن مدلولات التشريع، وأهدافه الرامية إلى توحيد كلمة المسلمين وفق الأمر الإلهي الذي أعربت عنه

الآية المباركة: {واعتصموا بحبل الله ... فانقذكم منها}، وغيرها من الآيات الكريمة التي دلت على جوب الاعتصام بالسبل المنجية من التمزق والتشردم، والحائاة على هدي الله السليم ونهجه القويم.

كما تنطلق هذه الأهمية من مقتضيات حال المسلمين وواقعهم، ومما تحتمة مصلحتهم المشتركة من وجوب التعاون والتآزر، الامر الذي استدعى وبشكل محكم ومنظم وضع سبيل التقارب في إطار مشروع حضاري استمد فلسفته من ضرورة دينية، ورؤية موضوعية تستهدف مصلحة المسلمين في الحال والمآل.

ومن هنا تأتي ضرورة مواصلة الجهد والعمل من أجل التقريب، لاسيما وان المسلمين اليوم أشد ما يكونوا احتياجاً إلى ذلك؛ إذ من شأنها أن توصل بالعمل الإسلامي إلى ترسيخ مبدأ التآلف والتقارب، وبند الاختلاف بأسهل السبل، وأيسر الأساليب؛ ليصبحوا كما أراد الله سبحانه إذ قال: {خير أمة أخرجت لناس}، أخوة في الله متحابين غير متفرقين ولا متنازعين، ينعمون بوحدة التشريع، ويرفلون في حلل الدين القويم.^(١٦) لذا فإن مسألة التقريب ليست بمستعصية الحل ولا صعبة المنال، خصوصاً وأنها قد ارتكزت على أسس ومبادئ رئيسة، وإن من شأن التقارب بين المذاهب الإسلامية أن يضيق هامش الفرقة بين أتباعها، وأن يقوي اللحمة الإسلامية ويجذرهما في قلوب المسلمين، وبغياب ذلك كله فإن المشكلات الاجتماعية تتضاعف وتتكاثر الاضطرابات الفكرية، ويختل الأمن الاجتماعي والاقتصادي، وتتسع رقعة الاختلافات.

ومن هنا يتبين أن التقريب يعد أحد مرتكزات الاستقرار الشامل، الذي تشتد حاجة الأمة إليه؛ لتحقيق حياة إسلامية أرغد، وعيش إيماني أهنأ، في جو من التكامل والتعاقد والتناصر، مما سيتيح للأمة الإسلامية أن تجد لها مكانها في الحياة المعاصرة، وتتمكن بتقاربها وتكاملها من الحفاظ على ذاتيتها وهويتها، وتستطيع أن تقي نفسها ومقدراتها ومستقبلها من أي هيمنة، لاسيما وأن لديها من المقومات الحضارية والتاريخية والتشريعية والإنسانية، مما ليس لدى غيرها من الأمم.^(١٧)

فضلاً عن أن التقريب بين المذاهب الإسلامية يعد عاملاً مهماً في تضيق رقعة الخلافات والحد من انتشار ظاهرة التعصب المفضية إلى التفرقة والفتن، وجسراً متيناً لترسيخ قيم الائتلاف والتسامح واتباع صراط الرشاد الهادي إلى تماسك الأمة وتدعيم عناصر وحدتها، وهو ما أكدته المنهج الإلهي في قوله تعالى: {وَأَنْ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}،،، لعلكم تتقون}. ﴿الأنعام: ١٥٣﴾.

إن عملية التوفيق بين الانتماءات أمر ممكن إلى حد بعيد، فالمحبة "تبتدئ بمحبة الأسرة والعشيرة، ثم الجماعة، ثم الوطن، ثم الجماعة الكبرى في الإسلام، ولا تلغي الدرجة العليا ما دونها، ولكن المنهي عنه المحبة التي تؤدي إلى الفرقة والانقسام، وتعرض على الظلم، وهي العصبية الجاهلية" (١٨).

كل هذا يؤكد على حقيقة لا بد من الالتفات إليها في مسألة التقارب، وهي تحويلها من حالة الشعارات والعواطف والمشاعر المحبوبة إلى عمل هادف له مبرراته ومجالاته الواضحة؛ لأن الوحدة الإسلامية ليست مجرد رغبة أكيدة وأمل كبير وحسب، بل هي عمل واجب من الناحية الشرعية والإسلامية، وفي الوقت نفسه ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية، وشرط من شروط القدرة على المواجهة في الصراع الحضاري.

ومن هنا يمكن إبراز جملة مبررات تؤكد على التقريب وتحت عليه، من أهمها: (١٩)

١. إن الوحدة الإسلامية توفر القدرة الحقيقية التي يمكن أن يستند إليها المسلمون في صراعهم الحضاري - بعد الله سبحانه -، فإن الأمة الإسلامية وإن كانت تمتلك طاقات بشرية كبيرة وإمكانات مادية هائلة، ومواقع استراتيجية هامة، وروح معنوية عالية، وحضارة ونظرية عقائدية وفكرة متكاملة في نظريتها للحياة، ولكن بدون الوحدة بين أطراف المسلمين سوف تتحول - كما هي الآن - إلى مجرد فريسة للأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، الذين يمتلكون كل الدوافع للنيل من هذه الأمة المباركة، أو تتحول الأمة إلى إفراغ طاقاتها في الصراعات الداخلية والجانبية بعيداً عن الأهداف الحقيقية لها.

٢. إن الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرصاً كبيرة وواسعة للبحث والتقصي والاجتهاد للنظرية الإسلامية بما يخدم مواجهة التحديات الفكرية والنظرية، ومعالجة المشكلات الإنسانية التي خلقتها الحضارة المادية والتطور العملي والمدني، فإن مثل هذا التطور في الأبحاث والدراسات والفهم إنما يمكن أن يحصل في ظل الاستقرار والتفاهم وحرية الرأي واحترامه، وتكامل الجهود بعضها إلى بعض الآخر.

٣. إن الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرص التطوير والنمو في العالم الإسلامي على المستويين المادي والمعنوي، وبذلك يمكن للنظرية الإسلامية أن تثبت من خلال تحقيق النموذج الاجتماعي الإسلامي القدوة والمتطور، القادر على حل المشكلات الاجتماعية؛ فإن التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي والروحي والاجتماعي بين أطراف الأمة الإسلامية وإمكاناتها المتوزعة سوف يحقق ذلك إلى حد بعيد.

٤. إن التقريب بين المذاهب الإسلامية يرفع الجهل والعصبية والحمية الجاهلية عمن انصرف عن الدين الحنيف، وانشغل بالتفريق بين المسلمين، وبرجعه إلى الاعتدال والتعايش السلمي في مظلة واحد وهي مظلة الدين الإسلامي الواحد.

٥. إن الوحدة الإسلامية تقطع الطريق على أعداء الإسلام وإفشال مخططاتهم التي ترمي إلى تفكيك الأمة الإسلامية، ومن ثم الاستيلاء على مقدراتها. وبذلك يمكن للوحدة الإسلامية أن تساهم في خدمة الإنسانية والتطور الحضاري للبشرية جمعاء، في الوقت الذي تحقق فيه أهدافها على مستوى الأمة الإسلامية.

المبحث الثاني

الأسس العلمية والفكرية للتقارب - سبل التقارب وموانعه-

المطلب الأول: الأسس العلمية والفكرية للتقارب بين المذاهب الإسلامية

ترتكز مسألة التقارب بين المذاهب على أمرين مهمين:

١. الأسس العلمية للتقارب

إن موضوع التقارب يتأتى بكل منطقية ووضوح إذا لوحظت الأسس الآتية، والتي تؤمن بها كل المذاهب الإسلامية من دون استثناء، وهي:

أ. الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى وهي: التوحيد الإلهي (في الذات والصفات والفعل والعبادة) وبالنبوة الخاتمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والقران الكريم الذي جاء به وما فيه، والمعاد يوم القيامة.^(٢٠)

ب. الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الأفعال العبادية.^(٢١)

ج. الالتزام الكامل بأن كتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان لمعرفة رأي الإسلام في شتى الأمور: المفاهيم (عن الكون والحياة والإنسان: ماضيه وحاضره ومستقبله في الحياتين) والأحكام والشريعة التي تنظم حياته وسلوكه الفردي والاجتماعي، أما الأصول والمصادر الأخرى كالعلل والقياس والاجماع وأمثالها فهي لا تملك أية حجية إلا إذا استندت إلى ذينك المصدرين الكريمين (الكتاب الكريم والسنة المطهرة) واستمدت مصدريتها منهما.^(٢٢)

فإذا ثبت عدم الاستناد إليهما فضلاً عما إذا ثبتت مخالفة الرأي أو المنقول عنهم للكتاب والسنة فإنهما يُرفضان لا محالة، وقد صرح أئمة المذاهب جميعاً بهذه الحقيقة بوضوح، وأنهم يستقون من هذين المصدرين لا غير، فقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد ذلك من قبيل قول الإمام الصادق (عليه السلام): "كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة"^(٢٣)، ويقول مالك بن أنس: "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة"^(٢٤)، ويصرح الشافعي بما يقرب من هذا، إذ يقول: "إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط"^(٢٥).

د. الالتزام بأن الإسلام سمح لعملية الاجتهاد كونها عملية (بذل الوسع لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره) أن تكون هي الموصلة لمعرفة الإسلام، كما انها تلعب دورها في التأكيد على مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية طبقاً لمعايير وضوابط معينة، وهذا يعني بالضرورة إمكان إيجاد الصلة بين مختلف النتائج التي يؤدي إليها الاجتهاد وبين الإسلام حتى لو كانت مختلفة ومتضادة فيما بينها؛ وذلك

لاختلاف الأفهام وزوايا النظر والقناعات، وهو ما يدرس تحت عنوان (أسباب اختلاف الفقهاء). (٢٦)

والاسلام إذ سمح بذلك فلأنه دين واقعي فطري، فلا طريق لمعرفة أية شريعة ممتدة على مدى عصور ينقطع وحيها ويموت معصومها إلا عن طريق الاجتهاد، على الرغم من أن هذا الطريق قد يتلى أحياناً بالذاتية، ويفرز آراءً متخالفة قد لا يطابق بعضها واقع المراد الإسلامي في علم الله تعالى، وهذا لعله هو الأسلوب المنطقي الذي يعم استنباط كل الأمور كالعقائد والمفاهيم والأحكام، بل وحتى المواقف الإسلامية من بعض القوانين الوضعية.

هـ. إن مبدأ (الوحدة الاسلامية) يعبر عن خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة المباركة، وبدونها لا يمكن لها ان تدعي اكتمال هويتها، وقد وضع الإسلام خطة متكاملة لتحقيق هذه الوحدة، بانياً لها على أساس الاعتصام بمجبل الله المتين (وهو كل سبيل معصوم يوصل إلى الله تعالى)، ومؤكداً على وحدة الأصل والخلق ووحدة الهدف ووحدة الشريعة والمسير، داعياً إياها لدخول الجميع في إطار التسليم الكامل لله عز وجل، ونفي خطوات الشيطان، ومذكراً بآثار الوحدة، وغارساً المثل الأخلاقية وعناصر التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام، حاذفاً كل المعايير الممزقة كاللغة والقومية والوطن والعشيرة واللون، مركزاً على المعايير الإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد، ومؤكداً على لزوم تحري نقاط اللقاء وداعياً إلى استخدام المنطق السليم، منطق الحوار الهادئ الموضوعي. (٢٧)

و. إن مبدأ الأخوة الإسلامية هو الذي ينظم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام، وإن آثاره لا تقتصر على الجوانب الأخلاقية فحسب، بل تتعداها إلى الجوانب التشريعية، وتترك أثرها الكامل على عملية الاجتهاد نفسها، لكي لا تشهد أحكاماً في الساحة الإسلامية تتناقض معه.

هذه الأسس وغيرها هي من أهم ما يمكن ان تبتني عليه حركة التقريب، فيكاد التصديق بالأسس يؤدي بشكل منطقي عفوي للإيمان بهذه الحركة. (٢٨)

لذا فإن التقريب لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية ولا على الشعارات، ولا يتحدد بالجوانب التشريعية أيضاً، بل يعبرها إلى مختلف الجوانب الفكرية والحضارية، ويلزم ذلك النخب المفكرة الفقهية والفكرية، بل يمتد ذلك إلى النخب المفكرة من الجماهير عبر تثقيفها بثقافة التقريب؛ لأن الإسلام إن كان يسمح بالاختلاف الفكري غير المخرب والطبيعي، فإنه لا يسمح مطلقاً بأدنى خلاف في الموقف العملي من القضايا المصيرية الداخلية والخارجية، ولذلك يعد الراد على الحاكم الشرعي (وهو الجهة التي يفترض بها أن تكون الموحدة للموقف العملي للأمة) راداً على الله بعد أن اقترنت طاعته بطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢. الأسس الفكرية للتقارب

وتتضح هذه الأسس في المظاهر الآتية:

أ. التقريب على مستوى العقيدة.

من المعلوم أنه لا بد للأمة الواحدة أن تكون لها أصول اعتقادية واحدة، وهذه الأصول لدى الأمة الإسلامية – بإجماع كل علماء المذاهب – التوحيد والنبوة والمعاد، وإنكار واحد منها أو عدم الإيمان به يخرج الفرد من دائرة الإسلام بإجماع العلماء وبنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإذا كانت ثمة أصول أخرى فهي من أصول المذهب لا من أصول الدين، كالإمامة لدى الشيعة والعدل لدى الشيعة والمعتزلة، فالاعتقاد بهذه الأصول الثلاثة كافٍ لإيجاد وحدة عقائدية بين أبناء الأمة الإسلامية.^(٢٩)

ب. التقريب على مستوى العمل والاتباع

إن كلمة الأمة تنطوي على معنى الاتباع، والاتباع يكون في الأصول والفروع، والمقدار الضروري من الإيمان بالأصول مما يستلزمه الإسلام في وحدته هو (التوحيد، النبوة، المعاد)، ولا بد من اتباع المنهج الإسلامي في الفروع بمقدار ما اتفقت عليه جميع المذاهب الإسلامية وفرضه الكتاب وأوجبته السنة المطهرة بوضوح ومن دون أي إيهام. ولا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة ينكر الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وغيرها.

لذا فإن الحد اللازم لدخول الفرد في دائرة المسلمين ولتحقيق الوحد الإسلامية هو الالتزام بالحد المتفق عليه في هذه الفروع، أما شروط وآداب هذه الاعمال المختلف عليها بين المذاهب فلا دخل لها في الحد اللازم المذكور؛ لأنها ناشئة من اجتهاد المجتهدين، والاختلاف فيها لا يضر بإسلام الفرد ولا بوحدة المسلمين.^(٣٠)

يقول التسخير في هذا الصدد: "لتحقيق هدف التقريب نسلك السبل الآتية:

١. بذل الجهود والمساعي لتعرف علماء المذاهب بعضهم على بعض الآخر.
٢. كشف المجالات المشتركة، ثم بذل الجهود لتنمية هذه المجالات، قال تعالى: { تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم... }، فالآية المباركة ترشدنا إلى الحوار بين الأديان، فبطريق أولى يلزمنا اكتشاف المجالات المشتركة بين المذاهب الإسلامية.
٣. بذل المساعي والنشاطات الحميدة في سبيل توسعة وترويج عوامل الوحدة وإزالة أسباب الاختلاف وعوامل الفرقة.
٤. العمل لإزالة الحواجز النفسية بين أتباع المذاهب التي أفرزتها المقولات التاريخية من جهة ودسائس العدو من جهة أخرى.
٥. التقريب بين جماهير المسلمين.^(٣١)

ج. التقريب في وحدة القيادة

إن من المعاني التي تعطيها كلمة الأمة هي القيادة، والاتباع الذي تقدم الحديث عنه يستلزم القيادة، وللقيادة مصداقان: أحدهما صامت خالد، والآخر حي متغير، فالقيادة الصامته هي بإجماع المسلمين كتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يوجد بين المذاهب الإسلامية من ينكر قيادتها، وهما دعامتان هامتان لوحدة المسلمين.

ودين الفطرة حين يؤكد على ضرورة إجماع المسلمين على القرآن والسنة فإنه يميز الاختلاف فيهما في حدود خاصة، والاختلاف فيهما له مجالان:^(٣٢)

الأول: اختلاف المجتهدين في مفهوم ومنطوق الكتاب والسنة وفي حدود وشروط حجيتهما، وهذا الاختلاف لا يتعارض مع اصل اتفاق المسلمين على حجية الكتاب والسنة.

الثاني: الاختلاف في الصدور ويرتبط بالسنة فقط؛ لأن صدور جميع الأحاديث المروية غير قطعي، فرب رواية صحت في نظر عالم ولم تصح في نظر عالم آخر، ولا يصدق ذلك على الكتاب الكريم؛ لتواتر جميع ألفاظه وآياته، والاختلاف إنما هو في دلالته؛ كونه ظني الدلالة. (٣٣)

والاختلاف بين المذاهب في سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما هو اختلاف في المقدمة الصغرى لا الكبرى - على حد تعبير المنطقيين -، فالفريقان متفقان على حجية السنة وانها واجبة الاتباع كالقرآن الكريم، والاختلاف في أن هذا القول هل هو من السنة أم لا.

أما القيادة الحية المتحركة فتتمثل أولاً في شخص القائد الأول وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو فضلاً عن إمامته الدينية هو قائد المجتمع الإسلامي وزعيمه السياسي، وكل المسلمين يؤمنون بذلك. (٣٤)

وقد ظهر الاختلاف بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال قوم من أهل الجمهور أن الإمامة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أم سياسي لا ديني، وقال أكثرهم أنها منصب ديني، لكنهم لم يجهلوا ضمن أصول الإسلام، والشيعية على العكس من ذلك؛ إذ آمنوا أن القيادة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجب أن ستواصل فيها ما كان موجوداً في شخص القائد الأول من الجمع بين السمة الدينية والسياسية، ووعدوا الإيمان بها أصلاً من أصول المذهب، فهي في رأيهم تتواصل عبر الأئمة الاثني عشر قم الفقهاء الذين تتوفر فيهم شروط التقوى. (٣٥)

لذا فالقيادة في المفهوم الإسلامي تجمع بين السياسة والدين، ومن أركان الدين، ولها الدور الهام في استمرار الدعوة الإسلامية واستتباب حاكمية الدين في وحد الأمة الإسلامية.

د. التقريب من حيث وحدة الهدف

تشكل وحدة الهدف مثل وحدة العقيدة ووحدة العمل ووحدة القيادة أصلاً إسلامياً هاماً، غير أنها وردت في النصوص الإسلامية بلغة التوجيهات الأخلاقية، ولغة الحث على اكتساب المكارم والفضائل، لكنها لغة فيها تأكيد على أهمية الهدف وعلى عدم افتراق الهدف عن المسؤولية المشتركة، قال تعالى: { كنتم خير أمة أخرجت... وتؤمنون بالله } (٣٦).

" والمتفق عليه في مختلف المجالات كثير جداً، فللمذاهب الإسلامية مساحات مشتركة كثيرة سواء كانت في الأصول العقائدية أو في المجالات التشريعية أو في المجالات الأخلاقية، وكذلك في مجال المفاهيم والثقافة الإسلامية، وحتى في المسيرة التاريخية والحضارية". (٣٧)

فامتياز هذه الأمة وأهم خصائصها مسؤولية الدعوة والإيمان بالله؛ ولأهمية هذه المسؤولية قدمها على الإيمان بالله سبحانه، ويمكن تلخيص أهداف الإسلام والمسؤوليات المشتركة التي يحملها المسلمون لبلوغ هذه الأهداف ما يأتي:

١. الفلاح والفوز في الدارين وكسب رضا الله سبحانه، فعبارة { لعلكم تفلحون } تتكرر في القرآن بعد كثير من الأوامر والتعليمات. (٣٨)

٢. استتباب حاكمية الدين في الأرض: { وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ } (٣٩)، { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ } (٤٠).

٣. استتباب حاكمية عباد الله الصالحين في الأرض: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } (٤١)، { وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ } (٤٢).

٤. السعي لإشاعة الخير والمعروف، وإزالة المنكر والشر والفساد، وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنحو هذا الاتجاه.

٥. إنقاذ المستضعفين المحرومين، قال تعالى: { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ } (٤٣).

٦. فتح مغاليق أسرار الخليقة للتعمق في فهم عظمة الخالق، وهذا الهدف يذكره القرآن لدى حديثه عن عظمة الكون وعجائب الطبيعة.^(٤٤)

٧. إزالة الفتنة من الأرض: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }^(٤٥).

٨. تنمية الإحساس بالمسؤولية المشتركة الإسلامية، والاهتمام بأمر المسلمين، المواسة بينهم، واتحادهم مقابل الأعداء، "من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم"^(٤٦)، و"المؤمنون إخوة تتكافى دماؤهم وهم يد واحدة على من سواهم"^(٤٧)، وأمثالها من الروايات المشهورة التي تخلق هذه المشاعر الإنسانية.

٩. إحلال روح الأخوة الإسلامية بين المسلمين، حتى أن الفرد المسلم يتمنى لغيره ما يتمناه لنفسه، وأن المؤمنين بمثابة نفس واحدة: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }^(٤٨).

هـ. التقريب من حيث وحدة الخصال ومكارم الأخلاق
إن المجموعة البشرية المشتركة في عقائدها وأعمالها وأهدافها وقياداتها تشترك أيضاً في الخصال والملكات النفسية، وكثير من النصوص تبين هذه الوحدة الأخلاقية والاشتراك الروحي بين المسلمين حين تتحدث هذه النصوص عن صفات المؤمنين مثل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وعفة البطن والفرج وأمثالها، لا يمكن أن يتوقع بلوغ المسلمين جميعاً مستوى واحداً في هذه الخصال، كما أنهم لا يرتفعون إلى مستوى واحد من العقيدة، ولكن ثمة طابعاً مشتركاً يسود كل أفراد المسلمين في هذا الجانب.^(٤٩)

و. التقريب في عنصر الوحدة الثقافية
إن الاشتراك في العناصر التي تقدم ذكرها يستتبعه اشتراك في ثقافة توحد بين أبناء العالم الإسلامي، إذ أن الثقافة المشتركة تشكل أكبر رصيد للتفاهم والتلاحم والتعاقد والإحساس بالأخوة والانتماء والواحد؛ ولأجل ذلك يسعى أعداء الأمة إلى إزالة هذا المشترك الهام بين المسلمين عن طريق المسخ والغزو.

الأسس المشتركة

لما كانت الأسس المتقدمة تؤدي بطبعها للتقارب بين المذاهب الإسلامية، فإنها بطبعها أيضاً تصوغ نفسية المسلمين جميعاً، وتشكل الأرض المناسبة الواحدة لثقافتهم، ولذا لا نجد بين المسلمين - أينما كانوا ومهما اختلفت قومياتهم ومناطقهم وخلفياتهم التاريخية ولغاتهم وعاداتهم المحلية - فرقاً في الثقافة العامة.

فالثقافة هي الفكر والعمل الفردي والاجتماعي، وهما أمران يصوغهما الإسلام ويطبعهما بطابع إنساني لا يتغير إلا بتفاصيله، ومن هنا يلاحظ أن ثمة أسساً مشتركة يمكن أن تصوغ تقارباً ملموساً بين المذاهب، وهذه الأسس هي:

١. إن الفكر الإسلامي أينما كان يتميز بالإلهية والاتجاه نحو الله تعالى في كل الحالات، والتوكل عليه واستمداد الهدى منه.

٢. إن الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية للمسلم تتشكل بمقتضى التعاليم القرآنية، حتى أن المسلم العادي في مختلف أحواله وبمستوى ثقافته يتمتم بالآية الكريمة أو الحديث الشريف ليفسر وضعه الذي يعيشه من نعمة أو بؤس أو فرح أو حزن.^(٥٠)

٣. إن الحياة التعبدية بالمعنى الأخص للعبادة واحدة في الشكل والمضمون واللغة وإن اختلفت اللهجات.

٤. وحدة المشاعر والأحاسيس والعواطف تجاه المفاهيم والحوادث.^(٥١)

٥. وحدة الطرق العامة للعيش، المأكل والملبس والسلوك الفردي والاجتماعي، وإن اختلفت التفاصيل.

٦. الشعور العام لدى المسلمين بالترابط الكوني والتشريعي، فالظلم نتيجه الانهيار الحضاري، والشكر نتيجه الرخاء والعزة مثلاً.

٧. التوازن العام في الشخصية لدى المسلم فلا هو جبري، ولا هو تفويضي، بل هو يدرك أنه مسؤول عما يفعل، فهو حر، ولكنه يدرك أيضاً الإرادة الإلهية في مسيرته العامة.

٨. الإيمان الفردي بالواجبات الاجتماعية تجاه المسلمين جميعاً، والإيمان الاجتماعي تجاه كرامة الفرد.

٩. الإيمان بالفطرة الإنسانية وتميز الإنسان عن الحيوان والجمادات، مما ينتج مقولات إنسانية كالحق والخلق والعدالة، ويفرزها عن الحياة الحيوانية.^(٥٢)

المطلب الثاني: الموانع والعقبات في طريق التقارب

تقدم في المطلبين السابقين عرض للأسس العلمية والفكرية للتقارب، وكذلك سبل تحقيق تلك الأسس، غير أن ذلك لا يعني تحقق التقارب بشكله الذي يُطمَح حصوله؛ إذ ثمة موانع وعقبات تعترى مسألة التقارب بين المذاهب لا بد أخذها بنظر الاعتبار، بل والعمل على تذويبها وحلها؛ كونها تقف عائقاً حقيقياً أمام موضوع التقارب بين المذاهب الإسلامية،

لقد أثمرت جهود العلماء والمفكرين والمصلحين اتجاهاً عاماً نحو التقارب بين المذاهب الإسلامية، وميلاً عاماً نحو تغليب لغة الحوار المنطقية، وترجيحها على أي لغة أخرى انسجماً مع توجهات الإسلام الأصيلة وتناغمًا مع الميل العالمي نحو الأسلوب فيما بين الحضارات والثقافات والأديان.^(٥٣)

وكل النصوص الإسلامية والمفاهيم والأحكام الشرعية تدفع نحو اعتماد هذا الأسلوب مما يفسح المجال نحو تحقق مثل هذه النتيجة، ومع هذا يلزم تعميق هذه التوجهات نحو التقارب في الأذهان والنفوس؛ لأنه اتجاه علمي ونفسي وخلق في آن واحد.

يقول محمد حسين فضل الله: "إننا لا نعتقد أن مشروع الوحدة الإسلامية ورسالة التقريب بين المذاهب الإسلامية غير قابلة للتطبيق والتحقق على المستوى العملي، فقد استطاع هذا المشروع أن يشق طريقه في كثير من محطات التاريخ الإسلامي وفي الحاضر، وكان سلاحه في النجاح الثقافة القرآنية والنبوية التي تؤكد على الأخوة الإسلامية وعدم التنازع عند الاختلاف، والتأكيد على القواسم المشتركة والاعتصام بحبل الله وأهدافه كسبيل للنجاة".^(٥٤)

فالإنسان يريد أن يتعالى على خلافه في الرأي، ويتغاضى عما يرتبه هذا الخلاف من مقتضيات التنوع في السلوك وصولاً إلى الموقف الموحد من التحديات الكبرى التي تواجهها الأمة، وتستلزم عملية التعميق القيام بكل ما من شأنه تحويل الرغبة في التقارب ومن ثم التفاهم إلى ملكة وخلق اجتماعي أصيل وعام؛ بحيث يعد معه كل صوت تبعيدي حالة نشازاً وخروجاً على الجماعة.

ولا يتحقق هذا الهدف إلا إذا قام العلماء والمفكرون بعملية الاستيعاب الكامل للفكرة أولاً ودراسة تاريخها وآثارها في مسيرة الأمة التاريخية والحضارية، وتوعية الجماهير بنها بآثارها، ونقل الفكرة إلى الممارسة العملية اليومية المستمرة حتى تتحقق تلك الملكة وسيود ذلك الخلق المطلوب.

ولأجل تحقق كل ذلك لابد من أن تضع الأمة نصب عينها جملة من الموانع والعقبات التي تقف في وجهها ذلك الهدف السامي وهو تحقيق التقارب فيما بين الأمة، ومن أهم تلك الموانع والعقبات:

١. العوامل الخارجية

إن أعداء الأمة يخلقون - على الدوام - كل الظروف التي تؤدي إلى تمزيق هذه الأمة، ويقفون في وجه كل ما يعمل لتوحيدها، فالاستعمار الغربي عمل خلال فترة احتلاله للعالم الإسلامي اعتمد سياسة ثلاثية تستهدف:

أ. إبقاء الأمة على تخلفها العملي والاقتصادي والثقافي والتعليمي وغير ذلك.

ب. إشاعة الفكر العلماني الغربي على الروح الإسلامية في العالم الإسلامي، إلى جانب تحريك النزعات القومية والعنصرية، غير أن ذلك مما يمكن زواله بشكل سريع، وهذا ما أسماه بعض الكتاب بـ(النصر سريع الزوال للعلمانية ١٩٣٠-١٩٧٠).^(٥٥)

ج. تمزيق العالم الإسلامي إلى دويلات وشعوب متفرقة، وتحريك النعرات المذهبية الجغرافية والقومية العنصرية حتى التاريخية؛ خوفاً من هاجس الوحدة الإسلامية الذي يجري الحديث عنه، والتخوف منه باستمرار من قبل القادة والمفكرين الغربيين، ويتم التنظير لصراع دائم مع العالم الإسلامي على أساسه، يقول الكتاب والمؤرخ جون

بوشان في روايته (العباءة الخضراء) (The Green Mantle): "الإسلام عقيدة قتالية، إذ لا يزال الشيخ يقف في المحراب حاملاً القرآن باليد والسيف المشهور في اليد الأخرى، فإذا افترضنا أن هناك أملاً بالخلاص يعيد الروح حتى إلى الفلاحين في المناطق النائية ويدغدغ أحلامهم بالجنة، فماذا سيحدث يا صديقي؟

ستفتح جهنم أبوابها في هذه الأرجاء عما قريب، لدي تقارير من العلماء في كل مكان: صغار التجار في جنوب روسيا، وتجار الأحصنة في أفغانستان، والتجار التركمان، والحجاج إلى طريق مكة، والأشراف في شمال أفريقيا، ولا بسو جلود الغنم من المغول، والفقراء الهندوس، والتجار اليونانيون في الخليج، فضلاً عن القناصل المحترمين الذين يستخدمون الشيفرة، هؤلاء جميعاً يجمعون في رواياتهم التي يرسلونها إلي على الأمر نفسه: إن الشرق في انتظار إشارة إلهية، وإنهم موعودون بها، قد تكون تلك الإشارة هي خروج نجم (رجل)، أو نبوة جديدة، أو تأمر ما". (٥٦)

٢. المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام

وهذا الامر مشهور معروف على مدى العصور، إذ لم تخلُ حقبة من ذلك، فيستغل هؤلاء نفوذهم ليشيروا عامة الناس لتحريك الإحن والنزاعات الطائفية، يقول أحد الكتاب المؤرخين واصفاً بعض حروب الطوائف بتحريك من السلطات الحاكمة: "وكانت لا تمر سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر أرجاء المنطقة العربية الإسلامية، فقد تولى الترك عام (٥٢٤٩هـ) عمليات القمع الطائفي ضد الشيعة... وكان أكثر الضحايا من منطقة الشاكرية ببغداد، وبنيتجتها هوجم السجن المركزي وأحرق أحد الجسرين الواصلين بين جانبي الكرخ والرصافة" (٥٧)، وهكذا دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن والاقتتال الطائفي.

٣. التكفير

وهذه الظاهرة من اهم العقبات التي تقف بوجه التقارب بين المذاهب الإسلامية، وعلى الرغم من أن الإسلام وضع تماماً الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان وحددها، غير أن هذه الظاهرة لا زالت تحدث إلى عصرنا الحاضر، فقد روى البخاري بسنده عن عبادة

بن الصامت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل" (٥٨). وروى الكليني بسند عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان؟ فقال: "إن الايمان يشارك الاسلام والايمان لا يشارك الايمان، فقلت: فصفهما لي، فقال: الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواarith وعلى ظاهره جماعة الناس". (٥٩)

ونجد أن القرآن الكريم ربى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه على التعامل العقلاني والحوار المنطقي والقبول بالتعددية الاجتهادية إذا كانت على أسس شرعية منضبطة، ومن ثم تعامل الأمة على أساس ذلك لا سيما في عصر الأئمة (عليهم السلام)، إذ قدموا (عليهم السلام) أروع الصور المنطقية وربوا أتباعهم على ذلك، ولكن العوامل الكثيرة الأخرى قادت إلى عودتها من جديد، ولعل من أسباب عودتها هو بمؤاخذة الآخر بلوازم كلامه، على الرغم من أن الآخر لا يؤمن بهذه الملازمة مطلقاً. وبعد مضي عصر الأئمة (عليهم السلام) دبّت ظاهرة التكفير بوتيرة أوسع وأسرع في صفوف المسلمين، مثل الاختلاف في أن (الصفات عين الذات أو أنها زائدة على الذات) و (التحسين والتقيح هل أنهما عقليان أو شرعيان)؛ إذ رأى الطرفان المتنازعان أن الطرف الآخر يقوده رأيه إلى الكفر، وهكذا في مطالب كثير، كالتوسل والشفاعة والبداء، بل وحتى الاستحسان والمصالح المرسلة والقياس، وغيرها. (٦٠)

وزاد الأمر سوءاً - خصوصاً في أزماننا المتأخرة - الدخول في عملية الفتوى من ليس أهلاً للإفتاء، فيفتي بغير ما أنزل الله تعالى، وهذا ظاهر في الحركات التكفيرية التي ظهرت في عصرنا الحالي، الامر الذي أدى إلى سفك الدماء البريئة على نطاق واسع باسم الدفاع عن الدين والأمة، وهما من هذه الحالة براء.

٤. التشكيك في نوايا الداخلين في الحوار

إن التشكيك في النوايا الحسنة لا يحقق الجو الهادئ المطلوب للتقارب، ويدفع لنوع من التهرب أو المماطلة أو تلمس العثرات عند الطرف الآخر، مما ينتع من تحقق النتيجة المرجوة، مثل عمليات الحوار بين أتباع الأديان نتيجة ما يحمله كل طرف من تراكمات ذهنية عن الآخر، فالطرف المسيحي مثلاً يحمل أحقاد الصليبية وإيحاءات المستشرقين بما يسمونه بـ(الهرطقة الإسلامية)، وما يدور في نفسه من هواجس الصحة الإسلامية التي تنافس مشروعه في السيطرة، على حين يحمل الطرف الإسلامي سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للاستعمار على مدى قرون.

ولكن العمل الجاد والتوجه للتعليمات الإسلامية الهادية والداعية لحسن الظن في الأخ المسلم يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المنع من التقارب؛ خصوصاً إذا تم على مستوى العلماء العاملين الذين خبر بعضهم بعضاً في مجالات العلم والإخلاص والعمل في سبيل الأمة بمجموعها.

٥. فقدان الصراحة بين المسلمين

من المشاكل الأساسية هي فقدان الصراحة بين الفئات المختلفة بحيث لا يظهر أحدهما ما يجول في عقله وقلبه للطرف الآخر، فأسلوب المجاملة هو الذي يحكم الواقع الإسلامي في كثير من لقاءاته سواء أكانت على المستوى الرسمي أو في دائرة العلماء أو في الدوائر الثقافية، بحيث يؤكد للآخر على التزام الإسلام كقاعدة مشتركة وعلى أهمية التنوع في داخل الفكر الإسلامي والفقه والتشريع وفي بعض مفردات العقيدة وفهم القرآن، ويتم التأكيد على أهمية الوحدة بين المسلمين وانها السبيل لقوتهم، ولكن في الوقت نفسه، تبقى لكل فئة أحكامها المسبقة عن الآخر، والتي غالباً ما يكتنفها الغموض أو التشويه، لذا لا تأتي اللقاءات إلا بمجاملات يطلقها الحريصون على الوحدة، أو بشواهد إضافية تكرر للمتعصبين مواقفهم الحادة والرافضة للمذهب الآخر.

٦. التهويل والتضخيم واستحضار الماضي والتهجم على المقدسات وعدم احترام الآخر كل واحد من هذه الأمور يمكن أن يشكل بنفسه مانعاً وعائقاً في تحقيق الحوار المطلوب، ومن ثم الوصول إلى التقارب، والنصوص الإسلامية تتطافر في المنع من هذه الأمور، مثل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ} ^(٦١)؛ إذ يمنع من الحوار في الأجواء الانفعالية المصطنعة، وقوله تعالى: {قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ^(٦٢)، الذي يمنع من الانشغال بالماضي ويفرض احترام الآخر، وذلك واضح أيضاً في الآية الكريمة التي تنهى عن سب آلهة المشركين.

٧. الذهنيات القلقة والخائفة من التواصل

لعل من أبرز العوائق وجود الذهنية التي تعد التواصل والدعوة إلى الوحدة مدخلاً إلى تميع المذهب أو النهج الفكري الذي ينتمي إليه أصحاب هذه الذهنيات؛ إذ غالباً ما يتم الاصطدام بخط الوحدة تجنباً لما يروونه من مخاطر تتمثل في أمور، أبرزها:

أ. التنازل عن بعض مفردات المذهب وحتى بعض العناصر الأساسية، ففي بعض الحسابات أن الوصول إلى أية وحدة بين طرفين مختلفين أو أي تواصل مع الآخر يقتضي تقديم التنازل من كل طرف، والذي تختلف نسبته بحسب موقع كل طرف، فالضعيف لا بد من أن يقدم تنازلاً أكثر من القوي، والأقل عدداً لا بد من أن يقدم تنازلاً لمن يمتلك الكثرة العددية.

ب. عد التنازل في أي جانب حتى لو كان بسيطاً يحمل التنكر والإساءة لكل جراحات التاريخ وآلامه، حين كان كل طرف يقدم التضحيات على مذبح تأكيد مذهبه وحفظه وإبقائه حياً ومعافى.

ج. المصاعب الكبرى التي تعترض الوجدانيين من كل مذهب في ضبط قواعدهم، وخصوصاً في ظل قيام التقسيميين بتشكيك القاعدة إن بإخلاص الرموز الوجدانية أم بخطوات الوحدة التي تهدد المذهب بحسب زعمهم، ما يهدد بكسب هذه القواعد

لمصلحة التقسيمين الذي تتوافر لديهم كل الإمكانيات والقدرات، الأمر الذي يؤدي فعلاً إلى التنافس في ميادين التعصب والفرقة.^(٦٣)

٨. عوائق فكرية وأخلاقية

مع الأخذ بنظر الاعتبار مخاطر هذه الذهنية التي يجب أن تواجه بحكمة وموضوعية، فإن ثمة فهوماً وممارسات لا تقل خطراً عنها، منها:

أ. الابتعاد عن الأساليب الإسلامية في التعامل عند الاختلاف، بحيث لا تكون الأخلاق الإسلامية حاکمة في مقارنة الاختلاف الفكري أو المذهبي

ب. التهيب من التعامل الجدي مع المفردات التي تثير جدلاً بين المسلمين، وتؤكد اختلافهم من قبيل النظر إلى الإمامة والخلافة ومدى حدودها والنظرة إلى الخلفاء والصحابة، التكفير، السنة النبوية، أحاديث الأئمة، النظر إلى الأولياء والبرك بمقاماتهم، النظر إلى التاريخ، النظرة إلى زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بحيث بقيت هذه القضايا تتفاعل وتتردد على الرغم من كثرة الحديث عنها، ووجود كتب مختلفة تتناولها.

ج. التغافل عن الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الوحدة، واعتبار أنها تنحصر فقط في الدائرة الواحدة ضمن المذهب الواحد، أو أن لها بعداً أخلاقياً توجيهاً لا يأخذ طابع الإلزام، ولا يشكل عنواناً أساسياً للذهنية الإسلامية، الأمر الذي يبعد الإسلام عن أن يشكل القاعدة الأساس للرؤية والسلوك، وينفي أن المذاهب تمثل وجهات نظر في فهم الإسلام.

د. فهم بعض الآيات والأحاديث التي تعد الاختلاف حالة طبيعية إنسانية من قبيل قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} ^(٦٤)، وفهمها بما يكرس الاختلاف والانقسام، وهو ما لا تقصد الآية الكريمة.

١٠. الاختلاف في مناهج الاستدلال وطرق الاستنباط يمنع من التقارب في النتائج.

١١. عد القول الشاذ علامة على المذهب كله.

١٢. أخذ تصورات المذهب من أقوال خصومه.

١٣. دخول من لا أهلية له في الحوار.

١٤. اتباع الأساليب الملتوية للظفر بالطرف الآخر.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من الخوض في اسس التقارب العلمية والفكرية في التقارب بين المذاهب الإسلامية، خلصنا إلى النتائج الآتية:

١. إن الاختلاف بين المذاهب الإسلامية تعدُّ ثروة تشريعية ومحل اعتزاز وفخر.
٢. إن الاختلاف الواقع في الفروع الفقهية والاجتهادات العملية لا تؤدي إلى التنازع والتناحر فيما بينها، بل هو اختلاف في وجهات النظر والفهم لأدلة الاجتهادات.
٣. إن التقارب المنشود بين المذاهب الفقهية يمكن أن يقع، غير انه ليس اتحاد وذوبان فيما بينها، وإنما لتقليل الفجوة بينها.
٤. إن منبع الاختلاف هو تفاوت الأفكار والعقول البشرية في فهم النصوص واستنباط الأحكام، وإدراك أسرار التشريع وعلل التشريع الشرعية.
٥. إن التقارب وسيلة لجمع ورأب الصدع، وتبادل حسن الظن والتقدير من أجل وحدة الأمة.
٦. إن التقارب لا يراد به إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، بل الغرض منه هو إزالة ما يكون سبباً للعداء والبغضاء، وتبديل التباعد والتضارب بالإخاء والتقارب.
٧. إن الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرصاً كبيرة وواسعة للبحث والتقصي والاجتهاد للنظرية الإسلامية بما يخدم مواجهة التحديات الفكرية والنظرية، ومعالجة المشكلات الإنسانية التي خلقتها الحضارة المادية والتطور العملي والمدني.
٨. إن الوحدة الإسلامية تقطع الطريق على أعداء الإسلام وإفشال مخططاتهم التي ترمي إلى تفكيك الأمة الإسلامية، ومن ثم الاستيلاء على مقدراتها.
٩. إن التقريب بين المذاهب الإسلامية يرفع الجهل والعصبيّة والحمية الجاهلية عمن انصرف عن الدين الحنيف، وانشغل بالتفريق بين المسلمين، وبرجعه إلى الاعتدال والتعايش السلمي في مظلة واحد وهي مظلة الدين الإسلامي الواحد.

- (١) ابن منظور، لسان العرب ١: ٦٦٢-٦٦٦، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١: ١١٤.
- (٢) الطريحي، فخر الدين، معجم البحرين ٣: ١٥.
- (٣) ينظر: الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية: ٣٠.
- (٤) هادي خسرو شاهي، قصد التقريب أمة واحدة ثقافة واحدة، طهران، مطبعة انكار، ٢٠٠٧م: ١٥.
- (٥) المحامي، محمد عبد الله، معالم التقريب، رسالة الإسلام، مجلة، القاهرة، العددان ٥٥، ٥٦، ١٩٦٤م: ٢٠٣.
- (٦) الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية من أجل الوحدة الإسلامية، بيروت: ٣٩.
- (٧) ينظر: كاشف الغطاء، محمد حسين، بين المسلمين، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، العدد ٣، ١٩٥٠: ٢٦٩.
- (٨) المطهري، الكلام: ٢٣، ط ١، دار الولا، بيروت، ١٤٣٠هـ.
- (٩) ينظر: تبرائيان، محمد حسن، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦م: ٧٦.
- (١٠) السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات: ٤٢١-٤٢٢.
- (١١) ابن منظور، لسان العرب ١: ٣٩٣-٣٩٤.
- (١٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١: ٧٠، ينظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين ٢: ٦٢.
- (١٣) تبرائيان، محمد حسن، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية: ٣٩.
- (١٤) أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٨٧.
- (١٥) الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة: ١٣. دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- (١٦) ينظر: الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية: ١٥٥، ط ١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- (١٧) ينظر: الشكعة، مصطفى، اسلام بلا مذاهب: ٢١٠.
- (١٨) محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية: ٨٨.
- (١٩) ينظر: اليوسف، عبد الله أحمد، شرعية الاختلاف: ١٢٦، ط ١، ١٤١٧هـ.
- (٢٠) ينظر: فؤاد زكريا، الصورة الإسلامية في ميزان العقل: ١٣٢، ط ٢، دار الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- (٢١) ينظر: المنظمة الإسلامية للتربية، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية: ٩٣.
- (٢٢) ينظر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية: ١٣٣، ط ١، طهران، ١٤٢٩هـ.

- (٢٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ١٨: ٧٩.
- (٢٤) الآلوسي، جلاء العينين: ١٠٧.
- (٢٥) ينظر: الحسن، عبد الله، مناظرات في العقائد والأحكام ٢: ٣٠٢.
- (٢٦) ينظر: السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات ٢: ٢٢، ط ١، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ١٤٢٣هـ.
- (٢٧) ينظر: ، والمحميد، زهير عبد الهادي، سبل تكامل الأمة الإسلامية: ٤٤، مجلة رسائل التقريب، العدد ٧٨، ١٤٣٦هـ.
- (٢٨) ينظر: القمي، محمد تقي، قصة التقريب ، أمة واحدة ثقافة واحدة: ٧٢، ط ١، مطبعة نكار، قم، ١٤٢٨هـ.
- (٢٩) ينظر: الخراساني، محمد واعظ زاده، الوحدة الإسلامية، عناصرها، موانعها، مجلة رسالة التقريب، العدد (١٥)، ١٤١٨هـ: ١٠.
- (٣٠) ينظر: العاملي، مالك مصطفى، الحرية الفكرية والسياسية في ظل الحكم الإسلامي: ٨٨، ط ١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- (٣١) التسخير، محمد علي، أفكار حول التقريب والوحدة: ٤٥. ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- (٣٢) ينظر: عدنان فرحان، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية: ٩٩-١٠١، ط ٣، دار السلام ، بيروت، ١٤٣٣هـ.
- (٣٣) ينظر: الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية: ١٩٢.
- (٣٤) ينظر: القرضاوي، يوسف، كلمات صريحة في التقريب بين المذاهب: ١٢١.
- (٣٥) ينظر: الزحيلي، وهبة، أصول التقريب بين المذاهب الإسلامية: ١٥٦، ط ١، دار المكتبي، ١٤٢٠هـ.
- (٣٦) سورة آل عمران: ١١٠.
- (٣٧) التسخير، محمد علي، تعدد المذاهب والتقريب والوحدة الإسلامية: ٢٥. دار الزهراء (ع)، قم، ١٤٢٢هـ.
- (٣٨) ينظر: الشيرازي، عبد الكريم، الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة: ١٥٣، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- (٣٩) سورة البقرة: ١٩٣.
- (٤٠) سورة الفتح: ٢٨.
- (٤١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

- (٤٢) سورة القصص: ٥.
- (٤٣) سورة النساء: ٧٥.
- (٤٤) ينظر: التقارب والتعايش مع غير المسلمين: ١٤٥، ط ١، دار الأندلس الخضراء، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- (٤٥) سورة الأنفال: ٣٩.
- (٤٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ٢: ١٦٣.
- (٤٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ١: ٤٠٤.
- (٤٨) سورة الحجرات: ١٠.
- (٤٩) ينظر: الخراساني، محمد واعظ: ٨، مجلة رسالة التقريب، العدد ١٥، ١٤١٨هـ.
- (٥٠) ينظر: الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية: ١٠١.
- (٥١) ينظر: الآملي، واعظ زاده، دراسات وبحوث ١: ٥٤٥.
- (٥٢) ينظر: شمس الدين، محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي: ١٣٠، ط ١، المؤسسة الدولية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- (٥٣) ينظر: التسخيري، محمد علي، عقبات في طريق التقريب: ٤٩-٥٢، مجلة رسالة التقريب، العدد: ٨٥، ١٤٢٧هـ.
- (٥٤) الوحدة الإسلامية: عوائق وتطلعات: ١٤٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- (٥٥) ينظر: شيرين هنتر، مستقبل الإسلام والغرب: ١١١.
- (٥٦) John Buchan, Green Mantle: P.V. first edition, House of Stratus, ١٩٨٨.
- (٥٧) الأنصاري، فاضل، قصة الطوائف، الإسلام بين المذهبية والطائفية: ٢٣٣. دار الكنوز الأدبية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٥٨) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ٤: ١٣٩.
- (٥٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ٢: ٢٥.
- (٦٠) ينظر: المطهري، الكلام: ٩٩.
- (٦١) سور سبأ: ٤٦.
- (٦٢) سورة سبأ: ٢٥.
- (٦٣) ينظر: فضل الله، محمد حسين، الوحدة الإسلامية، عوائق وتطلعات: ١٤١.
- (٦٤) سورة هود: ١١٨.

المصادر:

- خير ما يُتبدأ به القرآن الكريم.
- ١. ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٥هـ.
- ٢. أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط ١، مطابع المدوخل، الدمام، ١٤١٥هـ.
- ٣. الآلوسي، جلاء العينين.
- ٤. الآملي، واعظ زاده، دراسات وبحوث، ط ٢، دار الجيل، ١٤٢٨هـ.
- ٥. الأنصاري، فاضل، قصة الطوائف، الإسلام بين المذهبية والطائفية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ.
- ٧. تبرائيان، محمد حسن، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- ٨. التسخيري، محمد علي، أفكار حول التقريب والوحدة، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٩. التسخيري، محمد علي، تعدد المذاهب والتقريب والوحدة الإسلامية، دار الزهراء (ع)، قم، ١٤٢٢هـ.
- ١٠. التسخيري، محمد علي، عقبات في طريق التقريب، مجلة رسالة التقريب، العدد: ٨٥، ١٤٢٧هـ.
- ١١. التقارب والتعايش مع غير المسلمين، ط ١، دار الأندلس الخضراء، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ١٢. الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ١٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ٢، مهر، قم، ١٤١٤هـ.

١٤. الحسن، عبد الله، مناظرات في العقائد والأحكام، ط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٧هـ.
١٥. الخراساني، محمد واعظ زاده، الوحدة الإسلامية، عناصرها، موانعها، مجلة رسالة التقريب، العدد (١٥)، ١٤١٨هـ.
١٦. الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٧. الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية.
١٨. الزحيلي، وهبة، أصول التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، دار المكتبي، ١٤٢٠هـ.
١٩. السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، ط١، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ١٤٢٣هـ.
٢٠. الشكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، دار المعارف، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
٢١. شمس الدين، محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، ط١، المؤسسة الدولية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٢. الشيرازي، عبد الكريم، الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٣. شيرين هنتر، مستقبل الإسلام والغرب.
٢٤. الطريحي، فخر الدين، معجم البحرين، ط٢، ١٤٢٨هـ.
٢٥. العاملي، مالك مصطفى، الحرية الفكرية والسياسية في ظل الحكم الإسلامي، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٦. عدنان فرحان، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، ط٣، دار السلام، بيروت، ١٤٣٣هـ.
٢٧. فضل الله، محمد حسين، الوحدة الإسلامية، عوائق وتطلعات.

٢٨. فؤاد زكريا، الصورة الإسلامية في ميزان العقل، ط٢، دار الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٩. الفيروز آبادي، القاموس المحيط.
٣٠. القرضاوي، يوسف، كلمات صريحة في التقريب بين المذاهب.
٣١. القمي، محمد تقي، قصة التقريب، أمة واحدة ثقافة واحدة، ط١، مطبعة نكار، قم، ١٤٢٨هـ.
٣٢. كاشف الغطاء، محمد حسين، بين المسلمين، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، العدد ٣، ١٩٥٠.
٣٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط٥، حيدري، ١٣٦٣ش.
٣٤. المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، طهران، ١٤٢٩هـ.
٣٥. المحامي، محمد عبد الله، معالم التقريب، رسالة الإسلام، مجلة، القاهرة، العددان ٥٥، ٥٦، ١٩٦٤م.
٣٦. محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية.
٣٧. المحميد، زهير عبد الهادي، سبل تكامل الأمة الإسلامية، مجلة رسائل التقريب، العدد ٧٨، ١٤٣٦هـ.
٣٨. المطهري، الكلام، ط١، دار الولاء، بيروت، ١٤٣٠هـ.
٣٩. المنظمة الإسلامية للتربية، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية.
٤٠. هادي خسرو شاهي، قصد التقريب أمة واحدة ثقافة واحدة، طهران، مطبعة انكار، ٢٠٠٧م.
٤١. الوحدة الإسلامية: عوائق وتطلعات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٤٢. اليوسف، عبد الله أحمد، شرعية الاختلاف، ط١، ١٤١٧هـ.
- i. John Buchan, Green Mantle: P٧. first edition, House of Stratus, ١٩٨٨.

التعايش السلمي في ضوء قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون)

دراسة تحليلية دلالية

أ.م.د. فضيلة عبوسي محسن العامري
جامعة الكوفة - كلية الفقه

المقدمة:

إن التعايش السلمي يعني العيش على الألفة والمودة مع الآخر، ونقيض ذلك الظلم والجور وهما من العبارات التي تشمأز النفس الإنسانية عند سماعها، وقد اقترن ذكر الظلم بالشرك بالله قال تعالى (إن الشرك لظلم عظيم)، ولكن عندما يتعدى الظلم من الشرك بالله تعالى الى العلاقات الاجتماعية فيكون ذا أثر سلبي على العيش بأمن وسلام ومن ثم انعكاس ذلك على موارد السلم المجتمعي في رسم العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات، والمصالح المتبادلة بين البشرية جمعاء من دون استثناء في الدين أو المعتقد أو المذهب أو العرف الاجتماعي ومن هنا وقع الاختيار على هذه القاعدة التي أجملت فيها المرجعية موارد السلم المجتمعي وفق المنظور الإسلامي على لسان الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٨/١١م؛ فجاء البحث بعنوان (التعايش السلمي في ضوء قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون) دراسة تحليلية دلالية)؛ وقد تألف البحث من مبحثين تناول الأول منهما مفهوم التعايش السلمي في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، أما المبحث الثاني فقد تضمن الدراسة التطبيقية فجاء بعنوان (لا تظلمون ولا تظلمون) دراسة تحليلية دلالية، وقد سبقهما تمهيد تضمن التعريف بمفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح، ومن ثم جاءت الخاتمة متضمنة النتائج ومتبوعة بالهوامش التي تلتها المصادر.

التمهيد

مفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح

لا بد من الإشارة إلى أن مصطلح التعايش السلمي يتكون من جزأين هما المضاف (التعايش)، والمضاف إليه (السلمي)، وقد أفادت المصاحبة اللغوية بينهما في تخصيص

نوع التعايش بالسلمي، والتعايش في اللغة مصدر للفعل المزيد (تعايش) الذي أصله الفعل الثلاثي (عيش)؛ والعيش في اللغة يدل على الحياة والبقاء، ومنه المعيشة التي يحيا بها الإنسان من مطعم ومشرب، والعيش الحياة، فقد جاء في اللغة: العيش: الحياة. والمعيشة: الذي يعيش بها الإنسان: من مطعم ومشرب وما تكون به الحياة. والمعيشة: اسم لما يعاش به. وهو في عيشة ومعيشة صالحة. والعيشة مثل الجلسة والمشية. والعيش: المصدر الجامع. والمعاش يجري مجرى العيش. تقول عاش يعيش عيشاً ومعاشاً. وكل شيء يعاش به أو فيه فهو معاش. قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} ﴿النبا ١١﴾، والأرض معاش للخلق، فيها يلتمسون معاشهم. وذكر الخليل أن المعيش بطرح الهاء يقوم في الشعر مقام المعيشة، ❖ وأنشد حميد:

إزاء معيش ما تحل إزارها ❖❖❖ من الكيس فيها سورة وهي قاعد

والناس يروونه: "إزاء معاش". وقال بعضهم: عاش فلان عيشوشة صالحة، وإنهم لمتعيشون، إذا كانت لهم بلغة من عيش. ورجل عائش، إذا كانت حاله حسنة^(١)

أما السلمي في اللغة فهو مصدر (السلم) المأخوذ من الفعل الثلاثي (سلم) وهو في اللغة: ضد الحرب، ويقال: السلم والسلم واحد^(٢)، وصار (السلمي) مصدر منسوب إليه بـ(يا) النسب المشددة المكسور ما قبلها، وقد أفادت المصاحبة اللغوية بينهما في تكوين التركيب الاصطلاحي (التعايش السلمي) الذي يدل على الحياة والبقاء بسلام في اللغة في أصل مصدره الثلاثي (العيش) و(السلم)؛ أما مصدر الفعل المزيد (تعايش) فقد جاء في المعجمات الحديثة دالاً على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي^(٣)؛ أي أنه في أصله اللغوي يدل على الحياة والبقاء ومكانهما في بعض الأحيان فقد قال تعالى (وجعلنا النهار معاشاً)، وأما الفعل المزيد (تعايشوا) يدل على المشاركة في العيش مع الآخر في محبة وود وألفة وتلك من المقومات الأساسية للعيش بأمن وسلام في ظل الحياة، ومن هنا لم تختلف دلالاته اللغوية على السلم والسلام والمودة والوئام في أصله وفي زيادته.

أما التعايش السلمي في الاصطلاح فقد عرف بتعريفات عدة منها تدل على المستوى السياسي الأيدلوجي في نبذ الحروب واستغلال الطاقات البشرية لتحقيق الرفاهية

والعيش الرغيد إذ جاء فيه أن التعايش السلمي هو ((سياسة خارجية تنتهجها الدول المحبة للسلام وتستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدول مع غيرها من الدول لاستغلال الإمكانات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يحقق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية))^(٤)، وجاء تعريف آخر قد ارتبط بالمستوى الاقتصادي والتجاري والمصالح المتبادلة بين دول العالم مما يحقق سبل العيش بسلام فالتعايش ((يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساس التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما على وفق قاعدة يحددانها مع تمهيد السبل المؤدية إليها))^(٥)، في حين وجدنا تعريفاً آخر يدعو إلى قبول الآخر من الناس بين المجتمعات من مختلف الأعراق والأجناس والديانات والعيش بانسجام معهم ونبذ العنف والتطرف الذي يؤدي إلى القتل فالتعايش ((يعني مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس والأديان منسجمين مع بعضهم بعضاً، ولا يتطلب ذلك التعايش سوى أن يعيش أعضاء تلك الجماعات معا دون أن يقتل الآخر))^(٦)؛ ويظهر من الجمع بين التعاريف المختلفة أن التعايش السلمي يعني قبول الآخر والعيش معه على أساس الألفة والمحبة والتعاون؛ والأوصاف الأخيرة أكد عليها المعنى اللغوي؛ فالمعنيان اللغوي والاصطلاحي يلتقيان معا في دلالتهما على عيش الانسانية بهدوء واستقرار وأمان بغض النظر عن معتقداته أو دياناته أو أعراقه فالناس كلهم سواسية كأسنان المشط، ولا تفاضل بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح الذي أكدّت عليه الشريعة السمحاء.

المبحث الأول:

التعايش السلمي في القرآن الكريم

أكد القرآن الكريم على مبدأ ((التعايش السلمي)) مع كافة المسلمين كافة الذين يعدونهم من أهل التفاهم والحوار في الأهداف المشتركة، أو على الأقل من الذين اتخذوا طريق الحياد والاعتدال، لذا يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي

الدِّينَ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿المتحنة/ ٨﴾ ، وأكد الدين الإسلامي على وجوب التعايش السلمي مع أتباع الأديان السماوية الأخرى، سواء عاشوا في البلاد الإسلامية أو خارجها، إلا من رفع لواء محاربة الإسلام والمسلمين^(٧)؛ إذ قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الأحزاب/ ٤٠، فضلاً عن ذلك نجد أن الدين الإسلامي أكد على ما يحقق التعايش السلمي مع الآخر وهو التسامح والعفو حتى مع الكفار من أهل الكتاب، الذين ودّوا لو يكفر المسلمون، أمر الله بالصفح والعفو عنهم، حتى يأتي الأمر بمواجهتهم، و((لعل الصفح جاء في ظروف التعايش السلمي معهم))^(٨)؛ قال الله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة / ١٠٩

ولم تكن الحرية بعيدة عن روح الشريعة السمحاء فقد قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ البقرة/ ٢٥٦؛ ثم ركّز الإسلام على ما يحقق التكافل الاجتماعي بين البشرية جمعاء من أجل العيش بكرامة مع الآخر فقد جعل الله الزكاة فيها حق الفقير في مال الغني و ليست تفضلاً من الأغنياء على الفقراء لقوله - عز وجل - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة/ ٦٠. وهذه المبادئ تدل على متانة بناء التشريع الإسلامي وقوة أركانه و صلاحيته للأحكام في كل زمان و مكان بين جميع الأجناس، ويدل على ذلك أن الأمة الإسلامية ازدهرت و قويت شوكتها حينما كانت تخضع في جميع شؤونها للشرع الإسلامي ، و أنها ضعفت و تفككت حينما انصرفوا عن شريعته و حاولوا أن يخضعوا التشريع لأهوائهم و شهواتهم و أدى ذلك على الاستعانة بالقوانين الوضعية على اعتبار أن الفقه الإسلامي لم يعد يتفق مع التطورات العالمية و ما تقضيه المدنية الحديثة من مجارة الدول القوية الغنية^(٩)

أما تقوية الروابط الاجتماعية فلم تكن بعيدة عن روح الإسلام فمن جانب يؤكد على الوحدة الشمولية للعالم البشري بصفتهم أعضاء لأسرة واحدة ، وإخوة من أب وأم واحدة ، كما جاء ذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات/١٣، ومن جانب آخر يعد المؤمنين أعضاء لكيان واحد بغض النظر عن التفاوت الحاصل بينهم من الناحية اللغوية والعنصرية ^(١٠)، إذ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَتِلُوا لِأَكْفُرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران/١٩٥ ، ويقول في موضع آخر: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة/٧١

التعايش السلمي في سيرة أهل البيت (عليهم السلام)
وضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها خطوط التعايش السلمي الذي أشار إليه القرآن الكريم، الذي يقوم على احترام الحقوق والعقائد للأقليات الدينية ^(١١).
فقد جاء النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة فوجد فيها عناصر ثلاثة ^(١٢):

١- المسلمون : وهم يتألفون من أوس وخزرج ومهاجرين ، وكل منهم يختلف عن الآخر .. فاستطاع النبي (صلى الله عليه وآله) أن يصهرهم في قالب واحد، حتى صاروا أخوة متآلفة قلوبهم ، متراصة صفوفهم ، وأصبحوا " أمة واحدة كأسنان المشط .. في التساوي والتعاون " .

٢- المنافقون : وهم طائفة كبيرة من العرب . أظهروا الإسلام وأضرموا الكفر . وقد قدر النبي (صلى الله عليه وآله) على أن يشل حركات هذه الطائفة ونشاطاتها باللطف حيناً ، وبإعطائهم بعض المناصب التي تشغلهم ، وبعض المسؤوليات التي تسد فراغهم

حيناً آخر .. واشترك الوحي في تقويمهم بالآيات التي نزلت في المنافقين وكانت تؤكد على ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ النساء/ ١٤٥ .

٣- اليهود : الذين كانوا قوة رهيبة يملكون من المال والسلاح والحيلة الشيء الكثير . ولقد وضع النبي (صلى الله عليه وآله) اتفاقيات سياسية وعسكرية معهم، تضمن للفريقين التعايش السلمي والدفاع المشترك عن البلاد وأهلها ، على أن الإسلام لم يكتف بهذا القدر من الاحترام وحسن المعاشرة والمعاملة، فلم يقتصر على الأمر باحترام الأحياء من أهل الكتاب، بل دعا إلى احترام أمواتهم كذلك. يقول جابر بن عبد الله: مرّت بنا جنازة، فقام لها النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم وقمنا به. فقلنا: يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. فقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا»^(١٣).

وقال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقليل لهما: إنهما من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم مرّت به جنازة فقام، فقليل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفساً»^(١٤).

ولم تكن سيرة الإمام علي (عليه السلام) بعيدة عن التعايش السلمي مع الآخرين في قضية جباية الخراج، وبند الاعتداء إلا من اعتدى، ويظهر ذلك جلياً في وصيته بأهل الذمة فيقول (عليه السلام) ((ولا تبغ للناس في الخراج كسوة شتاء، ولا سيفاً ولا دابةً يعملون عليها ولا عبداً ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدي به على أهل السلام، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الاسلام فيكون شوكة عليه»^(١٥).

أما حياته فتسطع فيها المواقف والحكم التي لا يستغني عنها من أراد العيش بمحبة ووئام حينما ؛ ومن ذلك دعوته الى الاهتمام بالآخر وضمان التكافل الاجتماعي له عندما يكبر ويعجز ؛ فهو إنسان كغيره من البشرية بغض النظر عن جنسيته أو معتقده أو ديانته؛ ويتجلى ذلك حينما رأى ذات يوم شيخاً نصرانياً يستجدي ويتكفف فقال: «ما

هذا؟» قالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني. فقال: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتُموه. أنفقوا عليه من بيت المال»^(١٦)، وهذا الإمام الحسن (عليه السلام) قد صنع ما صنع من أجل التعايش السلمي وحقن دماء المسلمين^(١٧) وما الصلح مع معاوية (لعنه الله) إلا دليلاً على حرص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تعايش الناس بأمن وسلام عندما رأى قلة العدد وخذلان الناصر قبل بالصلح المشروط حتى لا تراق دماء المسلمين في معركة إن وقعت خاسرة لا محالة؛ فالحكمة والتدبير والقيادة الحسنة للإمام الحسن (عليه السلام) هي من المسلّمات الممهدة للعيش بسلام.

وهذا الحسين (عليه السلام) خرج يوم التروية من بيت الله الحرام ولم يكمل مناسك الحج لا خوفاً من يزيد بل من أجل حرمة الكعبة وحتى لا تراق فيها الدماء حين أعلن يزيد (عليه لعائن الله) قتل الحسين (عليه السلام) ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فخرج الحسين (عليه السلام) وهو القائل ((لم خرج أشراً ولا بطراً وإنما خرجت من أجل طلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله)؛ أليس الإصلاح من مقومات التعايش السلمي فالإصلاح يعني العدل والمساواة، ورفض الظلم والجور، وإعطاء الحقوق، والقيام بالواجبات وغيرها وكل ما ذكر يعد من موارد منظومة التعايش السلمي التي أكدت عليها المرجعية الرشيدة في العصر الحاضر على لسان ممثلها الشيخ عبد المهدي الكر بلائي في الخطبة التي سنتناولها في المبحث الثاني الذي سيأتي بعنوان ((لا تظلمون ولا تظلمون))

وأما سيرة الإمام الصادق - عليه السلام فقد كانت حافلة بالمناظرات في شتى العلوم سواء الدينية منها والدينيوية مع أهل الملل والنحل، والأديان الأخرى^(١٨)، والحوار مع الآخر نظراً إلى ما امتاز به عصره من تلاقح وتضارب الأفكار، وظهور الفرق والطوائف والتيارات المختلفة، وانبثقت شبهات وإشكاليات متعددة جرّاء تضارب عقائد المسلمين مع عقائد أهل الكتاب وفلاسفة اليونان أيضاً؛ ومع ذلك فقد واصل الإمام الصادق جهوده في النهضة العلمية والثقافية التي ابتدأها أبوه الإمام محمد الباقر وأسّس مدرسة وجامعة علمية كبيرة علّم ورّب فيها تلامذة كباراً وبارزين؛ أمثال هشام

بن الحكم، محمد بن مسلم، أبان ابن تغلب، هشام بن سالم، مؤمن الطاق، المفضل بن عمر، و جابر بن حيان و... في مختلف المجالات العقلية و النقلية، و قد ناهز عدد تلامذته الأربعة آلاف^(١٩)

فضلا عن ذلك نجد التعايش السلمي بين الشيعة وغيرهم من أتباع المذاهب الإسلامية، و ظهور الميول لدى أتباع تلك المذاهب إلى مشاركة الشيعة في عدد من المراسيم التي يقيمونها في المناسبات الدينية، ولا سيما في عزاء الإمام الحسين. هذا التعايش أبرز ضرورة وجود كتب في تناول الأيدي تبحث عن المستند الفقهي للمراسيم التي يقيمها الشيعة تخليداً لذكرى استشهاد الإمام الحسين، مثل التطبير والضرب بالسلاسل على الظهور، واللطم، ولبس السواد، والبكاء و... وتتكفل بإثبات استحبابها ونفي تشكيكات الحرمة والكراهة عنها، وذلك لمن يفهم الخطاب الفقهي^(٢٠).

المبحث الثاني

قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون) في خطبة الجمعة دراسة تحليلية دلالية
الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بإمامة الشيخ عبد المهدي الكر بلائي في ١٨/ ذو القعدة/ ١٤٣٨ هـ الموافق ١١ / ٨ / ٢٠١٧ م، الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة^(٢١)

حسن الافتتاح

افتتح الشيخ الخطبة الثانية بإخبار المخاطبين عن عرض مورد من موارد التعايش الاجتماعي على وفق المنظور الإسلامي، وأهمية العمل به في المجتمع العراقي في الوقت الحاضر خصوصا والمجتمعات الأخرى قائلًا ((اعرض في الخطبة الثانية على مسامعكم الكريمة مورداً آخر من موارد التعايش الاجتماعي وفق المنظور الإسلامي))، ثم خاطبهم باللفظ القريب من النفس البشرية، وعنصر فعال في التعايش السلمي وهو الأخوة بقوله ((أخواني إنما نتعرض لهذه الموارد لأهميتها وأهمية العمل بها في مجتمعنا وشعبنا العراقي وبقية المجتمعات، خصوصاً في الوقت الحاضر الذي نواجه فيه هذه الأزمات والفتن)).

عرض الخطبة

١- أشار الشيخ عبد المهدي الكربولائي في أول الخطبة إلى قضية تاريخية مهمة ألا وهي اختلاف الأديان وتعددتها مما لها الأثر البالغ في التحديات المعاصرة إذ إن هناك كثيراً من ضعف النفوس ممن يتخذ الغطاء الديني مدخلاً لإثارة الطائفية والعنصرية بين البلدان والشعوب المتجاورة بل حتى بين أبناء المجتمع الواحد لذا ركّز الشيخ على هذه المسألة قبل أن يدخل في بيان القاعدة بقوله ((إن مسألة الاختلاف بين الأديان في منظوماتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية وغيرها تفرض مجموعة من التحديات خصوصاً في ظل تعايش أتباع هذه الديانات في وطن واحد أو أوطان متجاورة أو بينهما علاقات متعددة))

٢- لم يركز الشيخ على الجانب الديني فقط إذ إن هذه التحديات تتجاوز المستوى الديني والثقافي إلى مجالات الحياة كافة بقوله ((وهذه التحديات تتجاوز النطاق الديني والثقافي وتشمل مجالات الحياة المهمة المتعددة -))

٣- لبة التعايش السلمي من طريق وضع الحلول لهذه القضية القديمة في وجودها الجديدة في أثرها ألا وهي تعدد الأديان - إذ إن كلّ ما تمرّ به المجتمعات من ظروف وحروب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية تجد هذه الثغرة لدى أصحاب الفهم الخاطئ في اتخاذ الدين غطاءً لنواياهم الشريرة لا حرصاً منهم على الدين - وإلا عند الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي - نجد فيه الدعوة إلى تعدد الأديان والحرية فيها إذ قال تعالى (لا إكراه في الدين))، ونجد فيه الدعوة إلى المحبة والتسامح والعدل ونبد الظلم والجور؛ لذا وجدنا الشيخ عبد المهدي الكربولائي قد أوجز الحل لتجاوز التحديات المختلفة بقاعدة نفى ظلم الآخر لنا، ونفى ظلمنا للآخر مما يحقق التعايش السلمي بين الجميع من دون استثناء بقوله ((ومن أجل تجاوز هذه التحديات بما يحقق المصالح المطلوبة للجميع فقد كان للإسلام موقف واضح يعكس إرادة الشرع في التعامل العادل مع إتباع الأديان والثقافات المختلفة يتلخص في ضرورة التعايش السلمي بين الجميع على أساس قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون))) وهو القواعد المشتركة والمصالح المتبادلة وملاحظة مصلحة البلد والشعب والعمل على أساسها.

٣- التأكيد على حياة التعايش السلمي وديمومته بواسطة تحقيق مبدأ العدالة في رعاية الحقوق وأداء الواجبات فبعد أن طرح الشيخ القاعدة أمام السامعين التي تقوم على نفي الظلم بين المتعاشين؛ أكد على مبدأ العدالة التي تؤكد عليه المصادر الإسلامية من غير أن يفرق بين تلك المصادر فقد أجمل القول ولم يفصل حتى أن كل سامع يبحث ليرى كيف أكد الإسلام على ذلك بقوله ((بقوله وقد أكدت المصادر الإسلامية على أن التعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق وأداء الواجبات هو التجسيد لمبدأ العدالة في الدين الإسلامي))... -

٤- التكرار في فعل الأمر (لاحظوا أخواني) في أول الخطبة وفي وسطها لجذب انتباه السامعين والمخاطبين إلى تلك القضايا المهمة التي يؤكد عليها الدين الإسلامي في الإشارة إلى تعدد الأديان في الوطن الواحد والشعب الواحد والبلد الواحد فلا بد من التعايش السلمي بينهما وقبول التعدد وإلا فإن عدم قبول الآخر يؤدي إلى كثير من المخاطر في مجالات الحياة المختلفة بقوله ((لاحظوا أخواني مسألة تعايش أتباع الديانات المختلفة في الوطن الواحد والشعب الواحد والبلد الواحد.. وإذا لم نحسن التعايش بين أتباع هذه الديانات سيقود الى الكثير من المخاطر في مجالات الحياة المختلفة))

٥- أشار الشيخ عبد المهدي إلى مخاطر العنصرية وعدم قبول الآخر فهي لا تقتصر على الجانب الثقافي والعقائدي - في تصور بعض الناس - بل تؤدي مخاطر أمنية واجتماعية واقتصادية وغيرها بقوله ((قد يتصور بعض الناس أن هذا الاختلاف بين أتباع الديانات إنما مخاطره تحديات ومشاكله في الجانب الثقافي والعقائدي فقط .. (لا).. إذا لم نحسن التعايش الاجتماعي والثقافي أيضاً فإنه ستتولد مخاطر ومشاكل أمنية واجتماعية وغير ذلك))

٦- التعدد والاختلاف بين أتباع الديانات أمر واقع يجب القبول به إلى يوم القيامة أي إلى نهاية الحياة الدنيا، وقدر لابد من العيش فيه والتعايش معه من أجل قبول الآخر وقد أكد عليه الإسلام ولم يهمل بقوله ((لذلك الإسلام لم يهمل هذه المسألة بالخصوص ..

ولنستذكر ان هذا الاختلاف قدر نعيشه إلى يوم القيامة لا سبيل إلى حل هذا الاختلاف..))

٧- الثواب والعقاب على هذا الاختلاف والتعدد في الديانات أمره الى الله تعالى وهو يجزي عليه مؤكداً كلامه بالتصريح بذكر لفظ الجلالة (الله) ثم الفعل (قال اتركوا) أي لفظ الجلالة على القول (اتركوا) وهو فعل أمر موجه لجموع المخاطبين والسامعين يدل على الوجوب مبني على حذف النون واتصلت به واو الجماعة من اجل التأكيد على قضية الاختلاف وإنها من الله تعالى وجزاؤها عليه هذا أولاً، وثانياً لفت انتباه السامعين والحاضرين الى قول الله تعالى بمعناه وليس بنصه من أجل السرعة في ايصال المطلوب إلى الآخر بمختلف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية، ومن أجل إلقاء الحجة على الآخر من السامعين والمتلقين في بيان إرادة الله تعالى في خلقه بقوله ((والله تعالى قال اتركوا هذا الأمر وأنا افصل بين العباد يوم القيامة .. لذلك حينما نعيش قدراً في هذا المجتمع أو بقية المجتمعات))

٨- الاختلاف في الانتماء الديني مسألة لا تُحل ولا يمكن حلّها وقد جاء الفعل بصيغة المبني للمجهول (لا تُحل) لأن واجدها معروف وهو الله تعالى وإرادته ومشيئته اقتضت هذا التعدد، ثم كرر النفي بـ (لا يمكن حلّها) أي ليس باستطاعة أحد إيجاد حل لهذه القضية التي أوجدها الله تعالى مع وجود البشرية ولا بد من التعامل معها كأمر واقع؛ وفي ذلك دلالة إيجابية تشير إلى قطع الطريق أمام من يعبث في هذه المسألة ليجعل منها مفتاحاً للفتن والنزاعات الطائفية والعنصرية في قوله ((وان هناك اختلاف في مسألة الانتماء الديني وان هذا الأمر لا يُحل ولا يمكن حله .. لذلك لا بد أن نتعامل مع هذا الأمر كأمر واقع))

٩- إقامة اسس التعايش الاجتماعي السليم بين الأديان المختلفة على وفق المنظور الإسلامي

بعد أن أوضح الشيخ في مقدمة الخطبة التعدد في الديانات والاختلاف في مسألة الانتماء الديني وأنه قدر لا بد من القبول به والتعايش معه، وقد أكد عليه الإسلام، ثم يعود ثانية

لبيان اهتمام الإسلام بهذه المسألة بوضع منظومة كاملة تحقق التعايش الاجتماعي السليم الذي يحقق المصالح المشتركة ويدفع الضرر عن الجميع على النحو الآتي:

١- ذكر الشيخ أن هذه المنظومة تستند إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتقوم على القبول بالتنوع والاختلاف في الدين من غير إكراه أو قسر أو إجبار للآخرين؛ فإن ذلك يؤدي إلى العنف والدمار للجميع ووقوع الفتن بقوله ((يعني أي أنا اقبل والآخرين يقبلون أيضاً أما الإكراه والقسر والإكراه للآخرين على أن يعتقدوا بمعتقدي ويؤمنوا بمعتقدي ويتبنوا معتقدي فلا يقود إلا إلى العنف والفتن والدمار للجميع ولا ينتفع احد

٢- بين الشيخ أن هذه المنظومة تستند إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في أسسها حتى يؤكد مرة أخرى على حلية هذا التعدد ووجوده وجوازه بقوله ((نذكر الآن هذه الأسس التي وضعها الإسلام ومن خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة))

٣- أسلوب الاستفهام باستعمال اسم الاستفهام (كيف) الذي يدل على الحال من أجل التشاور مع السامعين في الوصول إلى منظومة التعايش السلمي وتطبيقها بقوله ((يعني كيف نصل إلى هذا التعايش الاجتماعي السليم المبني على هذه النظرة))

٤- بعد عرض المقدمات الآتية الذكر شرع الشيخ في بيان الأسس المهمة التي تركز عليها منظومة التعايش الاجتماعي السليم وهي على النحو الآتي:

الاول : الاقتباس من القرآن الكريم في بيان وحدة الأصل الانساني التي وردت في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء/١؛ هذه الآية الكريمة التي بدأت بخطاب بأسلوب النداء (ياأيها الناس)) التي تنادي البشرية جمعاء من غير تمايز بينهم؛ فالله تعالى خلقهم من نفس واحدة ((وهذه الآية الكريمة تعطي النظرة الصحيحة للإنسان تجاه الآخرين وان اختلفوا بعد الدين

والمعتقد، فالكل مخلوق من نفس واحدة أي هنالك وحدة في الأصل الإنساني والناس ابناء عائلة إنسانية واحدة والله عز وجل هو الذي كرم الإنسان دون تمييز وهذا الاختلاف والتنوع والتعدد في اللغات والألوان من آياته للعالمين))، ثم جاء الاقتباس الآخر في بيان معيار التفاضل بين البشرية ألا وهي التقوى في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات/١٣؛ فلا بد من التعارف بين الشعوب وهو عهد للتفاهم والتعاون والتعايش والقبول بالاختلاف مع الآخرين ورفض القهر والاكراه فيما يتعلق بالدين والمعتقد.

٥- بين الشيخ دعائم التعايش السلمي التي كرسها الإسلام من القسط والعدل والإنصاف والصفح والعفو وإحقاق الحق ونفي الظلم والاعتداء وغيرها

٦- التضمنين من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان أسس التعايش السلمي الذي ينطلق من الذات الإنسانية في بيان معاملة الآخر؛ والشعور بحاجاتهم بما لهم من حقوق على الوالي، وما عليهم من واجبات في معاملة تعتمد على المحبة واللطف والابتعاد عن العنف والتسلط عليهم؛ والانطلاق في معاملتهم من إنسانية الإنسان التي أوجب الله تعالى إكرامها فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/٧٠، أو الانطلاق من تكوينها من خلق واحد أو نفس واحدة تجمعهم إخوة الدين أو المشابهة في الخلق والتكوين والحاجة إلى العيش في حرية وأمان وأمن وسلام؛ وكل ذلك جاء في عهد الإمام علي (عليه السلام) لما لك الاشتراكية (رضوان الله تعالى عليه) لما ولاه مصر الذي جاء به: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنه صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق))؛ والتركيز على وحدة الأصل الإنساني تهيئة نفسية وتسهيل لسبل التقارب وانتزاع الشعور بالعداء أو بالتمييز الذاتي وما يجب أن يستحضره المؤمن هو أن الآخر مهما كان دينه ومذهبه وعقيدته فهو شريك له في هذه الحياة ولا بد من التعامل معه على هذا الأساس.

الثاني: الاقتباس من القرآن الكريم في بيان العنصر الثاني من عناصر التعايش السلمي الذي يسهم في حفظ حرمة الدماء والأموال والأعراض، وما يترتب على ذلك من حفظ الأمن والسلام وإبعاد المجتمع عن ألوان العنف والقتل والخطف والجريمة وهذا لا يقتصر على المسلمين فقط بل يشمل الآخرين أيضاً قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة/٣٢

الثالث: الاقتباس من القرآن الكريم في بيان العنصر الثالث من عناصر منظومة التعايش السلمي من إقامة العدل والقسط في الحكم بين جميع الطوائف فلا يجوز أن يكون الموقف السلبي للشخص تجاه الآخر لأي سبب كان ولا سيما الاختلاف في الدين والعقيدة موجباً لسلب حقه والإجحاف في الحكم عليه بإبطال حق أو إحقاق باطل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء/٥٨، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة/٨

الأساس الرابع: الاقتباس من القرآن الكريم في بيان التعامل الاجتماعي الإنساني وأخلاقيات التعاطي مع الآخرين فنجد هنا حرص الإسلام على التعامل مع الآخرين على أساس المحبة والإخوة الإنسانية

أ- الجدل بالتّي هي أحسن إذ قال تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت/٤٦

ب- الاستشهاد بالموروث الإسلامي المتمثل بسيرة أهل البيت في بيان صلة الأرحام، فالإسلام يأمر بصلة الرحم ولو لم يكن مسلم؛ من ذلك ما ورد في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) من مشايعة صاحب الطريق فقد ندب الرسول (صلى الله عليه وآله

وسلم) إلى مشايعة الصاحب في الطريق ولو كان غير مسلم، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه صاحب رجلاً غير مسلم فقال له صاحبه أين تريد يا عبد الله؟ قال أريد الكوفة فلما عدل الطريق بصاحبه عدل معه (عليه السلام) فقال له صاحبه لما عدلت معي فقال له هذا من تمام الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا.

الأساس الخامس :

١- الاقتباس من القرآن الكريم في بيان العنصر الأساس في التعايش السلمي ألا وهو الاعتراف والإقرار بوجود الآخر؛ فقد أطل الشيخ في هذا بيان هذا الأساس والتنبيه عليه باسم الإشارة (هذا) لتخصيصه دون غيره كونه يمثل عمود التعايش السلمي بقوله ((وهذا الأمر نريد أن نبه عليه))؛ ثم تطرق إلى بيان الفرق بين حق الإنسان أن يعيش بأمن وسلام مع الآخر من بني جنسه على وفق قواعد ومبادئ العدالة، وبين كونه على عقيدة صحيحة أو لا الذي هو قدر وأمر يجب القبول به أي وجود ديانات متعددة ووجود مجتمعات تعيش مختلفة في معتقداتها وديانيتها؛ وهذا ما جاء واضحاً في أول الخطبة، وبين أسبابه ونتائجه ثم أفرد له مستوى مستقل لبيان أثره ونتائجه بقوله ((وهو أن نفرّق بين شيئين : بين كون الآخر في عقيدته ودينه على حق صحيح أو لا ، وبين حقه في الوجود والعيش بسلام مع الآخرين ، تارة له دين ومعتقد حق صحيح أو لا هذا شيء ، والشيء الآخر أن هذا الإنسان الذي يخالفني في المعتقد والدين له الحق في أن يوجد ويعيش معي بسلام وفق قواعد ومبادئ العدالة .. فقدر المجتمعات البشرية إلى يوم القيامة ان تعيش مختلفة في دياناتها ومعتقداتها)).

٢- ثم بين الشيخ عبد المهدي دور القرآن في ترويض النفس البشرية على التعايش السلمي مع الآخرين على الرغم من اختلاف الدين والعقيدة فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة، ولا يستطيع أحد الفصل والحسم بين الديانات والعقائد المختلفة في قوله ((ويروض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع الاختلاف في العقيدة والدين فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة فلا يتوهم احد إمكانية الفصل والحسم بين الديانات

والعقائد المختلفة، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ السجدة/٢٥

٣- الحقوق والواجبات وهما أساسان مهمان في التعايش السلمي مع الآخر في إعطاء الحقوق لهم وإداء الواجبات التي عليهم في قوله ((فهنا مع هذا الاختلاف في العقيدة والدين الإسلامي أمر أن يكون هناك تعايش اجتماعي مبني على قبول الآخر والاعتراف بوجوده ضمن مبادئ إعطاء الحقوق وإداء الواجبات، كما انه تعطى لهم الحقوق لا بد من أن تؤدي الواجبات التي عليهم))

٤- حاجة العراق في ظل هذه الظروف إلى تطبيق أسس منظومة التعايش السلمي التي أكد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بما يضمن للشعب العيش بسلام وأمان، وما يترتب على ذلك من التطور والازدهار بعيداً عن التناحر والنزاع والصراع ؛كما جاء في قوله ((من اجل أن نضمن لهذا البلد ولهذا الشعب ونحن في العراق الآن في ظل وجود أسباب عديدة للنزاع والصراع والاحتقان والتناحر.. أحوج إلى تطبيق هذه المبادئ والأسس التي وضعها الإسلام لكي نصل إلى حالة الأمن والاستقرار الذي يؤدي إلى تطور البلد وازدهاره وتحقيق الأمن الاجتماعي))

١٠- حسن الختام : بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد وعلى آله الطاهرين في قوله ((والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين)) الخاتمة ونتائج البحث

١- ضرورة التعايش السلمي على وفق قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون)، وقد قدم فيها الفعل المبني للمجهول (لا تظلمون) على الفعل المبني للمعلوم (لا تظلمون) ففي ذلك دلالة على مقارعة الظلم والظالمين وعدم السكوت عليه أي كان مصدره من الداخل أو الخارج ، فالتعايش السلمي لا يعني الصمت والسكوت على ظلم الآخر واستغلاله بل يجب مقارعة الظلم والظالمين؛ لأن الظلم هو آفة التعايش بسلام فوجوده يعني الفقر والجهل ويعني ضياع الحقوق وانعدام الخدمات البشرية ، وما يترتب على ذلك من السلوك المجتمعي الذي ينافي العيش بأمن وسلام، ولكن في المقابل يجب نفي الظلم في

التعامل مع الآخر ونبدأ بالذات الإنسانية أولاً ومن ثم الأسرة، والمجتمع، ومن بعدها العلاقات المجتمعية المختلفة على مستوى الدولة والمجتمع.

٢- أن نتخذ من القرآن الكريم وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) معياراً للتعايش السلمي فقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات/١٣؛ ولم يقل شعبا وهذا تأكيد على التنوع البشري والتعدد المذهبي، ولا بد من احترام إرادة الله تعالى في عيش هذه المذاهب المختلفة بأمن وأمان وسلام فالله تعالى يحب السلام ومن أسمائه السلام، وعدم التناحر أو القتال على مذهب أو عقيدة فالله جل ثناؤه قال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/٢٥٦، ولكن يجب اعتماد المحاجة العقلية والحوار في التخاطب وتبادل الآراء في الدفاع عن عقيدة أو مذهب ما وكلاهما من الطرق السلمية التي تحترم الآخر وتستمع إليه؛ فلعل الآخر يسمع منك كما تسمع منه فيؤثر فيك أو تؤثر عليه في تعايش سلمي مبني على الألفة والمحبة والتعاون من غير إراقة قطرة دم أو تكفير الآخر من غير دليل شرعي سوى الاستناد إلى الفهم الخاطئ لبعض آي القرآن الكريم وإخراجها عن دلالتها الحقيقية من غير دليل شرعي بإتباع هوى النفس الذي يؤدي إلى فقدان ركن من أركان التعايش السلمي وهو العيش بأمن وأمان حين نناقش الآخر بلغة الحوار لا بلغة السلاح والعنف الذي يؤدي إلى فقدان الأمن وهدم ركن من أركان السلم المجتمعي وهو الأمن المجتمعي.

٣- المعيار الثاني للتعايش السلمي هو سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ورواياتهم، وخير سيرة ماثلة للعيان هي سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) الذي قبل بالصلح مع معاوية من أجل حقن دماء المسلمين وتحقيق السلام، ومن ثم سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) حين خرج في يوم التروية ولم يتم مناسك الحج عندما سمع بأن يزيد (عليه لعائن الله) يقتله ولو كان معلقاً بأستار الكعبة؛ فخرج (عليه السلام) حقناً للدماء، ورفض مبايعة السلطان الجائر، ومن أجل تحقيق الإصلاح في أمة جده محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال (لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ^{٢٢}؛ فيعدّ الإصلاح مقوماً من مقومات السلم المجتمعي وتحقيق التعايش في مختلف جوانب الحياة.

٤- أن نتخذ من حكم الإمام علي (عليه السلام) معياراً للتعايش السلمي، ولا يخفى على أحد مضامين عهده إلى مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) وهو أحد ولاته وكان عادلاً؛ ولكن ما كتبه الإمام علي (عليه السلام) هولي ولك ولغيرك من الحكام والشعوب فقال ((٠٠٠ وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم ٠٠٠؛ ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان؛ إما أخ لك في الدين؛ وإما نظير لك في الخلق)) ^{٢٣}، أي أن تكون منهم تحس بهم، وتهتم بحاجاتهم، كيف يعيشون، وماذا يأكلون، وماذا يلبسون، وكيف ينامون؛ فيبدأ التعايش السلمي من الذات الإنسانية حين تشعر بالآخر وتفكر به ومن ثم تؤمن له العيش الكريم الذي يحقق السعادة والمحبة والتعاون مع الآخر؛ وهذه العناصر من مقومات التعايش السلمي؛ ثم يقول (عليه السلام) في بيان التعدد المذهبي وتأكيد على إنسانية الإنسان فيقول ((فهو أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)؛ أما أن يكون على مذهبك فيها؛ وإن لم يكن على مذهبك ودينك فهو مثلك في إنسانيته يحتاج إلى العيش بأمن وأمان وسلام ومحبة ووثام؛ لأن الظلم والجور والتعامل على أساس المذهبية والطائفية يؤدي إلى العنف وفقد الأمان ولأمن والشعور بالظلم والجور من الآخر لذا كان علينا أن نتبع قاعدة ((لا تظلمون ولا تظلمون)) في تحقيق موارد التعايش السلمي الذي أشارت إليه المرجعية الكريمة فكانت خير أساس لبناء دولة تقوم على المحبة والتعاون ومقارعة الظلم والظالمين في كل زمان ومكان.

الملخص

إن التعايش السلمي يعني العيش على الألفة والمودة مع الآخر، ونقيض ذلك الظلم والجور وهما من العبارات التي تشمئز النفس الإنسانية عند سماعها، وقد اقترن ذكر الظلم بالشرك بالله؛ قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ

الشَّرْكُ لَظْلَمٌ عَظِيمٌ لقمان/١٣، ولكن عندما يتعدى الظلم من الشرك بالله تعالى إلى العلاقات الاجتماعية فيكون ذا أثر سلبي على العيش بأمن وسلام ومن ثم انعكاس ذلك على موارد السلم المجتمعي في رسم العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات، والمصالح المتبادلة بين البشرية جمعاء من دون استثناء في الدين أو المعتقد أو المذهب أو العرف الاجتماعي ومن هنا وقع الاختيار على هذه القاعدة التي أجملت فيها المرجعية موارد السلم المجتمعي وفق المنظور الإسلامي على لسان الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٨/١١م؛ فجاء البحث بعنوان (التعايش السلمي في ضوء قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون) دراسة تحليلية دلالية)؛ وقد تألف البحث من مبحثين تناول الأول منهما مفهوم التعايش السلمي في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، أما المبحث الثاني فقد تضمن الدراسة التطبيقية فجاء بعنوان قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون) دراسة تحليلية دلالية، وقد سبقهما تمهيد تضمن التعريف بمفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح، ومن ثم جاءت الخاتمة متضمنة النتائج ومتبوعة بالهوامش التي تلتها المصادر، ومن تلك النتائج ما يأتي:

١- ضرورة التعايش السلمي على وفق قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون)، وقد قدم فيها الفعل المبني للمجهول (لا تظلمون) على الفعل المبني للمعلوم (لا تظلمون) ففي ذلك دلالة على مقارنة الظالمين وعدم السكوت على الظلم أي كان مصدره من الداخل أو الخارج، فالتعايش السلمي لا يعني الصمت والسكوت على ظلم الآخر واستغلاله بل يجب مقارنة الظلم والظالمين؛ لأن الظلم هو آفة التعايش بسلام فوجوده يعني الفقر والجهل، ويعني ضياع الحقوق وانعدام الخدمات البشرية، وما يترتب على ذلك من السلوك المجتمعي الذي ينافي العيش بأمن وسلام، ولكن في المقابل يجب نفي الظلم في التعامل مع الآخر ونبدأ بالذات الإنسانية أولاً ومن ثم الأسرة، والمجتمع، ومن بعدها العلاقات المجتمعية المختلفة على مستوى الدولة والمجتمع.

٢- أن نتخذ من القرآن الكريم وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) معيارا للتعايش السلمي فقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات/١٣؛ ولم يقل شعبا وهذا تأكيد على التنوع البشري والتعدد المذهبي، ولا بد من احترام إرادة الله تعالى في عيش هذه المذاهب المختلفة بأمن وأمان وسلام فالله تعالى يحب السلام ومن أسمائه السلام، وعدم التناحر أو التقاتل على مذهب أو عقيدة فالله جل ثناؤه قال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/٢٥٦، ولكن يجب اعتماد المحاجة العقلية، والحوار في التخاطب، وتبادل الآراء في الدفاع عن عقيدة أو مذهب ما وكلاهما من الطرق السلمية التي تحترم الآخر، وتستمع إليه؛ فلفعل الآخر يسمع منك كما تسمع منه فيؤثر فيك أو تؤثر عليه في تعايش سلمي مبني على الألفة والمحبة والتعاون من غير إراقة قطرة دم أو تكفير الآخر من غير دليل شرعي سوى الاستناد إلى الفهم الخاطئ لبعض آي من القرآن الكريم وإخراجها عن دلالتها الحقيقية من غير دليل شرعي بإتباع هوى النفس الذي يؤدي إلى فقدان ركن من أركان التعايش السلمي وهو العيش بأمن وأمان حين نناقش الآخر بلغة الحوار لا بلغة السلاح والعنف الذي يؤدي إلى فقدان الأمن وهدم ركن من أركان السلم المجتمعي وهو الأمن المجتمعي.

٣- المعيار الثاني للتعايش السلمي هو سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ورواياتهم، وخير سيرة ماثلة للعيان هي سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) الذي قبل بالصلح مع معاوية من أجل حقن دماء المسلمين وتحقيق السلام، ومن ثم سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) حين خرج في يوم التروية ولم يتم مناسك الحج عندما سمع بأن يزيد (لع) يقتله ولو كان معلقا بأستار الكعبة؛ فخرج (عليه السلام) حقنا للدماء، ورفض مبايعة السلطان الجائر، ومن أجل تحقيق الإصلاح في أمة جده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال (لم أخرج أشرا ولا بطرا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة

جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فيعدّ الإصلاح مقوماً من مقومات السلم المجتمعي وتحقيق التعايش في مختلف جوانب الحياة.

٤- أن نتخذ من حكم الإمام علي (عليه السلام) معياراً للتعايش السلمي، ولا يخفى على أحد مضامين عهده إلى مالك الأشتر (رض) وهو أحد ولاته وكان عادلاً؛ ولكن ماكتبه الإمام علي (عليه السلام) هولي ولك ولغيرك من الحكام والشعوب فقال (اشعر قلبك للرعية)؛ أي أن تكون منهم تحس بهم، وتهتم بحاجاتهم، كيف يعيشون، وماذا يأكلون، وماذا يلبسون، وكيف ينامون؛ فيبدأ التعايش السلمي من الذات الإنسانية حين تشعر بالآخر وتفكر به، ومن ثم تؤمن له العيش الكريم الذي يحقق السعادة والمحبة والتعاون مع الآخر؛ وهذه العناصر من مقومات التعايش السلمي؛ ثم يقول (عليه السلام) في بيان التعدد المذهبي وتأكيد على إنسانية الإنسان فيقول ((فهو أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)؛ أما أن يكون على مذهبك فيها، وإن لم يكن على مذهبك ودينك فهو مثلك في إنسانيته يحتاج إلى العيش بأمن وأمان وسلام ومحبة ووئام؛ لأن الظلم والجور والتعامل على أساس المذهبية والطائفية يؤدي إلى العنف وفقد الأمان ولأمن والشعور بالظلم والجور من الآخر؛ لذا كان علينا أن نتبع قاعدة ((لا تظلمون ولا تظلمون)) في تحقيق موارد التعايش السلمي الذي أشارت إليه المرجعية الكريمة فكانت خير أساس لبناء دولة تقوم على المحبة والتعاون ومقارعة الظلم والظالمين في كل زمان ومكان.

الهوامش:

(١) ينظر: العين، الخليل: ١٨٩/٢، وينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٨٩/٤

(٢) ينظر: العين، الخليل: ٦٥/٢

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون: ٨٩/٢

(٤) التعايش السلمي ومصير البشرية، حسين فهمي مصطفى: ٢٢

(٥) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري: ٣٠

(٦) تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد الصراع الأثني، سنايز ومارثا ميثاو، ترجمة: فؤاد

- (٧) ينظر: عقائدنا، مكارم الشيرازي: ١٠
- (٨) ينظر: التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده ، محمد تقي المدرسي: ١٠١/٤
- (٩) رياض النعيم في ظل الرحمن الرحيم، راجي رحمة ربه الرحمن ، أبو عبد الرحمن سلطان على: ٣٢٠ / ١
- (١٠) ينظر: نفحات القرآن، مكارم الشيرازي: ١٠٤/٢
- (١١) ينظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني: ٤١/١٢
- (١٢) ينظر: النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة وأسوة، محمد قي المدرسي: ١٧-١٨
- (١٣) نيل الأوطار، الشوكاني: ٩٣/٤
- (١٤) صحيح البخاري، البخاري: ٨٥/٢ (باب الجنائز)
- (١٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ابن أبي الحديد: ١٧/١٩ وينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٧١/٣٣
- (١٦) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦٦/١٥
- (١٧) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢٧/١٦
- (١٨) ينظر: مناظرات الامام الصادق (عليه السلام)، حسين الشاكري: ٥
- (١٩) ينظر: الأئمة (عليهم السلام) الإثنا عشر، السبحاني: ١٩/١٢
- (٢٠) ينظر: الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي، عبد الحسين الحلبي (النقد التنزيه لرسالة التنزيه): ٦٩
- (٢١) Fridaysemon>imamhussain.org، موقع العتبة الحسينية المقدسة
- (٢٢) ينظر: حياة الامام الحسين (عليه السلام) دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي: ٤٥/٣
- (٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨/١٧

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- آيدولوجيات الحرب والسلام: فرنسوا شاتليه، ترجمة: جوزيف عبد الله، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨١ م.
- الأئمة الإثنا عشر (دراسة موجزة عن شخصياتهم وحياتهم) (عليهم السلام): الفقيه المحقق جعفر السبحاني، دار جواد الأئمة.
- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، ط ٢، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

- تخيل التعايش معاً- تجديد الإنسانية بعد الصراع الإثني العنيف: تحرير أنطونيا تشايز، مارثا ميناو؛ ترجمة: فؤاد السروجي، مراجعة: محمود الزواوي، ط١، عمان، ٢٠٠٦
- التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده: آية الله محمد تقي المدرسي، الناشر: دار محبي الحسين (عليه السلام)
- التعايش السلمي ومصير البشرية: حسين فهمي مصطفى، الدار القومية للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الحوار من أجل التعايش السلمي: عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.
- حياة الامام الحسين بن علي (عليه السلام) دراسة وتحليل: باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط٢، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- رياض النعيم في ظل الرحمن الرحيم: راجي رحمة ربه الرحمن: أبو عبد الرحمن سلطان علي
- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
- الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي: عبد الحسين الحلي: تحقيق: نزار الحائري، دط، دت.
- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، تح: د. محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- عقائدنا: مكارم الشيرازي، ط١، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧م.
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.

- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- المعجم الوسيط: قام باخراجه: ابراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية - الادارة العامة للمعجمات و احياء التراث، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- مفاهيم القرآن: العلامة جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق، قم.
- مناظرات الإمام الصادق (عليه السلام): الحاج حسين الشاكري، دار ستارة، ١٤١٨ هـ.
- النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قدوة وأسوة: آية الله محمد تقى المدرسي
- نفحات القرآن: السبخ ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة.
- نيل الأوطار: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي) (ت ١١٠٤)، تحقيق وتصحيح: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٥، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢.
- Fridaysemon>imamhussain.org، موقع العتبة الحسينية المقدسة

دور المرجعية في بناء التعايش السلمي في المجتمع

م.د. جمعة نجيل الحمداني
جامعة ذي قار / كلية الاداب

تمهيد

المبحث الاول : دور المرجعية في نشر ثقافة قبول الاخر .

يؤسس النص القرآني صيغة للتعارف والتعايش في الاجتماع البشري ، مبنية على التسامح والسلم الاهلي ، في آيات عديدة . منها قوله تعالى : (يأيتها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ^(١) . ويهدف الاسلام الى اقامة علاقة سلمية مع كل الشعوب ، والاسلام دين عالمي يتجه برسائله الى البشرية كلها . لان عالمنا اليوم في اشد الحاجة الى التسامح الفعال والتعايش الايجابي بين الناس اكثر من اي وقت مضى ، نظرا لان التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوما بعد يوم بفضل وسائل الاتصال الحديثة وثورة المعلومات والتكنولوجيا المتطورة التي أزال الحواجز المكانية والزمانية بين الامم والشعوب حتى اصبح الجميع يعيشون في قرية كونية صغيرة .

أما الخصوصيات والانتماءات الثانوية كالهوية الوطنية والدين ، فيجب ان لا تصبح فاصلا يفصل بين الناس ، وفي الحديث الشريف البليغ عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام قائلا : (العصبية التي يأثم عليها صاحبها هي ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه ، ولكن العصبية أن يعين قومه على الظلم) ^(٢) .

ولان الاسلام عندما جاء ، فانه جاء ليحرر الناس من عبودية التفاخر بالأنساب ، وليؤسس طريقا جديدا للمساواة بين الناس ، فلا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى . وعندما حارب الاسلام عادات الجاهلية الاولى وتفاخرها بأبائها فانه يريد ان ينقل الانسان من عالم القساوة الصحراوية والقوقعة الفكرية المنعزلة عن الآخرين ، الى عالم رحب واسع هو عالم التعايش السلمي الذي يبدأ من المساواة بين الناس واعتماد عمل الانسان واخلاقه وتقديمهما على اي اعتبار قبلي اخر ، لذلك قال رسول الله صلى الله

عليه واله وسلم في خطبته الشهيرة يوم فتح مكة : (يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، كلكم من ادم وادم من تراب) (٣) . وقال صلى الله عليه واله وسلم : (يا أيها الناس ألا أن ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربي على اعجمي ، لا لأعجمي على عربي ، ولا لاحمر على اسود ، ولا لاسود على احمر الا بالتقوى ، ابلغت ؟ قالوا : بلغت يا رسول الله) (٤) .

ومن خلال هذه النصوص نرى بوضوح ان الاسلام هو دين التعايش السلمي لا والاعتدال مع الاخر منذ انطلاقة الاولى في مكة المكرمة عندما كان المسلمون أقلية ، وعرفه في المدينة المنورة عندما أصبحوا أكثرية ، ولهم كيان مستقل ، وبعبارة اخرى فان تجربة الاسلام في التعايش السلمي تمتد منذ ان جاء الاسلام الى يومنا هذا ، وهذه التجربة تتنوع وتتعدد بحسب طبيعة البيئة التي ترعرعت فيها مثل ان تكون بيئة اسلامية أو أقلية اسلامية أو بيئة من اهل الكتاب أو من غيرهم أو بيئة دينية أو غير دينية .

لذا فقد جاءت طائفة من الآيات التي تعبر عن البعد الانساني لتلك الشريعة السمحاء والتي تدفع اعلاء مبدأ التعايش السلمي كأسلوب يخطه الاسلام ويعتمده في التعامل مع الذين لا يعتنقون أو يعتقدون بالإسلام . قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقلوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون) (٥) ، وقال تعالى : (ادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) (٦) .

فجميع البشر على وجه هذه الارض يشتركون في الانسانية ، وبالتالي كفلهم الاسلام الحق بالحياة والعيش بالكرامة ، دون تمييز بينهم ، وذلك من خلال مبدأ ان الانسان مكرم لذاته ، دون الالتفات الى ديانتة او عرقه او لونه او منشئه ، فجميع افراد المجتمع اسره واحدة ولهم حقوق معينة وعليهم واجبات ، قال تعالى : (ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (٧) . اما الاختلاف الظاهر في اشكال الناس والوانهم واجناسهم ولغاتهم فليس الا دليلاً

على عظمة الله الخالق وقدرته وابداعه في خلقه ، قال تعالى : (ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم واللوانكم ان في ذلك لايات للعالمين)^(٨) فاذا وجد الاختلاف في المجتمعات البشرية فان ذلك من الظواهر الطبيعية ، ولا ينبغي لفئة التميز على فئة اخرى لان ذلك يحدث العداوة والبغضاء في المجتمع ويشير النعرات الطائفية بين افرادها ، بل ينبغي ان يكون ذلك الاختلاف سبيلا للتعارف والتوادد والتراحم بين اطياف المجتمع الواحد والسعي لإيجاد المصالح المشتركة بينهم .

وبما ان القرآن الكريم يمثل قول الله تعالى ، فان سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) تمثل التطبيق العملي للقران ولهذا ، نجد سيرته (صلى الله عليه واله وسلم) تعاملت مع الاخر المخالف حتى في الدين والعقيدة بالحسنى حتى في حالات المواجهات المباشرة وذلك لقوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله لا يحب المقسطين)^(٩) كما راعى الاسلام عدم المساس بمعاهد او ذمي ، ان كان بينه وبين المسلمين عقد ذمة ، قال المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) : (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة اربعين عاماً)^(١٠) وبما ان سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) تمثل التطبيق العملي للقران الكريم وامتدادا له ، فان الإمامة المتمثلة بالمعصومين عليهم السلام هي الاخرى تمثل امتدادا لسيرة المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) وكذلك فان المرجعية الدينية الرشيدة تمثل في هذه الايام امتدادا وتطبيقا لمعاني الإمامة من خلال افعالها وسيرتها في بث ونشر مظاهر التعايش السلمي بين ابناء المجتمع وذلك من خلال خطبها العديدة التي اكدت فيها دائما على الاعتراف بوجود الاخر بغض النظر عن ديانتهم وعدم تهميشه ، كما اكدت على الغاء ومحاربة كل اشكال الكراهية والتعامل مع اصحاب الديانات بالبر والحسنى ، وكذلك اتباع اسلوب الحوار بالتي هي احسن مع هؤلاء الافراد ، لان الحوار في نظرها سبيل للانفتاح الصحيح والسليم ، مع الاعتراز بالانتماء للإسلام ومحافظة المسلم على شخصيته الاسلامية وابتعاده عن التقليد الاعمى والحفاظ على مايميزه من اخلاق وسمات خاصة.

وعلى الرغم من ان البعض جعل دور المرجعية يقتصر على الناحية العلمية ، ولكن الحقيقة ان دور المرجعية كان اجتماعيا وسياسيا وفكريا ايضا ، ويشهد على ذلك التاريخ المشرف للمرجعية من خلال تصديدها للتيارات الفرية المعادية لسلام والتي بثت سمومها في المجتمع الاسلامي فضلا عن بروز الجانب الاجتماعي لهذه الجهة الدينية العريقة والتي اخذت على عاتقها الاهتمام بمشاكل وهموم الناس ، اضافة الى الأدوار السياسية الشجاعة ضد السلطة ، والاهم من ذلك كله كانت المرجعية الدينية الرشيدة تخاطب الناس بأسلوب معاصر يحمل كل معاني التعايش السلمي ونبذ الكراهية التي زرعتها بعض الفرق المحسوبة على الاسلام .

وبما ان الامامة كانت امتداد للنوبة وحاملة لرسالتها ، كانت المرجعية هي الاخرى تمثل امتداد للإمامة ، واكمال لثقافتها الاسلامية الصحيحة ، تحاول وتجاهد من اجل تقديم خطاب ديني معتدل يعطي الصورة الحقيقية للإسلام الحنيف .

فقد نبذت المرجعية في كل خطاباتها مفاهيم الحقد والكراهية والتعصب والتخندق ، بل ورفضت حتى الافكار الدخيلة على المذهب الامامي التي يروج لها اصحاب العقول الساذجة ، ولم تسكت المرجعية عن بيان الحق .

لهذا طالبت المرجعية من خلال خطابها الديني التنويري والمتجدد بالإصلاح وبالتحديد اصلاح الانسان ، ففي احدى الخطب الاخيرة لعام ٢٠١٨ اكد سماحة السيد احمد الصافي على ان يكون الخطاب الديني متنوعا في مواضيعه وذلك لمواكبة التطور وثقافة الزمن وان لا نتحدث عن مشاكل مضى عليها الف عام ، ودعا سماحته الى الابتعاد عن ذكر الخرافات والمنامات والامور الشخصية في الخطاب الديني ، وهذا دليل واضح على ان المرجعية الدينية تتبنى فكرة التعايش السلمي وترعاها ، بل وتحاول جاهدة زرعها وبثها بين اوساط المجتمع من خلال احاديث المحبة والوئام التي تزخر بها ثقافة اهل البيت عليهم السلام .

وقد اكدت المرجعية في توصياتها على مبدأ مهم جدا ، وهو الاستشهاد بالآيات القرآنية ، واعتماد قاعدة عرض النصوص التاريخية والدينية على القرآن وسمة نبه الاكرم

(صلى الله عليه واله وسلم) في قراءة الاحداث التاريخية والشرعية والفقه ، وتعد هذه القاعدة من اهم القواعد الاساسية عند المرجعية في خطابها الديني ولهذا نلاحظ بوضوح انها (المرجعية الرشيدة) في ثقافتها تمثل تطبيق للمنهج المحمدي والامامي الصحيح ، الذي يستشهد في كل حادثة بالقران الكريم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) حيث اكد القران الكريم في سور عديدة على مبدأ التعايش السلمي ومنها قوله تعالى ((لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ))^(١١) هذه الآية تحمل الكثير من معاني التعايش والتسامح ، فيها اشارات الى ان الله جل وعلا في كتابه وسنة نبيه ، ينظر بعين المساواة الى كل اصحاب الديانات ، والفارق الوحيد الذي يجازي به الله (عقابا وثوابا) هو العمل الذي يعمله الانسان لذلك قال تعالى (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ولن يجد له احد ينصره مهما كان موقعه ، بل ان الآية تؤكد ان العمل الصالح هو المقياس الحقيقي لمكانة الانسان ، فالعمل الصالح هو القول الفصل في تحديد انسانية الانسان ، والقول الفصل في تحديد موقعه في العبادة من ربه في ينفع ان يكون الانسان (شيعيا او سنيا) او منتميا الى أي فئة دينية اخرى ، الذي ينفع هو العمل الصالح وهذا ما اكدته القران الكريم في اكثر من خمسين اية ، حيث اقترن الايمان بالعمل الصالح ، وهذا يؤكد اهمية العمل الصالح في بناء شخصية المسلم ، وقد ورد وهذا الامر في العديد من الآيات القرآنية ومنها

١- ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))^(١٢)

٢- ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ))^(١٣)

٣- ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))^(١٤)

٤- ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ))^(١٥)

٥- ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)) (١٦)

وهناك العديد من الآيات الاخرى التي تقرب الايمان بالعمل الصالح ، وعده هو المقياس الحقيقي لإنسانية الانسان كي يتعايش مع الاخرين ، ويصل عدد هذه الآيات الواردة في القرآن اكثر من خمسين اية قرآنيه ، مما يؤكد ان التعايش السلمي هو سنة قرآنيه - نبوية - التزمت بها المرجعية في كل خطاباتنا .

اما كتب التراث فقد نقلت الينا العديد من الروايات والاحاديث التي تمثل سيرة الرسول (ص) وسنته في اعطاء صورة واضحة عن العمل الصالح واهميته .

ومن الشواهد الدالة على ذلك انه : ((سئل رسول الله (ص) : من احب الناس الى الله ورسول الله ؟ قال : احب الناس الى الله انفعهم للناس)) (١٧) ، أي ليس اكثرهم صلاة وصياما ، وانما اكثرهم منفعة للناس ، وهذا يمثل مصداق للاية الكريمة السابقة ، وسئل (ص) : ((ما احب الاعمال اليك يا رسول الله ؟ قال: سرور تدخله على مسلم ، او تكشف عنه كربة ، او تطرد عنه جوعا ، او تقضي عنه ديناً ، والله لان امشي مع اخي في حاجة احب الى ان اعتكف في هذا المسجد شهرا)) (١٨)

ونستدل من النصوص السابقة - القرآنية منها والنبوية - ان الجانب الاجتماعي له امية في فك الاسلام ، ويجب ان يعطى اهمية كبيرة تفوق العبادات ، وذلك لانه سببا من اسباب بناء المجتمع الصالح من خلال التعايش السلمي الحقيقي ، وقد اعتاد العامة من الناس ان يأخذوا من التعاليم النبوية جوانبها التعبدية والاعتقادية ، اما الجواني الاجتماعية التي جاء النبي (ص) من اجلها ، فلا يكثرثون بها ، او هي تبقى مسجلة في الكتب يتواعظ الناس بها دون ان يعملوا بها في حين ان النبي (ص) قد اشار اليها مرارا وتكرارا ، ففي حالة السرقة وكيف كان يتعامل معها ، اشار النبي (ص) الى مسألة مهمة جدا ، وهي انه مهما كان السارق ينتمي الى جهة او فئة او قبيلة فانها لا تشفع له ، لان السرقة هي هدم الشخصية الانسانية في حال التهاون معها ، لذلك قال (ص) : ((وايم اله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) (١٩) . وهذا الجانب

الاجتماعي الذي نجده في احداث الرسول الاكرم (ص) والذي يفوق احيانا الجانب التعبدي اهمية لانه يساهم في بناء الانسان وبالتالي يوصل الى التعايش السلمي . لهذا نرى دائما ان المرجعية الدينية في خطاباتها تتبنى هذا المبدأ لانها تؤمن ان الدين الاسلامي هو دين الانسانية ، أي انه جاء من اجل بناء الانسان ، وجعله قيمة عليا ، وتدعو دائما في خطاباتها الى الاولوية في مشروع بناء الانسان الذي يفوق في اهميته المشاريع الاخرى .

والتعايش السلمي في خطابات المرجعية يدعو دائما الى مراعاة التنوع والاختلاف في المجتمع ، وهذا التنوع هو سنة كونية قرانية ، فالناس يختلفون في مزاجهم ، وثقافتهم ولغتهم ، وقضت سنة الله التي لا تبدل ان يبقوا هكذا في حياتهم ، قال سبحانه وتعالى ((ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين)) (٢٠) .

هذا التنوع والاختلاف يحتاج الى سبل لازالة هذا الاختلاف ، او تقليل مخاطرة لیتقارب الناس ، لهذا امرهم الله بالتعارف واقامة العلاقات والحوار ليس فقط بين الافراد وانما بين الشعوب والحضارات ، ليعرف الناس ان الحوار يتطلب وقبل كل شيء الاعتراف بحتمية وجود الاختلاف بمعنى التنوع في الحياة الانسانية المطلقة ، الامر الذي يترتب عليه مبدأ الاعتراف بوجود الاخر وحقه في الوجود ، وهذا سيكون محور المبحث الثاني لهذا البحث .

المبحث الثاني

دور المرجعية الدينية في نشر ثقافة الحوار

اننا نعيش في عصر تشيع فيه ثقافة الحوار والتفاوض ، وما من شيء في عصرنا الا ويتفاوض الناس حوله ، ويتحاورون ، فنحن في حاجة ملحة وماسة الى نشر ثقافة الحوار والتفاوض داخليا وخارجيا واذ كان العالم المتقدم قد ادرك اهمية هذه الثقافة الانية والمستقبلية فما احوجنا نحن اليوم خاصة في اطار ظروف التدهور الحضاري الراهن في عالمنا العربي الاسلامي ، وعلينا ان نعرف بأساليب هذه الثقافة بل علينا ان نسهم في تطويرها من واقعنا .

ويعتبر الحوار مبدأ أساسيا في الاسلام ، وهو اوجب وسيلة للانتقال من المجهول الى المعلوم والتخاطب بين البشر وقد وضع القرآن الكريم العقل وفضله على القوة كوسيلة للتخاطب وبعث لنا جل وعلا وصرا للحوار كحوار اله سبحانه وتعالى مع الملائكة لقوله تعالى ((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الاض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفككم الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون))^(٢١) .

وقدم لنا القرآن صورة رائعة للحوار مع الانبياء واخى للحوار مع الشيطان لقوله تعالى ((قال ما منعك الا تسجد اذ أمتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين))^(٢٢) فاذا كان الحوار بين الله والشيطان جائزا بموجب النصوص القرآنية ، فحسب منطق القرآن نفسه ٩ ، فان الحوار بين الانسان واخيه الانسان واجب بل اشد وجوبا ، بل ان من شروط الحوار في القرآن ان يكون متسما باللين والحسنى والتواضع لفتح القلوب وتقريب المفاهيم ، كما تجلّى ذلك في سيرة النبي (ص) قال تعالى ((ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم))^(٢٣) .

وحين ندعو في ثقافتنا الاسلامية الى الحوار مع الاخر ، فأنا لا بد ان نقر بوجود اختلاف ما قبل الحوار والاختلاف هو ايضا سنة حياة ، والقرآن الكريم يتحدث عن هذا الاختلاف ، والاختلاف بالطبع هو ليس الخلاف ، لذلك قال تعالى ((ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين))^(٢٤) ، وقال تعالى ((ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم واللوانكم ان في ذلك لايات للعالمين))^(٢٥) وهذه الايات تؤكد معنى واضحا للاختلاف قبل الحوار ولهذا الاختلاف اسباب عديدة منها:

١- او شيء في الاختلاف هو دم وضوح الرؤيا ، او عدم تحديد محل النزاع ، فنجد تصاعد للغة التخوين والتضليل بسبب هذا الامر .

٢- العكوف على التقليد الاعمى ، وهذا ينشأ من الحكم المسبق عند البعض الذين ينظرون الى فلان من الناس - كونه عالم رباني - بانه لا يخطئ ، وان ما يقوله هو الصحيح باعتباره مزا من الموز ، ولان الرمز لا يخطئ في نظره فيتحول الى شخص

معصوم دون شعور وهذا مخالف للعقيدة والشريعة الاسلامية ، والاسف هناك بعض المجتمعات تتمسك بموروثها وتقاليدها وتريد ان تجعل منا دين .

٣- وهناك مشكلة ثالثة لازلنا نعاني منها في اختلاف حواراتنا هي مشكلة التعصب للرأي الى حد الجحود ، حتى بالحق ، والانقياد للانتماءات القبلية الهمجية ، وكمثال على ما نقول تذكر المصادر التاريخية^(٢٦) : ان بنو حنيفه ، وهم بطن من بطون بكر بن وائل وهي احدى قبائل ربيعة ، وكان مسكنهم اليمامة ، يعلمون علم اليقين لا دخل فيه ان ((مسيلم بن ثمامة بن كثير بن حبيب الحنفي)) مدعي النبوة ، كذاب ، مهرج ، ومع ذلك اتبعوه ((ليس حبا فيه ، ولكن تعصبا للقبيلة ونصرة للعشيرة ، وحتى لا يعقوا وهم ابناء ربيعة تحت امة قبيلة اخرى من مضر وهي قريش ، وقالوا مقاتلهم الغيرة على حسبهم ونسبهم)) (كذاب ربيعة خير عندما من صادق مضر) .

وفي نفس الوقت الذي نرى فيه ونسمع يوميا من الخطب الدينية لبعض المذاهب لغة الاقصاء والكراهية ونبد الآخر المختلف فاننا في الوقت نفسه نسمع بوضوح كلمات المطالبة بتفعيل لغة التهذئة ونشر المحبة بين الناس وتفعيل لغة الحوار الهادئ من قبل المرجعية الدينية في النجف الاشرف .

ان لغة الحوار الهادئ التي مثلت السياسة الواضحة للمرجعية كانت السبب الرئيسي في تهذئة الاوضاع في العراق ، ولغة الحوار التي نادت بها المرجعية وطبقته قولاً وفعلاً نابعة من صميم الدين الاسلامي الحنيف ، فقد اكد القران الكريم على الحوار الموضوعي الهادئ في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، قال تعالى ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن))^(٢٧) ، وقوله تعالى ((ومن احسن قولاً من دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم))^(٢٨) ، وقوله تعالى ((ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون))^(٢٩) .

وقد حدثنا القرآن الكريم في الكثير من الايات الشريفة عن الحوارات التي عقدها الانبياء عليهم السلام مع الاقوام التي بعثوا اليها حيث كان تبليغ سالتهم ودعوة الناس الى الحق انما يقوم على اساساً على الحوار الهادئ .

والحوار الهادئ هو اسلوب رسول الله (ص) في نشر دعوته في مكة ، فانزل اله جل وعلا قوله تعالى ((وانذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فن عصوك فقل اني بريء مما تعملون)) (٣٠) .

وقد سجلت كتب السيرة كثير من حواراته (ص) وتعليمه ووعظه ، وتنظيمه للمجتمع المسلم ، كل ذلك بالقول اللين والحسن والرغبة والادقة في نفع الناس في دينهم ودنياهم ، فالحوار عنده (ص) منهج تربوي دعوي للدعوة والهداية والبناء ، للصالح العام ، وللعالم كله ، وليس ادل على ذلك من كثرة الاحاديث الحوارية في سيرته (ص) .

لذلك فالملاحظ على خطابات المرجعية الدينية الرشيدة ، انها سلكت نفس الدور الاصلاحى والوعظي والارشادي من خلال ثقافة الحوار التي ارستها سيرة النبي (ص) وسيرة ال بيته الاطهار عليهم السلام وهذا الامر ساهم وبشكل كبير في بث ثقافة المحبة والوئام والتسامح بين اوساط المجتمع العراقي ، مما يدل على نجاحها العظيم في ادارة شؤون المجتمع الفكرية والاجتماعية .

فالرسالة الاسلامية ، اذ كانت قائمة على الحوار ، ومهمتها البلاغ ، رسالة الله الى الناس جميعا ((ما على الرسول الا البلاغ)) (٣١) وهو بلاغ مقرون بالسلوك العملي وفق شرائع تلك الرسالة لاثبات القدوة الحسنة ، تطبيقاً لقوله تعالى ((لقد كان لكم في رسول اله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)) (٣٢) .

وقد كان رسول الله (ص) افضل من استخدم الحوار على الاطلاق ، وهناك نماذج كثيرة متنوعة للحوار ، وترد في اشكال شتى لتقدم لنا الدوس التي يحسن الانتفاع بها . ونها هذا النص الذي ورد في كتب التاريخ والسيرة ((روى ابو امامة غلاما شابا اتى الى النبي (ص) فقال له : يا نبي الله اتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي (ص) قربوه ادن ، فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله (ص) فقال له النبي (ص) :

اتحبه لامك ؟ قال لا جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، اتحبه لابنتك ؟ قال لا جعلني الله فداك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، اتحبه لأختك ، قال لا جعلني الله فداك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لآخواتهم ، فوضع رسول اله (ص) يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شيء ابغض اليه من الزنا)) (٣٣)

هذا هو الحوار الصادق الذي يريد به المحاور اصلاح المجتمع بدءا من الافراد وإعطاء رسالة عامة للناس بتصحيح الكثير من من المفاهيم الخاطئة ، وبالحوار الهادئ نستطيع إن نوصل الفكرة الى الآخر ، لا التعصب والتشدد لم يكن في يوم من الأيام عاملا من عوامل الحوار ، او البناء ، بل كان على طول الزمان احد ابرز عوامل الهدم ، وفض التحاور ، فكم من فكرة رائعة لم تلق النجاح لطريقة الطرح وأسلوب الكلام ، لانها تطرح بأسلوب الغلظة والكراهية .

وفي الوقت الذي تتبع فيه المرجعية الدينية أسلوب التعامل بالحسنى مع الناس ، مقتديه بسيرة الرسول الأعظم (ص) وال بيته الاطهار (ع) ، فانها في الوقت نفسه توعظ الناس وتوجههم من اجل الارتقاء بهم ، لان التسامح واللين لا يعني سكوت عن التصرفات غير اللائقة التي تحيط بالمجتمع من جراء سلوكيات البعض ، ففي احدى الخطب الأخيرة قال الكربلائي ((انه من المؤسف انتشار بعض النواقص الأخلاقية في المجتمع العراقي ، والتي يجب السعي لتقليلها ، مبينا إن احترام حقوق النظام والناس يعد واجبا أخلاقيا)) وأضاف السيد الكربلائي ((إن انتشار قضايا الاعتداء على المعلمين والأساتذة ورجال الشرطة والمرور ، يعتبر من الصفات الذميمة التي تؤثر على اخلاقيات المجتمعات)) لافتا الى إن ((غياب سلطة الدولة دى الى الكثير من الممارسات التي يجب إن لا يشهدها المجتمع)) .

وتابع الكربلائي إن ((العلم مبدأ مقدس ، وعلى المجتمع الاهتمام به ، وجعله من الأولويات لدى الناس ، اما الاتقان بالعمل فيجب تقديسها للنهوض بواقع المثير من النواقص في المجتمع)) وأشار ممثل المرجعية الى إن ((بعض الاعتداءات والتجاوزات

على الآخرين وهم يؤدون الخدمة في مواقعهم للمواطنين ، يشير الى غياب القيم الأخلاقية وصفات ذميمة)) .

وقال الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة المرجعية ليوم الجمعة الموافق ٢٠٢٠/١/١٧ إن الصدق يأتي في مقدمة الفضائل النفسانية والأخلاق الرفيعة كونه زينة السان والكلام ومبعث للاستقامة والصلاح ، ومبدأ مهم للتماسك الاجتماعي ومؤشر للرقى الحضاري وسبب للنجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وأضاف إن هذه الفضيلة كانت موضع عناية واهتمام وتمجيد من قبل جميع الشرائع السماوية وموضع اعتناء من قبل الحكماء والعقلاء لافتا الى إن من يتأمل في بعض الاحاديث الشريفة التي تناولت منزلة الصدق يجد إن هذه الفضيلة تعد معيارا وميزانا للاختبار وعي الانسان المسلم بجوهر وحقيقة الإسلام وصدق الايمان وتميزه عن من يدعي الايمان لشكل ظاهري او لقلقة لسان . واستشهد الكربلائي بحديث الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) : ((لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم ، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحشه ، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة)) (٣٤) .

مبينا انه بالرغم من الأهمية الكبرى للصلاة والصوم في نظر الشريعة الإسلامية لكنهما لا يعدان وحدهما مقياسا ومعيارا يختبر منه صدق الايمان لدى الانسان المسلم ، مشيرا الى إن الكثير اعتاد على الصلاة والصوم الا انه في نفس الوقت استسهل واستهان بالكذب في علاقته الاجتماعية وعمله ومواعيده وعهوده وموآثيقه .

وتبين إن الصدق حسب تعريف العلماء هو التطابق والتوافق بين الكلام والواقع ، وبين القول والفعل ، ولكن يشمل أيضا الفكر والمعتقد ، والنية والقصد ، والعمل والأخلاق ومجالات أخرى واسعة ، مبينا إن الانسان يكون في بعض الأحيان صادقا في لسانه لكنه ليس بصادق في عمله ، وكذلك ليس بصادق في اخلاقه ودعوته وانه يدعو الى شيء وهو لا يلتزم به واحيانا يكون صادقا في ظاهره لكنه كاذبا في نيته .

وهكذا يتضح مسعى المرجعية التي تريد بيان ان الصدق يعزز الثقة بين الناس في العلاقات الاجتماعية ، ويعطي الائتمان والاطمئنان في العلاقات الاقتصادية ، ويؤدي الى نجاح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، مبينا ان اي مجتمع ينهض بالصدق سواء اكان متدينا او غير متدين .

ولا ننسى ان المرجعية عندما تذكر وتركز على امور الحياة الدنيوية في تفسيرها وتحليلها لمفهوم الصدق ، فإنها لا تنسى بالتأكيد - وهذا ديدنها - على ان الصدق في المجال العبادي يشعر الانسان الصادق بمحبة الله تعالى له في حياته عنده وبالتالي يعزز طاقته الروحية التي يحتاجها في حياته العبادية وغير ذلك فيؤدي المزيد من افعال الخير والبر والاحسان .

فقد استمرت المرجعية الدينية الرشيدة كل هذه الممارسات المكلفة بالصدق والثقة في التعامل ، استمدتها من سيرة المصطفى (ص) ، فقد كان النبي الاكرم (ص) صادقا مع صحابته اخذ برأيهم لأنه يشعر بصدقهم ، كونه معلمهم وملهمهم الاول ، ففي مرحلة الاستعداد لمعركة بدر نزل المسلمون منزلا استعدادا للمعركة ، ولكن احد الجنود المخلصين واسمه الحباب بن منذر بن الجموح^(٣٥) ، رأى بخبرته العسكرية ان هناك موقعا افضل من هذا المكان الذين نزل فيه المسلمين ، ولعلمه (اي حباب) بأن النبي (ص) كان يحاورهم ولا يحجر رأيهم ويأخذ بمشورة المسلمين اذا كانت راجحة ، فقد ذكرت المصادر ((ان الحباب بن منذر بن الجموح قال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل امنزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخره ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال : يا رسول الله فان هذا ليس لك بمنزل ، انهض بالناس حتى تأتي ادنى ماء القوم فننزله ونبني عليه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فشرب ولا يشربون . فقال رسول الله (ص) لقد اشرت بالرأي ، فنهض رسول الله (ص) ومن معه من الناس فسار حتى اتى ادنى ماء من القوم فنزل عليه))^(٣٦) .

هذا الموقف يكشف لنا ان النبي (ص) عن خلق عال من تقبل النصح والمشورة من اتباعه المخلصين ، وهو يترك للمواهب الفردية ان تبرز وتتفاعل لتصب في نهر الحركة

الاسلامية الفاعلة ، وليس كما يفعل بعض القادة العسكريون حين ينفردون بالرأي ويحجرون على الاتباع ويحتكرون الساحة القيادية والاعلامية ، فتموت المواهب وتندثر الافكار ، ويخسر المسلمون من جراء ذلك الكثير من الفرص .

وقد استمرت مدرسة اهل البيت عليهم البيت في نشر ثقافة الحوار اقتداءا بمجدهم المصطفى (ص)، فكتب السير والتاريخ تنقل لنا فكر الامام الصادق عليه السلام في نشر ثقافة الحوار الذي هو احد عوامل التعايش السلمي في المجتمع ، عن طريق ذكر مناقبه الحوار من خصومه وليس من اتباعه ، ففي احدى حوارات تلميذ الامام جعفر الصادق (ع) وهو المفضل ابن عمر^(٣٧) مع ابن ابي العوجاء^(٣٨)، نجد ان المفضل يقسو عليه ويغلظ عليه في القول مستخدما عبارات من قبيل (يا عدو الله) ، (الحدث في دين الله) ، (وأنكرت الباري جل قدسه) فيجيبه ابن ابي العوجاء قائلا ((يا هذا ان كنت من اهل الكلام كلمناك فان ثبتت لك حجة تبعنك ، وان لم تكن منهم فلا كلام لك ، وان كنت من اصحاب جعفر الصادق فما هكذا كان يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادلنا ، وقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت منا ، فما افحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا ، وانه للحليم الرزين ، العاقل الرصين ، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق ، ويسمع كلامنا ويصغي الينا ، ويستغرق حجتنا حتى اذا استفرغنا ما عندنا ، وظننا انا قد قطعناه ادحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ولا نستطيع لجوابه ردا ، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه^(٣٩) ، فهل يوجد كلام ابلغ من هذه الصورة الحوارية الرائعة التي صفها الخصم قبل المحب ، هذا هو فكر اهل البيت الذي كان يحاور حتى الذين يختلفون معه في المذهب ، او الفكر، او الكلام .

نستنتج من خلاصة هذا البحث :ان ما تقوم به المرجعية الرشيدة هو اصلاح للمنظومة الفكرية للمجتمع حتى يتحقق التعايش السلمي بين ابناء المسلمين انفسهم ، وبينهم وبين غيرهم من الاديان والملل لان التعايش السلمي هو حاجة ملحة وضرورية كونها تساهم في بناء القواسم المشتركة ، وترسيخها في ارض الواقع ، لكي يحدث التلاقي والانفتاح والحوار ، وتضييق مساحات الخلاف لصالح مساحات القبول بالأخر ، والاعتراف به

كقيمة تساهم في بناء المجتمع الذي ينشد الامن والامان في وحدة انسانية ، لا مكان فيها للعصبية والمذهبية التي تشكل عائقا كبيرا يساهم في الابتعاد والتهميش والخوف ، ويحل محلها الحب ونبذ الكراهية ، ونشر ثقافة التسامح والمودة .

وحقيقة الامر ان المشكلة ليس في الاختلافات التي ظهرت وتظهر بين الاديان والمذاهب والجماعات ، انما في تحول هذه الاختلافات الى كراهية ، واعطائها تسويغات دينية تحرض على التنافر والتباعد والتباغض ، وقد يتطور الامر ويصل الحال الى الدعوة لعدم مجالسة المختلف معه ، والابتعاد عن محاورته ، وترك توقيره ومكالمته ومجادلته ، وعدم بسط الوجه له ، وحتى السلام عليه ، وان منبع المشكلة يكمن في وجود فئة من الناس تحترف الكراهية ، وتمتهن القتل ، فهي لا ترى العبادة الا عبر اراقه الدماء ذبحا وقتلا وازهاق ارواحهم تفجيرا فرما تكون القيمة القادمة هي اجيالنا اللاحقة ، اذا لم نقيم بثورة فكرية عارمة تغيير مزابيل التاريخ وتنفض الغبار عن عقولنا .

الملخص:

ان الذي يطلع على تاريخ الحوزة العلمية والمرجعية الدينية يتبين له مدى الثروة العلمية الكبيرة لفقهاء اهل البيت عليهم السلام وماتضمنته هذه المدرسة من رؤى فقهية وافكار عميقة ودراسات ومناهج في الاجتهاد والتجديد في مناهجها الى ان اضحى صرحا علميا شامحا على امتداد التاريخ.

وعلى الرغم من ان البعض جعل دور المرجعية يقتصر على الناحية العلمية فقط لكن الحقيقة هو ان دور المرجعية كان اجتماعيا وسياسيا وفكريا ، ويشهد على ذلك التاريخ المشرف للمرجعية بتصديها للتيارات الفكرية المعادية للإسلام والتي بثت سمومها في المجتمع الاسلامي ، فضلا عن بروز الجانب الاجتماعي لهذه الجهة الدينية العريقة والتي اخذت على عاتقها الاهتمام بمشاكل وهموم الناس ، اضافةً للدوار السياسية الشجاعة ضد السلطة.

ومن بين الامور الاجتماعية المهمة والتي لها تأثير مباشر على حياة الناس اليومية هي قضية التعايش السلمي المجتمعي سواء كان بين المسلمين انفسهم او بينهم وبين غيرهم

من اتباع الاديان والملل الاخرى حيث اوضحت المرجعية بخطاباتها العديدة واجرائاتها المتكررة ان التعايش السلمي يمثل حاجة ضرورية وملحة لبناء المجتمع كونه يساهم في بناء القواسم المشتركة وترسيخها في ارض الواقع، واحداث التلاقي والانفتاح والحوار، وتضييق مساحات الخلاف لصالح مساحات القبول بالآخر والاعتراف به كقيمة تساهم في بناء المجتمع الذي ينشد الامن والامان في وحدة الانسانية حيث لامكان للعصبيات والمذهبيات التي تشكل عائقاً كبيراً يساهم في الابعاد والتهميش والخوف.

فالنبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم كان رحمة للعالمين ، رحمة في رسالته ، رحمة في شرعه ، رحمة في اخلاقه ، لا مجرد عاطفة واشفاق ، وكان يدعو دعوة عالمية. وان كانت الوسيلة في زمانه ليست هي الوسيلة في زماننا الا انه وظف كل مايسهم في تحقيق عالمية الدعوة وبناء التعايش السلمي.

وقد اثبتت المرجعية الرشيدة التي تمثل امتداد للنبوة والامامة ، ان الخطاب الاسلامي المعاصر في حاجة الى ان يخاطب الشرق والغرب ، وان لا ينطوي على ذاته، وهذا يستدعي منا ان نعرف ثقافات الشعوب والمجتمعات العالمية لكي نخاطبهم بلسانهم، وان لم نفعل ذلك فدعوى العالمية ستبقى شعارا دون ممارسة. وفي الوقت المعاصر هناك امكانيات هائلة للتواصل لمعرفة الاخر معرفة دقيقة.

ويؤسس النص القراني صيغة للتعارف والتعايش في الاجتماع البشري ، مبنية على التسامح والسلم الاهلي ، في آيات عديدة. ومنها قوله تعالى : (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وهذا النص القراني يؤكد لنا ضرورة اقامة علاقات سليمة مع كل الشعوب لان الاسلام دين عالمي يتجه برسائله الى البشرية كلها.

وهكذا تدور احداث البحث في ايراد نصوص من خطب المرجعية مدعومة بالنصوص الدينية التاريخية الواردة عن فكر اهل البيت عليهم السلام لتأكيد مسألة التعايش السلمي في بناء المجتمع.

الهوامش:

- (١) الحجرات : ١٣
- (٢) الكليني ، الكافي ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ ، المجلسي ، مرآة العقول ، ج ١٠ ، ص ١٨٤ .
- (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ ، الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .
- (٤) البيهقي ، مجمع الزوائد ، ج ٣ ، ص ٢٧٢
- (٥) العنكبوت : ٤٦
- (٦) النحل : ١٢٥
- (٧) الاسراء : ٧٠
- (٨) الروم : ٢٢
- (٩) الممتحنة : ٨
- (١٠) الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٩ ، ص ٥٦٢
- (١١) النساء : ١٢٣
- (١٢) البقرة : ٢٥
- (١٣) البقرة : ٨٢
- (١٤) النساء : ١٢٢
- (١٥) المائدة : ٩
- (١٦) البينة : ١٠٧
- (١٧) المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٧١ ، ص ٣٤١
- (١٨) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ١٢ ، ص ٣٤٧ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ١٢٤
- (١٩) النسائي ، السنن الكبرى ، مرتضى العسكري ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ ، احاديث ام المؤمنين ، ج ١ ، ص ٣٩٤
- (٢٠) يونس : ٩٩
- (٢١) البقرة : ٣٠-٣٣
- (٢٢) الاعراف : ١٢
- (٢٣) فصلت : ٣٤
- (٢٤) هود : ١١٨
- (٢٥) الروم : ٢٢

- (٢٦) ابن الاثير، الكامل ، ج٢، ص٣٦٢ ، ابن الكثير ، البداية والنهاية ، ج٦ ، ص٢٦٠ ، المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١٤ ، ص٥٢٩
- (٢٧) النحل : ١٢٥
- (٢٨) فصلت : ٣٥-٣٢
- (٢٩) العنكبوت : ٤٦
- (٣٠) الشورى : ٢١٤-٢١٦
- (٣١) المائدة : ٩٩
- (٣٢) الاحزاب : ٢١
- (٣٣) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٨ ، ص١٨٣ ، الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد، ج٧، ص٨.
- (٣٤) الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص١٠٤ ، الصدوق ، الاماني ، ص٣٧٩ .
- (٣٥) الحباب بن منذر بن الجموح : صحابي من الانصار من بني حرام بن كعب من الخزرج ، شهد مع النبي (ص) المشاهد كلها ، وكان ذو رأي ومشورة ، فأخذ النبي محمد (ص) برأيه في بعض المواقف كما كان من المشاركين في يوم السقيفة ، ينظر (ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٢٠ ، ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج٢ ، ص٩) .
- (٣٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٨٧ ، الحلبي السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٣٩١ .
- (٣٧) المفضل بن عمر ، ابو محمد ، وقيل ابو عبد الله ، ولد في اواخر القرن الاول الهجري في مدينة الكوفة ، من اصحاب الامامين الباقر والصادق عليهما السلام ، توفي عن عمر ناهز الثمانين عاما ، ينظر (الفضائري ، رجال ابن الفضائري ، ص٨٧ ، ابن داود الحلبي ، رجال ابن داود ، ص٢٨٠) .
- (٣٨) ابن ابي العوجاء : من اوائل الزنادقة والملحدين في تاريخ الاسلام وله مناظرة مع الامام جعفر الصادق (ع) حول اثبات وجود الله ، قال قبل قتله : اما والله لقد وضعت اربعة الاف حديث احرم فيها الحلال واحلل فيها الحرام ينظر : (الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٦٤٤) .
- (٣٩) المجلسي ، بحار الانوار ، ج٣ ، ص٦٠ ، محمد الريشهري التبليغ في الكتاب والسنة ، ص٢٢٥٠

قائمة المصادر والمراجع :

القران الكريم

اولا : المصادر الاولى :

- ابن الاثير ، ابو الحسن عز الدين بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
 (١) الكامل في التاريخ (دار صادر ، بيروت ، د.ت)
 الحاكم النيسابوري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م)
 (٢) المستدرک على الصحيحين ، تحقيق : يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي (دار
 المعرفة ، بيروت ، د.ت)
 ابن حجر العسقلاني : ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
 (٣) الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد المعوض
 ، ط٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
 الحلبي ، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣ م) .
 (٤) انسان العيون في سيرة الامين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية (دار المعرفة ، بيروت
 ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)
 ابن داود الحلبي ، تقي الدين الحسن بن علي (ت ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م)
 (٥) رجال ابن داود ، تحقيق : محمد بحر العلوم (منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف
 الاشرف ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)
 الذهبي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (٧٤٨ هـ / ١٩٨٧ م)
 (٦) ميزان الاعتدال ، تحقيق : شعيب الارناؤوط وحسين الاسد ، ط١ (مؤسسة الرسالة
 ، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م)
 (٧) تاريخ الاسلام ، ط٢ (دار صادر ، بيروت ، د.ت)
 (٨) سير اعلام النبلاء ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط٩ (دار المعرفة للطباعة والنشر
 ، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م)

- الصالحى الشامى ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٧ م)
- (٩) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)
- (١٠) الامالي ، تحقيق : قسم الدراسات الاسلامية ، ط ١ (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)
- الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م)
- (١١) المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي (دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت)
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
- (١٢) تاريخ الرسل والملوك ، ط٤ (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)
- ابن عبد البر ، ابو عبد الله عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)
- (١٣) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- الفضائري ، احمد بن الحسين بن عبيد الله بن ابراهيم الواسطي البغدادي (ت ق ٥ هـ / ١١ م)
- (١٤) الرجال المعروف ب (رجال الفضائري) ، تحقيق : السيد محمد رضا الجلالى ، ط١ (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)
- ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
- (١٥) البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط١ (دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٧٨ م) .
- الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) .

(١٦) الكافي ، تحقيق : علي اكبر الغفاري ، ط٣ (مطبعة حيدري ، طهران ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م)

المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م)

(١٧) بحار الانوار لدرر الائمة الاطهار (ع) ، تحقيق : السيد ابراهيم الميانجي ، والسيد محمد الباقر البهبوتي ، ط٢ (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)

(١٨) مرآة العقول في ال بيت الرسول (ص) ، ط٢ (دار صادر ، بيروت ، د.ت.)

المقريزي ، تقي الدين ابو محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٣٠٣ هـ / ٩٠٥ م)

(١٩) امتاع الاسماع بما للنبي (ص) من الاحوال و الاموال والحفدة والمتاع ، تحقيق : محمد عبد المجيد النميسي ، ط١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) .

النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ / ٩٠٥ م) .

(٢٠) سنن النسائي ، ط١ (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م)

ابن هشام ، عبد الملك الحميري (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

(٢١) السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ (مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م)

ثانيا : المراجع الحديثة :

محمد الريشهري

(٢٢) التبليغ في الكتاب والسنة ، تحقيق : مركز بحوث دار الحديث ، ط١ (مطبعة ستارة ، قم ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٧٠ م)

مرتضى العسكري

(٢٣) احاديث ام المؤمنين عائشة ، ط٥ (مطبعة صدر ، قم ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .

التعايش السلمي بين الديانات في المجتمع الاسلامي

م.د. رغد جمال مناف

جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد

المقدمة:

-ما يعني التعايش السلمي:

يشمل هذا المعنى العديد من التعريفات ، يقصد به: هو اي بلد تتعايش فيه الاديان والاجناس، وتتعدد فيه اللغات في ظل دولة اسلامية عادلة، ويعيشوا مع بعضهم البعض، ويعني به ايضا: نوع من التعاون بين الافراد والاديان، مبني على الثقة والاحترام، ويهدف إلى إيجاد اسس تتفق عليها الأطراف المختلفة، متبعين اساليب متعددة منها، الاقتناع، والرضا، والاختيار الكامل، ويقتصر الحوار بين الأديان على التعريف بمبادئ كل ديانة، والدفاع عنها، ومكافحة الفوارق الاجتماعية، وصيانة كرامة وحقوق الأطراف، وإيجاد النقاط المشتركة بينهم، كالتسامح والمحبة، وضمان حقوق الإنسان وسلامته، فالتعايش بين الأديان، يسعى الى تعايش بين الثقافات والحضارات، لخدمة الاهداف التي يسعى إليها الإنسان.^(١)

ولعل من المبادئ التي ركز عليها الدين الاسلامي، هو التعايش السلمي، رغم الاختلاف العقائدي والديني الذي ألفته البلاد الإسلامية، وانطلاقاً من هذا المبدأ، فقد اتبع نبينا الكريم سبلا عديدة لتحقيق التعايش السلمي بين الاديان مستندا الى قوله تعالى: " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ".^(٢)

ويبدو المغزى من الاية بيان القواعد التي تحدد موقف الإسلام من التعايش بين الاديان المختلفة بسلام وامان.

لقد طبق الرسول الكريم، مفهوم التعايش السلمي، فعمل على تثبيت دعائم الأمن والاستقرار في أنحاء البلاد الإسلامية من جهة، والدعوة الى نشر تعاليم الدين الحنيف من جهة أخرى، استنادا الى ما ذكره الله تعالى في كتابه " إنا خلقناكم شعوبا وقبائل

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ^(٣)، ومن الواضح ان الله تعالى وضع اسس ومبادئ تضمن للجميع العيش بسلام، فقد جعل التقوى ميزانا للتكريم الالهي، وهي المقياس لعمل الانسان فقال: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء" ^(٤).

ويبدو ان الهدف من ارسال الله سبحانه وتعالى، الانبياء (عليهم السلام) ليجسدوا الشرائع وتأسيس الانظمة، لحماية المجتمع، وحفظ النظام والنوع البشري من آفة النزاع من خلال تطبيق مبدا التعايش السلمي بين مختلف الناس. ^(٥)

ونستنتج من الايات القرانية السابقة الذكر، ان مبدا التعايش السلمي يمثل احدى الادوات التي اعتمدها الدين الاسلامي ليس للتقارب مع الآخر فحسب، بل الى دعوته لاعتناق الشرع الحنيف، لما ينطوي عليه هذا المبدأ من نزعة انسانية تستحق الاحترام والتبجيل.

٢- لمحة عن مجتمع المدينة:

تعد المدينة المنورة (يثرب) مزيجاً انسانياً متنوعاً من حيث الدين والعقيدة والانتماء القبلي والعشائري، ونمط المعيشة، فهم مزيج خليط بين المهاجرين، الاوس والخزرج، والوثنيون من الاوس والخزرج، واليهود من الاوس والخزرج، ووجود قبائل اليهود الثلاثة بنو قينقاع، بنو النضير بنو قريضة، والاعراب والموالي والعبيد والاحلاف، وموارد رزقهم متنوعة بين العمل في التجارة والزراعة والصناعة والرعي والصيد والاحتطاب، ولكل عشيرة منهم زعامة قائمة على رعاية شؤونها، وضمان عيشها وامنها، وعلى اثر ذلك اسس النبي الاكرم (صلى الله عليه وسلم) نظام عام ودستور شامل وهي وثيقة المدينة التي وضع اسسها ومبادئها ليتيح للجميع العيش تحت سقف العدالة الاجتماعية لكل الطوائف المختلفة. ^(٦)

فكان اول عمل سنه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في المدينة المنورة لتنظيم الحياة بكل مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون التجاوز او التعدي على حقوق الغير هي:

أ- بناء المسجد:

من اهم الخطوات التي اعتمدها الرسول الاكرم ، لتكوين المجتمع الاسلامي ، بناء مسجدا للمسلمين يقصده الجميع ، وهو ايضا بيت الله تعالى وبيت الجميع ، فيلتقي فيه الافراد للمشاورة والعبادة والقضاء والتجارة ، ويتعلمون من الرسول مبادئ الدين ونظم المجتمع الجديد ، كما يكون مكانا للالتقاء النفوس والعقليات ، وتقوى الوحدة وتتألف الارواح وتزول الفوارق الطبقة بينهم وتتألف قلوبهم على المحبة والعطاء والاحساس بالآخر مهما كان جنسه او عرقه او لونه ، ونلاحظ ان الرسول الاكرم ذا فكر ثاقب وروية للمستقبل يطمح من خلال عمله هذا التقاء جميع الطوائف ولاسيما المسلمين مع بعضهم ، فهو جمعهم بمكان واحد ،

وجعل قلوبهم متألقة متحابه ليخلق مجتمعا سلميا متحابا ، لافرق بين غني او فقير او دين او عرق ، لانهم جميعا يؤمنون بالله تعالى وبالرسول ، وبالتالي سوف تنصب جهودهم لانجاح المجتمع المدني.^(٧)

ب- المعاهدة او وثيقة المدينة:

اقام الرسول اسس الدولة الاسلامية في المدينة وفهم الخصوصيات والمتغيرات واضعا بنودا كثيرة تشمل جميع الطوائف والقبائل والعشائر واليهود والنصارى والوثنيون ، ومن بنودها : انها جعلت جميع القاطنين في يثرب من مهاجرين ويثريين ومن تبعهم ، ومن جاهد معهم امة واحدة ، كما عاون المؤمنون الفئة التي تعرضت لوضع مالي يميل الى الافتقار ، ليبقى المجتمع متماسكا.^(٨)

- بنود او شروط المعاهدة:

١- منع حدوث تجاوزات في روابط الولاء:

وضع الرسول الاكرم قوانينا وانظمة تشمل جميع الفئات لمنع حدوث اي تجاوزات ، فقال (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"، وفي رواية تاريخية ان امرأة من بني مخزوم سرقت

فكان الحكم قطع يدها، فجاء أسامة بن زيد يشفع لها، فغضب النبي اشد الغضب، وقال: ويحك يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله؟ "وذكر له الحديث الذي ذكرناه قبل قليل " إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ " هذه الوثيقة، منعت التجاوزات في روابط الولاء للحفاظ على الثقة والتعاون بين الجميع.^(٩)

ب- اكدت الوثيقة ان الجميع متعاونون في مقاومة اي معتد او اثم، او ظالم او مفسد، ولو كان ولد أحدهم.

ت- ومن بنودها ايضا من اخل بعهده من اليهود فانه ظالم لنفسه واهله، وليس له على اهل هذا العهد ذمة ولا ميثاق، يتحمل كل فريق مشارك في هذا العهد نصيبه في الحرب والسلم، والنفقة وعليهم التعاون والمشاركة وبينهم النصح والبر من دون اثم.

ث- نصرة الضعيف، استنادا الى قول الرسول الاكرم " فَإِنَّمَا تَنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ "، كما قال بعض العلماء: الدنيا تصلح بالعدل، ولا تصلح بالظلم.^(١٠)

ج- الا يحالف مؤمن مؤلى مؤمن دونه، المولى تابع للمؤمن، لا خيانة.

ح- من تبعنا من يهود فان لهم النصر، والاسوة غير ظالمي ولا متناصرا عليهم.

خ- انكم مهما اختلفتم في شيء فإن مرده الى الله ورسوله، عند التنازع نحتكم الى منهج الله وسنة رسول الله، فقال تعالى " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ " ^(١١)

د- ان النصر للمظلوم، لا للظالم، وان الجار كالنفس، غير مضار واثم، الجار يعامل كما يعامل المؤمن نفسه، لانه الصق الناس به، الا ان يكون معتديا او اثما وان حدث شجار او خلاف فان مرده الى الله والرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويجب معاقبة الظالم والاثم بالعقاب حسب ما مذكور في المعاهدة.

ذ- يجب على هولاء القبائل المختلفة التعااضد فيما بينهم لكل من يداهم يثرب، وسكان المدينة امنين فيها وامنين عند الرجوع اليها " من خرج فهو امن، ومن قعد في المدينة فهو امن " ^(١٢).

٣- صوراً مشرقة عن التعايش السلمي في ايام الرسول (صلى الله عليه وسلم):

كانت المؤاخاة التي نادى بها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) تمثيلاً حقيقياً ومثالاً حياً للتعايش السلمي بين مختلف طبقات المجتمع المدني، ولا سيما بعد ان قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) مدينة يثرب التي يسكنها اليهود الى جنب قبائل العرب ومن اشهرها قبيلتي الاوس والخزرج اللتان كانتا في نزاعا استمر لسنوات طويلة منها يوم بعث ويوم الدرك وغيرها، واذا وقعت الحرب بينهما خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس يظاهر كل فريق حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دمائهم بينهم وبايديهم، فالف بينهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، واصبحوا من اوائل المستقبلين للمهاجرين من مكة، وقد تحدثت الروايات التاريخية عن صوراً مشرقة عن التآخي والتقارب بين المهاجرين والانصار، اذا كانوا يتوارثون بالاسلام دون النسب، حيث روي ان النبي (صلى الله عليه وسلم): " اخي بين المهاجرين والانصار لما قدم المدينة فكان يرث المهاجري من الانصاري، والانصاري من المهاجري ولا يرث وارثه الذي كان بمكة، وان كان مسلماً لقوله تعالى: " إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله ". (١٣)

ويبدو لنا لقد شمل النظام العادل الذي سنه رسول الله جميع الطوائف من المسلمين والنصارى واليهود وغيرهم ممن كان يجمعهم الزمان والمكان الواحد. نظم الرسول الاكرم العلاقات بمختلف مجالاتها بين كافة الطوائف وهذا ما اكدته العديد من الايات القرآنية، قال سبحانه وتعالى: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" (١٤)

كما ذكر في اية اخرى ان النصارى اقرب الى المؤمنين من اليهود فقال تعالى: " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ". (١٥) لذلك عمد النبي الاكرم الى وضع الصحيفة التي تعد بمثابة دستور لتنظيم الحياة الشوون الاجتماعية لساكنتها من المسلمين وغير المسلمين بكل نواحيها في المدينة المنورة من خلال ابرام عقود المؤاخاة بين المسلمين انفسهم، وعقود المودعة بين المسلمين واليهود، وهذا ما جاء ذكره في الصحيفة: " ان يهود بني عوف

امة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وانفسهم الا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني الحارث ما لليهود بني عوف " (١٦).

ذكر الطبراني في احدى الروايات التاريخية موقفا للرسول مع اهل الذمة " كان إذا عاد يهوديا أو نصرانيا قال: كيف أنت؟ فيقول: صالح، فيقول النبي الاكرم: جعلك صالحا"، وتاريخنا ملئ بروايات كيف تعامل الرسول الاكرم مع اهل الذمة، كما حصل مع الغلام الذي عاده فقعد الرسول الاكرم عند راسه فقال له: أسلم، فنظر الى ابيه وهو عند راسه، فقال: اطع ابو القاسم فاسلم، فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار، ونذكر ايضا حالة من حالات التعايش السلمي التي اتبعها الرسول مع جاره اليهودي، عقبة بن ابي معيط الذي كان يأتي بالفرت فيطرحه على باب النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكن يقابله النبي الا باكرم خلق. (١٧) كما عرف عنه انه (صلى الله عليه وسلم) لا يرد دعوة جاره ايا كان، فقد لبي دعوة جاره الفارسي الذي دعاه الى مائدته فذهب هو وعائشة اليه، كما نلاحظ اول خطوات خطوات التواصل الاجتماعي والتعايش السلمي بين المسلمين والنصارى من قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما خطب ام حبيبة بنت أبي سفيان، ساق عنه النجاشي اربعة الاف درهم، وروري ايضا لما مات النجاشي صلى الله عليه الرسول الاكرم، ويتحدث تاريخنا الاسلامي عن تجسيد الرسول لاروع صور للتعايش السلمي، وهو قدوة المسلمين، فلننظر كيف تعامل مع بقية الاديان، وضع رسولنا الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم)، اسسا ومبادئ هامة، لتنظيم العلاقات السلمية مع جميع الطوائف، ولاسيما النصارى، هو ان جمعا من النصارى كانوا قد زاروا رسول الله للتحقيق والاستفسار فسمح لهم باقامة قداسا في مسجد النبي في المدينة بكل حرية (١٨).

ويلحظ من النصوص المذكورة اعلاه ان سنة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته كانت مثالا حيا وانعكاسا جليا، لمفاهيم ومبادئ التواصل الإنساني الذي يتعدى حدود الدين،

ويتجاوز اسوار العقيدة، وكيف احتوئهم، واحترم دياناتهم وعاداتهم، وانه باعماله هذه سن قوانينا وامثلة تجسد مبادئ ومفاهيم التواصل الانساني بين مختلف الطبقات والفئات، تاركا للعالم اجمع ارثا تاريخيا نتعلم منه التعايش السلمي مع بقية الطوائف والملل، وهذا كان هدفنا من ذكر بعض الامثلة عن طريقة تعامل الرسول مع الاديان . ونختتم بحثنا ببعض التوجيهات والوصايا للرسول (صلى الله عليه واله وسلم): " الكلمة الطيبة صدقة" ^(١٩)، وقول الامام علي (عليه السلام) " احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك" ^(٢٠)

نستنتج ان هذه التوجيهات ان عملنا بها يصبح المجتمع مجتمعا معافى سليما خاليا من الحسد والغيبة والغرور والتكبر، لان الانسان اذا كان طيب الخلق لين العريكة اثر على من حوله من ابناء مجتمعه ، واصبح لهم عوناً على بلوائهم ، فهي قاعدة جميلة ولطيفة يقدمها الإمام (عليه السلام) لنا لتجنب الشرور بان نقتلع الشر من صدور الغير، فاول خطوة هو ان نقتلع الشر الذي نحمله في نفوسنا تجاه الغير، ونقتلع ما نضمرة من حقد او غضب تجاه الناس، وهي من اهم القواعد في ارساء السلم والتعايش المجتمعي وبث روح الاخوة والالفة والمحبة بين الناس.

الملخص:

أن التعايش السلمي بين مختلف الفئات الدينية هو نوع من التعاون المبني على اسس ومبادئ تسودها الثقة واحترام الاخر مهما كان دينه او عرقه او جنسه، وايجاد اجواء تتفق عليها جميع الاطراف المختلفة، عن طريق الاقناع والرضا والتعريف بمبادئ كل ديانة، والدفاع عنها، والتخلص من الفوارق الطبقية، وصيانة كرامة وحقوق الافراد، ضمن منظومة القيم الانسانية، تماما كما قال الله تعالى في كتابه " لكم دينكم ولي ديني" وكما قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) " من اذى ذميا فقد اذاني " .

كان وما يزال ديننا الاسلامي سباقا في وضع اهدافا ومبادئ للتعايش مع الاديان والطوائف والملل والنحل، اهمها الاقرار بوجود الله تعالى وعدم الاشراك به، وتاريخنا وتراثنا ملئي بصور صادقة عن التعايش السلمي بين الاديان، وضع اسسها النبي محمد

(صلى الله عليه واله وسلم) ، مؤسسا نظاما يضمن التعايش السلمي بين الاديان ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين المسلمين وغيرهم كاليهود والنصارى والمشركون في العديد من الروايات التاريخية ، وهذا ما سنتحدث عنه في ثنايا بحثنا، مع التعريف بمعنى التعايش السلمي بين الاديان ، متخذين المجتمع المدينة المنورة التي رسم اسسها النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) مثالا حيا للتعايش السلمي بين مختلف الاديان، لان هذا المجتمع مزيج بين عدة طوائف المسيحية واليهودية والايوس والخزرج ، وكيف عاشوا مع بعض تحت ظلال ورعاية الدولة الاسلامية، وهو محور بحثنا، كما ان كتب التاريخ مليئة بصور كثيرة عن التعايش السلمي ، لكننا ركزنا على اهم عمليتين قام بهما الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) توضح حقيقة معنى التعايش السلمي بين مختلف الفئات في المجتمع الاسلامي ، وهي (وثيقة المدينة او المعاهدة والمواخاة) ، ونحن اليوم بامس الحاجة، لفهم معنى التعايش السلمي مع الكل، بامان وسلام، وهذه هي سنة الله ورسوله وال بيته الكرام (عليهم افضل السلام).

الهوامش:

- (١) ابراهيم، مصطفى، تكملة المعاجم ، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د-ت)، ج٢، ص٦٣٩.
- (٢) سورة ال عمران، اية ٦٤.
- (٣) سورة الحجرات، اية ١٣٢.
- (٤) سورة الاعراف، اية ٩٦.
- (٥) الطبري، محمد بن جرير، (ت ٥٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: ابراهيم ابو الفضل، دارصادر، بيروت، ١٩٧٠، ج٢، ص٢١-٢٢.
- (٦) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ، ج٨، ص٥٠؛ اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، مطبعة باقري، قم، ١٢٤٠هـ، ج٢، ص٧٩.
- (٧) شلبي، احمد ، المجتمع الاسلامي ، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦، ص٥٥-٥٧؛ ارنولد، توماس ، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧٠، ص٥٦-٥٧.
- (٨) ابن هشام، ابو محمد عبد الملك المعاقري، السيرة النبوية، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٦؛ شلبي ، المجتمع الاسلامي، ص٥٧.

(٩) للمزيد من التفاصيل ينظر: البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، شرح وتعليق: مصطفى ديب، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج ٤ ، الحديث رقم ٤٧٣٩ ، ص ٢٠٣؛

(١٠) النسائي، احمد بن شعيب ، سنن النسائي الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، (د-م) ، ٢٠٠١، ج٧، ص٤١.
(١١) سورة النساء، اية ٥٩.

(١٢) الواقدي، محمد بن عمر ابو عبد الله ، مغازي الواقدي، تح: مارسدن جونس، ط١، دار عالم الكتب، بيروت، (د-ت) ، ص٢٢-٢٣.

(١٣) سورة الاعراف ، اية ٣٢.

(١٤) سورة البقرة، اية ١٢٠.

(١٥) سورة المائدة ، اية ٤٢.

(١٦) ينظر: ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري، (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ج٣، ص ١٨١ ؛ ابن كثير، الحافظ بن كثير، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، مكتبة النصر، بيروت، ١٩٦٦، ج٣، ص ٢٥٧.

(١٧) الطبراني، ابو القاسم، سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ) الاحاديث الطوال ، تح: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٩٨٣، ص ١٢٣.

(١٨) ينظر: ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠١، ص ١٢٣ ؛ المرعشي، شهاب الدين الحسيني، (ت ١٤١١هـ)، شجرات ال الرسول، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، (د-ت)، ج ١١، ص ١٢٢.

(١٩) عبد الرزاق ، صلاح، في الفقه السياسي الاسلام السياسي والدولة الاسلامية المعاصرة، مطبعة دار الحوراء ، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٢٣٣.

(٢٠) باريت ، رودى، محمد والقران دعوة النبي العربي ورسالته، ترجمة: رضوان السيد، ط١، مؤسسة ديوان المسار، بيروت ، ٢٠٠٩، ص ١٨٤-١٨٥.

قائمة المصادر والمراجع

- ١-القران الكريم .
- ٢- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري، (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ٣- البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، شرح وتعليق: مصطفى ديب، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ .
- ٤- ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠١.
- ٥- الطبراني، ابو القاسم، سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي، (٣٦٠هـ) الاحاديث الطوال ، تح: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة الزهراء ، الموصل، ١٩٨٣.
- ٦- الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: ابراهيم ابو الفضل، دارصادر، بيروت، ١٩٧٠.
- ٧- ابن كثير، الحافظ بن كثير، (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، مكتبة النصر، بيروت، ١٩٦٦.
- ٨- المرعشي، شهاب الدين الحسيني، (١٤١١هـ)، شجرات ال الرسول، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، (د-ت).
- ٩- النسائي ، احمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، (د-م) ، ٢٠٠١.
- ١٠- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك المعاقري، السيرة النبوية، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٩٧٢.
- ١١- الواقدي، محمد بن عمر ابو عبد الله ، مغازي الواقدي، تح: مارسدن جونس، ط١، دار عالم الكتب، بيروت، (د-ت).

قائمة المراجع

- ١- ابراهيم، مصطفى، تكملة المعاجم ، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د-ت).
- ٢- ارنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ، ط٣، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٧٠.
- ٣- باريت ، رودى، محمد والقران دعوة النبي العربي ورسالته، ترجمة: رضوان السيد، ط١، مؤسسة ديوان المسار، بيروت ، ٢٠٠٩
- ٤- شلبي، احمد ، المجتمع الاسلامي ، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦.
- ٥- عبد الرزاق ، صلاح، في الفقه السياسي الاسلام السياسي والدولة الاسلامية المعاصرة، مطبعة دار الحوراء ، بغداد، ٢٠٠٦ .
- ٦- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ.
- ٧- اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، مطبعة باقري، قم، ١٤٤٠هـ.

التعايش السلمي بين الأمم والشعوب - الواقع والمأمول

(رؤية قرآنية معاصرة)

م.د. حقي حمدي خلف

وزارة التربية-المديرية العامة لتربية ديالى

أهمية الموضوع :

١. التعايش أصل لعلاقة الأمم والشعوب والمجتمعات فيما بينها، كما وضحتها القرآن الكريم .

٢. الرؤية القرآنية أساس لمفهوم التعايش السلمي بكل صورته.

٣. التعايش السلمي صمام أمان في عصرنا الحالي، فهو يغني عن المنظمات العالمية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن وباقي الهيئات الدولية.

٤. إحياء وتأكيد مبدأ الأخوة الإنسانية بين الناس (كلكم لآدم وآدم من تراب).

أسباب اختيار الموضوع :

١. إلقاء نظرة على علاقة المسلمين بغيرهم وهي علاقة حيوية.

٢. كثرة الطعن والتشويه لدين الإسلام افتراء وزورا.

٣. التنبيه على أن الإسلام رعى العلاقة بين الأمم وجعلها مقدمة، ولم يأت دين بمثل هذه الرعاية.

منهج البحث :

كان منهج البحث قائما على المنهج الاستقرائي ، وعليه فقد اشتمل البحث على تمهيد وخمسة مباحث ، تناول المبحث الأول الخطاب العام بعبادة الله تعالى، وفي المبحث الثاني نعم الله عامة لجميع خلقه، ثم جاء المبحث الثالث ليتناول تذكيراً بالواقع العام الذي نعيشه ، ثم تحذير عام من الله تعالى للإنسان ، أن يسلك سبيل المؤمنين لا المجرمين ، وختاما بالمبحث الخامس وفيه التكريم العام والتعارف العام وهو التعايش، وانتهاء بالختامة والمصادر.

تمهيد

التعريف بمصطلحات البحث :

- عالمي : وهو عكس المحلي والداخلي، وهو ما يشمل كل العالم^(١).
- الإسلام : أَسْلَمَ أمره إلى الله، أي سَلِمَ. وَأَسْلَمَ، أي دخل في السَلَم، وهو الاستسلام. وَأَسْلَمَ من الإسلام، والتَسَالَمَ: التصالح. والمُسَالَمَةُ: المصالحة^(٢).
- الدعوة : الدَعْوَةُ إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دَعْوَةِ فلان ومدْعَاةِ فلان، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدُعَاءَ إلى الطعام، والدعوة هي الحلف^(٣).
- التعايش : أَنْ يعيشَ بعضهم مع بعض^(٤)، وتعايشَ يتعايش، تعايشاً، فهو مُتعايش، وتعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار "تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة- تعايشت الدولتان تعايشاً سلمياً" ° التعايش السلمي بين الدول: الاتفاق بينها على عدم الاعتداء، وتعايش الناس: وَجِدُوا في نفس الزمان والمكان^(٥).
- السلمي : والسَلَم والسَلْم: الصِّلَح. وسَلِمَ من الآفة، بالكسر، سلامةً، وسَلَّمَهُ اللهُ تعالى منها تَسْلِيماً، وسَلَّمَتْهُ إِلَيْهِ تَسْلِيماً فَتَسَلَّمَهُ: أَعْطَيْتُهُ فَتَنَاولَهُ، والتَسْلِيمُ: الرضا، والسَّلَامُ. وَأَسْلَمَ: انقاد، وصارَ مُسَلِّماً^(٦)، والسلام والسلمي: تجرد النفس عن المحنة في الدارين^(٧).

المبحث الأول

الخطاب العام بعبادة الله تعالى

جاء الخطاب القرآني في كثير من الآيات مبدوءاً بقوله تعالى (يا أيها الناس) في إحدى عشرة آية تقريباً، مثل قوله تعالى (يا أيها الناسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(٨)، وقد ذكر أكثر المفسرين أن الخطاب مع الفريقين من الناس الكفار والمنافقين بالإضافة الى شمول المؤمنين^(٩)، أو أنه خطاب عامٌ في جميع الناس، فيكونُ خطابُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِدَامَةِ الْعِبَادَةِ، وَلِلْكَافِرِينَ بِابْتِدَائِهَا^(١٠)، هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة، لامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

ثم استدل على وجوب عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس، والقمر، والنجوم.

{وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} والسماء هو كل ما علا فوقك فهو سماء، ولهذا قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء، {فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ} كالحبوب، والثمار، من نخيل، وفواكه، ﴿وزروع﴾ وغيرها {رِزْقًا لَّكُمْ} به ترتزقون، وتقوتون وتعيشون وتفكهون.

{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرّون، {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه^(١١)، فقد دعا الله الناس.. الناس جميعاً.. إلى الصورة الأولى وناداهم، ناداهم كافة.. أن يفيئوا إليها. أن يفيئوا إلى عبادة الله الواحد، والخالق الواحد، والرازق الواحد، بلا شركاء ولا أنداد^(١٢)، وعلى هذا فقد جاءت الدعوة عامة شاملة إلى الناس، من ربّ الناس، بعد أن عرضهم هذا العرض الكاشف، من مؤمنين، وكافرين، منافقين.. فالطريق إلى الله مفتوح للناس جميعاً، يسع برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وبين يدي كل إنسان شواهد قائمة، وأعلام منصوبة على الطريق، تدعوه إلى الله، وإلى الإقرار بوحدانيته، إذا هو نظر في هذا الوجود، نظرة بعيدة عن الهوى، خالصة من الضلال والزيغ^(١٣)، والله سبحانه وتعالى لا يحرم خلقاً من خلقه من عطاء ربوبيته في الدنيا. فالشمس تشرق على المؤمن والكافر. والمطر ينزل على من قال لا إله إلا الله ومن ستر وجوده تعالى: والهواء يتنفس به ذلك الذي يقيم الصلاة والذي لم يركع ركعة في حياته. والطعام

يأكله الذي يحب الله والذي يكفر بنعم الله.. ذلك أن هذه عطاءات ربوبية يعطيها الله تعالى لكل خلقه في الدنيا..

أما عطاءات الألوهية، فهي للمؤمنين في الدنيا والآخرة، فالله سبحانه وتعالى يلفت انتباه خلقه إلى أن عطاء الربوبية من الله سبحانه وتعالى لهم يكفي ليؤمنوا بالله ويعبدوه، والحق سبحانه وتعالى حينما يخاطب الناس في القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا بد أن يكون الخطاب للناس في كل زمان ومكان. منذ نزول القرآن الكريم إلى يوم القيامة^(١٤).

وعلى هذا جاء قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ)^(١٥).

ثم أن الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها هي عبادته، قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(١٦)، المتضمنة لمعرفته ومحبه، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم^(١٧).

فهي دعوة للناس إلى أن يستجيبوا لما يدعوهم الرسول إليه، وأن يقوموا على الأمر الذي خلقهم الله سبحانه وتعالى له، وهو عبادته.. فما خلق الإنسان إلا ليكون عبد الله، عابدا له، مظهرا بعبوديته وعبادته جلال المعبود، وعظمته، وسلطانه..

وليس الجن والإنس وحدهما، هما اللذان خلقا لعبادة الله، بل إن كل مخلوق، وكل موجود، خلق لهذه الغاية، حيث تتجلى في المخلوقات جميعها ألوهة الإله، وقدرته، وعظمته.. والله سبحانه وتعالى يقول: «إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا»^(١٨)، ويقول جل شأنه: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ»^(١٩)، ويقول سبحانه: «وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»^(٢٠).

فالكافر الذي لا يؤمن بالله، ولا يسبح بحمده، هو مؤمن بالله كرها ومسبح بحمده قسرا.. فكل ذرة فيه، وكل جارحة من جوارحه، تسبح بحمد الله، وتؤدي وظيفتها على

الوجه الذي أقامها الله سبحانه وتعالى فيه.. فالخلايا التي يبنى منها الكيان الجسدى للإنسان تسبح بحمد ربها فى عملها الذي تؤديه بناء أو هدماً فى الكيان الإنسانى، والقلب بخفقاته، والدم بجريانه فى العروق، والعروق بحملها للدم، وتغذيتها الجسم به، والعين فى نقلها المرئيات، والأذن بتلقيها للمسموعات.. وهكذا كل ما فى الإنسان- ظاهراً أو باطناً- يسبح بحمد الله.. وكذلك الشأن فى كل موجودات^(٢١).

المبحث الثانى

نعم الله عامة لجميع خلقه

وهنا يبيح الله للناس جميعاً أن يأكلوا مما رزقهم فى الأرض حلالاً طيباً- إلا ما شرع لهم حرمة وهو المبين فيما بعد- وأن يتلقوا منه هو الأمر فى الحل والحرمة، وألا يتبعوا الشيطان فى شيء من هذا، لأنه عدوهم ومن ثم فهو لا يأمرهم بخير، إنما يأمرهم بالسوء من التصور والفعل ويأمرهم بأن يخللوا ويحرموا من عند أنفسهم، دون أمر من الله، مع الزعم بأن هذا الذى يقولونه هو شريعة الله^(٢٢).

والخطاب القرآنى هنا يشمل الناس جميعاً مؤمنهم ومشرکهم، وكافرهم سواء أكان وثنياً أم كان كتابياً، وإن الله تعالى بين حال الذين اتخذوا من دون الله تعالى أنداداً، وأنه يوسوس لهم فى طعامهم وطيباتهم وما أحل الله تعالى لهم، ولذا جاء الأمر بالأكل من الحلال والنهي عن تتبع خطوات الشيطان، بعد التنديد باتخاذ الأنداد، وبيان الذين يتخذونها يوم القيامة.

والأمر هنا للإباحة، ويأكل الإنسان مما تخرجه الأرض من نبات وزرع وثمار وما يمشی من حيوان طيب يحل أكله وما يكون فى جوها من طير يطيب أكله^(٢٣).

إن من رحمة الله عز وجل على عباده أنه لم يقصر الخطاب على الذين آمنوا؛ وإنما وسع الدائرة لتشمل المؤمنين وغيرهم؛ فقال: {يا أيها الناس} فكأنه خلق ما فى الأرض جميعاً للناس جميعاً، وهذا ما قلنا عنه: إنه عطاء الربوبية لكل البشر، من آمن منهم ومن لم يؤمن، فهو سبحانه خلق كل الخلق، مؤمنهم وكافرهم، ومادام قد خلقهم واستدعاهم إلى الوجود فهو يوجه الخطاب لهم جميعاً؛ مؤمنهم وكافرهم؛ وكأن

الخطاب يقول للكافرين: حتى ولو لم تؤمنوا بالله، فخذوا من المؤمنين الأشياء الحلال واستعملوها لأنها تفيدكم في دنياكم؛ وإن لم تؤمنوا بالله، لأن من مصلحتكم أن تأكلوا الحلال الطيب، فالله لم يحرم إلا كل ضار، ولم يحلل إلا كل طيب^(٢٤).

فذكر إنعامه تعالى على الكافر والمؤمن، ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام، لأنه تعالى رب العالمين، فأحسانه عام لجميع الأنام دون تمييز بين مؤمن وكافر وبر وفاجر، ثم دعا المؤمنين إلى شكر المنعم جل وعلا والأكل من الطيبات التي أباحها الله، واجتناب ما حرّمه الله من أنواع الخبائث^(٢٥).

ولما كانت رتبة الناس من أدنى المراتب في خطابهم أطلق لهم الإذن تلطفاً بهم ولم يفجأهم بالتقييد فقال مبيحاً لهم ما أنعم به عليهم {كلوا} ولما كان في الأرض ما لا يؤكل قال: {مما في الأرض} أي مما بينا لكم أنه من أدلة الوحداية^(٢٦).

المبحث الثالث

تذكير بالواقع العام

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَيْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ بَنُو آدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ نَسَمًا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ فَأَقْرَأُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: الْمُرَادُ بِالنَّاسِ الْقُرُونُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ، وَهِيَ عَشْرَةٌ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ حَتَّى اخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ نُوحًا فَمَنْ بَعْدَهُ، وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ثُمَّ بَعْدَ وَفَاةِ نُوحٍ اخْتَلَفُوا. وَ"أُمَّةٌ" مَاخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أُمَمْتُ كَذَا، أَيْ قَصِدْتُهُ، فَمَعْنَى "أُمَّةٌ" مَقْصِدُهُمْ وَاحِدٌ، وَيُقَالُ لِلْوَّاحِدِ: أُمَّةٌ، أَيْ مَقْصِدُهُ غَيْرُ مَقْصِدِ النَّاسِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ: "يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ". وَكَذَلِكَ قَالَ فِي زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ. وَالْأُمَّةُ الْقَامَةُ، كَأَنَّهَا مَقْصِدُ سَائِرِ الْبَدَنِ^(٢٧). وَقَدْ حَمَلَ جُمْهُورٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ لَفْظَ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْمِلَّةِ، أَيْ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالْقَرِينَةُ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُقَدَّرَةِ قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدُ: (لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) عَلَى اعْتِبَارِ إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَبِيًّا وَكَانَ أَوْلَادُهُ عَلَى مِلَّتِهِ هَادِينَ إِلَى أَنْ وَقَعَ التَّحَاسُدُ بَيْنَ وَلَدَيْهِ، وَكَانَ مِنْ قَتْلِ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ

السَّليمة والدين الحق، وإنما يعرض له ما ينحرف به عن الفطرة من تحكّم الأهواء، وإغواء الشهوات، ورين الشبهات ونحو ذلك، فلا ريب يكون للإنسان طوراً أول، كان فيه خيراً عادلاً واقفاً عند الحق فيما يعتقد وما يعمل، ثم يعرض عليه ما يعرض من الميل إلى الشرّ والقيح من الأعمال، وقال أبو مسلم والقاضي أبو بكر: إن وحدة الأمة كانت فيما هو من مقتضى أصل الفطرة من الأخذ بما يرشد إليه العقل في الاعتقاد والعمل، فكان الناس يهتدون بعقولهم والنظر المحض في الآيات الدالة على وجود الصانع ووجوب شكره، ثم كانوا يميزون الحسن من القبيح، والباطل من الصحيح بالنظر في المنافع والمضار، أو الاتفاق مع ما يليق بالله على حسب ما يرشد إليه العقل أو ما لا يليق، ولا ريب أن استسلام الناس إلى عقولهم بدون هداية إلهية مما يدعو إلى الاختلاف، بل كثيراً ما حالت الأوهام دون الوصول إلى المراد من العقائد والأحكام، فيكون الاختلاف مفهوماً من معنى الوحدة على هذا التأويل وما سبقه؛ ولهذا رتب عليها بعثة الأنبياء ليحكموا بما أنزل الله فيما اختلف فيه الناس. وقد أورد القاضي على نفسه مسألة آدم ورسالته، وأجاب عنها بأنه: من الجائز أن يكون آدم وأولاده قد بدأ أمرهم على سنة الفطرة فكانوا من أهل النظر، ثم بعد أن كثر أولاده، وظهر أن هداية العقل وحده لا تكفي في حفظ سلامة القلوب، ولإصلاح الأعمال أرسله الله إليهم بهداية إلهية من عنده، وإنه من المحتمل بل يكاد يكون من المحقق أنه طراً على نسل آدم ما أنساهم شرعه فعادوا إلى استعمال عقولهم وحدها فعادت إليهم الوحدة فيما يؤدي إلى الاختلاف، فبعث الله النبيين إلخ^(٢٨).

إذن كان الناس كلهم أصلاً واحداً من طبيعة واحدة، هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم تناسلوا، وكثروا وتفرقوا في وجوه الأرض، وخضعوا لمؤثرات الحياة، ووقعت بينهم منازعات ومشاحنات، وجرى بينهم البغي والعدوان، وولدت لهم مدركاتهم مواليد من الضلال، والبهتان، ففسدت طبيعتهم، وعطبت فطرتهم، فغاثهم الله برحمته، وبعث فيهم رسله، بكلماته الشافيات، وآياته البينات، ليصححوا معتقداتهم، ويسلكوا بهم مسالك الحق، ويقيمهم على الطريق السوي، كما يقول

سبحانه: «فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» أي ليكون هذا الكتاب ميزان قسط بين الناس، يرجعون إليه في ضبط أقوالهم وأفعالهم، وليسوا عليه حسابهم فيما يقع بينهم من خلاف. والكتاب هنا هو مجمع كتب الله التي نزلت على رسله، لأن تلك الكتب في مضامينها هي كتاب واحد، ينطق بالحق ويهدي للحق! وقوله تعالى: «وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» تشنيع على أهل الكتاب، وتثديد بهم، إذ بعد أن جاءهم الحق من ربهم، ووضحت لهم معالم الطريق بما حمل الكتاب إليهم من آيات الله البينات- وقع بينهم الخلاف، وعادوا إلى ما كانوا عليه من فساد عقيدة، وضلال سعى.. فإذا كان لخلافهم وشرودهم عن الحق وجه قبل أن يأتيهم هدى الله، فإنه لا وجه لهذا الخلاف بعد أن جاءهم الهدى واستنارت أمامهم معالم الطريق! (٢٩)

المبحث الرابع

التحذير العام

قال تعالى «مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ» (٣٠)، من أجل حادثة «قاييل وهابيل» وبسبب قتله لأخيه ظلماً فرضنا وحكمنا على بني إسرائيل أن من قتل منهم نفساً ظلماً بغير أن يقتل نفساً فيستحق القصاص وبغير فسادٍ يوجب إهدار الدم كالردة وقطع الطريق {فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} أي فكأنه قتل جميع الناس، من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسنَّ القتل وجرأ الناس عليه، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها، ومن تسبب لبقاء حياتها واستنقاذها من الهلكة فكأنه أحيا جميع الناس قال ابن عباس في تفسير الآية: من قتل نفساً واحدة حرّمها الله فهو مثل من قتل الناس جميعاً ومن امتنع عن قتل نفسٍ حرّمها الله وصان حرمتها خوفاً من الله فهو كمن أحيا الناس جميعاً، بعدما كتبنا على بني إسرائيل هذا التشديد العظيم وجاءتهم رسلنا بالمعجزات الساطعات

والآيات الواضحات ، ثم إنهم بعد تلك الزواجر كلها يسرفون في القتل ولا يبالون بعظمته^(٣١).

وهذا توضيح لإرادة الحق في تأسيس الوحدة الإنسانية لجعل من المجتمع كله كوحدة مترابطة، وإياك أن تنظر إلى مجترئ على غيرك، بالباطل، وتقف مكتوف اليدين؛ لأن الوحدة الإنسانية تجعل الناس جميعاً كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. فإن قتل إنسان إنساناً آخر ووقف المجتمع الإنساني موقف العاجز. فهذا إفساد في الأرض، ولذلك يجب أن يقابل المجتمع مثل هذا الفعل لا على أساس أنه قتل نفساً واحدة، بل كأنه قتل للناس جميعاً ما لم يكن قتل النفس لقصاص أو إفساد في الأرض.

ويكمل الحق سبحانه الشق الثاني من تلك القضية الإنسانية: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} ، وهذه هي الوحدة الإنسانية، فمن يعتدي على نفس واحدة بريئة، كمن يعتدي على كل الناس، والذي يسعف إنساناً في مهلكه كأنه أقتل الناس جميعاً. وفي التوقيع التكليفي يكون التطبيق العملي لتلك القاعدة، فالذي يقتل بريئاً عليه لعنة الله وغضبه ويعذبه الله، وكأنه قتل الناس أجمعين، وإن نظرنا إليها من ناحية الجزاء فالجزاء واحد.

{وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} . وسبحانه وتعالى يريد ألا يستقبل المجتمع الإنساني مجترئاً بباطل على حق إلا أن يقف كل المجتمع أمامه، فلا يقف المعتدى عليه بمفرده؛ لأن الذي يُجرئ أصحاب الشر هو أن يقول بعض الناس كلمة «وأنا مالي»، و «الأنا مالية» هي التي تُجرئ أصحاب الشرور التي هي الأنانية المقيتة^(٣٢).

بسبب حرمة الحياة الإنسانية وقداستها وكرامتها، فرض الله على بني إسرائيل هذا الفرض، وأوجب عليهم هذا الحكم، وهو أنه من قتل نفساً، عدواناً وظلماً، أي من غير قصاص في قتل، أو سعى بفساد في الأرض - فكأنما قتل الناس جميعاً، «وَمَنْ أَحْيَاهَا» أي أحيا نفساً إنسانية، بأن كفّ يده عن العدوان عليها، أو دفع عنها يدا معتدية عليها - فكأنه أحيا الناس جميعاً.. ذلك أن الإنسان يمثل الإنسانية كلها.. إذ كان خلقها

جميعاً من نفس واحدة، كما يقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»^(٣٣)، وفي كل إنسان هذه النفخة المقدسة التي كانت منها الإنسانية كلها، فمن قتل إنساناً، فقد أحمَد تلك الشعلة المقدسة التي هي أصل الحياة، ومن أحيّاها، أي تركها حيّة فلم يعرض لها بسوء، فكأنما أحيّا الإنسانية كلها، وترك شعلتها المقدسة متقدة..

وفي هذا الحكم الذي أوجبه الله سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل، تغليظ لجريمة القتل، وتشنيع عليها، وتهويل لها، ووضع القاتل أو من تحدّثه نفسه بالقتل أمام تلك الجريمة المفزعة، التي يرى فيها الإنسانية كلها وهي جثث هامدة، وأشلاء ممزقة بين يديه.. حتى أهله وأقرب الأقربين إليه من آباء وأبناء..

إنهم جميعاً من قتلاه.. بل إنه هو نفسه فيمن قتل بيده.. إذ كيف يحيا وحده في هذا العالم الموحش، وقد خلا من وجه الإنسان؟

وفي هذا الموقف يطلّ علينا من بعيد هذا الشبح المخيف لابن آدم الذي قتل أخاه، فاستولت عليه الوحشة القاتلة بعده، وأصبح غريباً في هذا العالم، لا يجد لحياته وجوداً على هذه الأرض، حتى ليذهل عن كل شيء وتضيع من نفسه معالم المعرفة، التي لا تتحرك ولا تعمل إلا في مواجهة الإنسان للإنسان.

ولهذا كان الغراب أقدر على الحياة منه، وأصلح للعمل فيها، لأنه يعيش بين جنسه، مع فطرته، التي تستجيب لحياة الجماعة وتعمل معها^(٣٤). ولعل سائل يسأل: لماذا كانت قتل نفس واحدة بهذه الشناعة والإنكار؟ فالجواب من أجل وجود هذه النماذج في البشرية.. من أجل الاعتداء على المسلمين الوادعين الخيرين الطيبين، الذين لا يريدون شراً ولا عدواناً.. ومن أجل أن الموعظة والتحذير لا يجديان في بعض الجبلات المطبوعة على الشر وأن المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور في النفس.

من أجل ذلك جعلنا جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة كبيرة، تعدل جريمة قتل الناس جميعاً وجعلنا العمل على دفع القتل واستحياء نفس واحدة عملاً عظيماً يعدل إنقاذ

الناس جميعاً، إن قتل نفس واحدة- في غير قصاص لقتل، وفي غير دفع فساد في الأرض- يعدل قتل الناس جميعاً.

لأن كل نفس ككل نفس وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس. فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته الحق الذي تشترك فيه كل النفوس. كذلك دفع القتل عن نفس، واستحيائها بهذا الدفع- سواء كان بالدفاع عنها في حالة حياتها أو بالقصاص لها في حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى- هو استحياء للنفوس جميعاً، لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعاً^(٣٥).

ولطالما جاء التحذير عاماً كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)^(٣٦)، فيبدأ الخطاب بالنداء العام. نداء الناس جميعاً إلى تقوى الله، وتخوفهم من زلزلة الساعة، ووصف الهول المصاحب لها، وهو هول عنيف مرهوب^(٣٧)، فبهذا الإعلام الصارخ المدوى تبدأ السورة الكريمة، منذرة الناس بهذا اليوم العظيم، يوم القيامة، منبهة لهم من غفلتهم، ملفتة لهم إلى ما هنالك من أهوال تشيب منها الولدان..

والإعلان عام للناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، المنتبه لهذا اليوم، والمعدّ نفسه له، ومن أنكره وكفر به، أو كان في غفلة عنه، وذلك التعميم الذي يشمل الناس جميعاً، إنما هو لأن أهوال هذا اليوم لا يكاد يتصورها أحد، لأنها تخرج عن دائرة التصور البشري، وتجيء على صورة لم تقع للناس في حياتهم الأولى، على رغم ما وقع لهم من أهوال، وما نزل بهم من بلاء.. ومن هنا كان الذين يؤمنون بالآخرة، ولا يعملون لها، مطالبون بأن ينتبهوا، وأن يعملوا أكثر مما عملوا.. فإنهم- على يقظتهم، وعلى خوفهم من لقاء ربهم، وعلى إعدادهم ليوم اللقاء- إنهم مع هذا كله أشبه بالغافلين.. فإن الهول شديد، وأن الموقف لا يمكن تصوره^(٣٨).

فهذه الآية وغيرها تحذير لجميع العالم لتفادي أهوال القيامة، فيا أيها البشر، احذروا عذاب الله، بطاعته، والبعد عن معصيته^(٣٩).

المبحث الخامس

التكريم العام والتعارف العام وهو التعايش

لقد كرم الله تعالى بني آدم قاطبةً تكريماً شاملاً لبرّهم وفاجرهم، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)^(٤٠) أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدل والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكّن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة، ثم حملناهم في البر والبحر على الدوابّ والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنْ فَنُونِ النِّعَمِ وضروب المستلذات مما يحصل بصنيعهم وبغير صنيعهم وفضلناهم في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا عظيمًا فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقّة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحدٌ ممن له أدنى تمييز، فإن المراد هنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها^(٤١).

ونختتم بحثنا بآية متفاعلة مع التعايش بشكل تام كامل وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات ١٣)، يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأُنْثَى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله ﴿تعالى﴾ بثّ منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم

نسباً، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهراً وباطناً، ممن يقوم بذلك، ظاهراً لا باطناً، فيجازي كلا بما يستحق^(٤٢).

وسورة الحجرات مبنية على الآداب من أولها الى آخرها، وهذه الآية تعقيب عام على هذه الأحكام وتلك الآداب، التي كانت خطاباً للذين آمنوا، ليرتلوها، ويأخذوا أنفسهم بها، وليس هذا فحسب، بل إن عليهم أن يراعوا هذه الأحكام وتلك الآداب مع غير المؤمنين، مع الناس جميعاً، من كل أمة، ومن كل دين، إنها أخلاق إنسانية، يجب أن تكون طبعاً وجبلةً في المؤمن، يعيش بها في الحياة كلها، ومع الناس جميعاً، فلا تكون ثواباً بلبسه مع المؤمنين، حتى إذا كان مع غير المؤمنين نزعه، فإنه بهذا إنما ينزع كمالاته خلعها الله عليه، ويتعزى من جلال كسائه الله إياه، ولهذا جاء الخطاب هنا للناس جميعاً: «يا أيها الناس» والمستمع لهذا الخطاب، والعامل به، هم المؤمنون، ثم أعقب هذا الخطاب، تقرير هذه الحقيقة التي ينبغي أن يعيها المؤمنون:

«إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» .. فأنتم أيها الناس - مؤمنين وغير مؤمنين - إخوة في الإنسانية، إذ كنتم من طينة واحدة، ومن جرثومة واحدة:

«كلكم لآدم وآدم من تراب» وأنه إذا كان للمؤمنين منزلة عند الله، وفضل على غير المؤمنين، فذلك رزق من رزق الله، وإن من الخير للمؤمنين أن ينفقوا من هذا الخير على الإنسانية كلها، وأن يكونوا الوجه الكريم الطيب، الرحيم، فيها^(٤٣).

وكان هذا الخطاب ينادينا فيقول يا أيها الناس يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً، يا أيها الناس. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم.. من ذكر وأنثى.. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل. إنها ليست التناحر والخصام. إنما هي التعارف والوئام. فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتتوزع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة

والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» .. والكريم حقاً هو الكريم عند الله. وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازن: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» ..

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت. وكلها من الجاهلية وإليها، تتزيا بشتى الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء. وكلها جاهلية عارية من الإسلام! وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله.. لا راية الوطنية. ولا راية القومية. ولا راية البيت. ولا راية الجنس. فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب. ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان» .

وقال - صلى الله عليه وسلم - عن العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة» .

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي. المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لونا من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم.. الطريق إلى الله.. ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة.. راية الله^(٤٤).

الخاتمة

نتهي الى خاتمة نلخص فيها ما جرى التركيز عليه :

١. عالمية وشمول الإسلام وعدم حكره على طائفة أو فئة .
٢. فهم حقيقة التعايش وأن الناس كلهم لأب واحد وأم واحدة.
٣. محاولة صهر الفوارق الطبقية والجنسية والمجتمعية والاقتصادية .
٤. لا مكان للأناية في العالم الجديد مع التكنولوجيا والتنمية والتقدم العلمي.

ملخص البحث

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ، وأصلي وأسلم على من أرسله الله للناس كافة بشيرا ونذيرا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد :

مما لا شك فيه أن التعايش هو الحل الأمثل والعلاج الأفضل والسبيل الأقوم لكي تتغلب المجتمعات على الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتعايش هو الطريق الوحيد للحفاظ على القيم والموروثات التي تدعو اليها كل امة من الأمم.

وقد دعا الاسلام وفق أدلة من القرآن والسنة وفهم صدر الأمة الأول من أهل البيت والصحابة الى التعايش بين الناس بمجموعهم على اختلاف قبائلهم وعشائرهم وأجناسهم وأديانهم وألوانهم، ودعا ايضا الى التساكن والتجاور، وعليه فقد أصبح التعايش بين الشعوب قديما وحديثا ضرورة ملجئة لا بد منها ولا مناص عنها.

الهوامش:

(١) مجمع اللغة العربية المعاصرة ١/٥٥٢).

(٢) (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٩٥٢/٥).

(٣) (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/٦٢٣٣٨).

(٤) (معجم ديوان الأدب ٣/٤٦١).

(٥) (معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/١٥٨٣).

(٦) (القاموس المحيط ١/١١٢٢).

(٧) (التعريفات ١/١٢٠).

- (٨) (سورة البقرة ٢١).
- (٩) (الطبري ٣٦٣/١).
- (١٠) (القرطبي ٢٢٥/١).
- (١١) (السعدي ٤٤/١).
- (١٢) (في ظلال القرآن ٣٨/١).
- (١٣) (التفسير القرآني للقرآن ٤٠/١).
- (١٤) (الشعراوي ١٨٣/١).
- (١٥) (سورة النساء ١) (سورة الحج ١) (سورة لقمان ٣٣).
- (١٦) (سورة الذاريات ٥٦).
- (١٧) (تفسير السعدي ٨١٣/١).
- (١٨) (٩٣: مريم).
- (١٩) (١٥: الرعد).
- (٢٠) (٤٤: الإسراء).
- (٢١) (التفسير القرآني للقرآن ٥٣٧/١٤).
- (٢٢) (في ظلال القرآن ١٥٥/١).
- (٢٣) (زهرة التفاسير ٤٩٨/١).
- (٢٤) (تفسير الشعراوي ٦٩٧/٢).
- (٢٥) (صفوة التفاسير ١٠١/١).
- (٢٦) (نظم الدرر ٣١٦/٢).
- (٢٧) (تفسير القرطبي ٣١-٣٠/٣).
- (٢٨) (تفسير المنار ٢٢٢-٢٢١/٢).
- (٢٩) (التفسير القرآني للقرآن ٢٣٥/١).
- (٣٠) (سورة المائدة ٣٢).
- (٣١) (صفوة التفاسير، ٣١٣/١).
- (٣٢) (تفسير الشعراوي ٣٠٨٨/٥).
- (٣٣) (١: النساء).
- (٣٤) (التفسير القرآني للقرآن ١٠٨٢-١٠٨١/٣).
- (٣٥) (في ظلال القرآن ٨٧٨/٢).

(٣٦) (سورة الحج ١).

(٣٧) (في ظلال القرآن ٤/٢٤٠٧).

(٣٨) (التفسير القرآني للقرآن ٩/٩٧٢).

(٣٩) (التفسير الوسيط للزحيلي ٢/١٦٢٤).

(٤٠) (سورة الإسراء ٧٠).

(٤١) (تفسير أبي السعود ٥/١٨٦).

(٤٢) (تفسير السعدي ١/٨٠٢).

(٤٣) (التفسير القرآني للقرآن ١٣/٤٥٤).

(٤٤) (في ظلال القرآن ٦/٣٣٤٩).

المصادر

• القرآن الكريم .

١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)

بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي

(المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت،

الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى:

٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس

طبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى:

٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم

العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة:

الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)

المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت

-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٧. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٩. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢هـ.
١٠. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
١١. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.
١٢. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
١٣. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٥. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

١٦. التفسير الوسيط للزحيلي، دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق
الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ.
١٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود
العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي -
بيروت.

مواقف من التعايش السلمي في تراث أهل البيت (عليهم السلام)

م.د كريم حمزة حميدي

كلية الإمام الكاظم (ع)/اقسام بابل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول السلام، الرسول الأكرم، محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد..

فقد أرسى القرآن الكريم مبادئ السلام في ربوع الجزيرة العربية، بعد أن كانت قبائل متناحرة، لا ترتضي العيش من دون الغزوات والخصومات. وقد أكمل المشروع القرآني الرسول الأكرم، نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث الأخلاق الفاضلة، والتعامل الإنساني، ما نتج عنه منظومة خلقية لا مثيل لها من بين جنس البشر.

من هذه القيم الخلقية العالية جاءت فكرة البحث لرصد مظاهر التعايش السلمي في تراث أهل البيت (عليهم السلام)، ونعني بهم محمداً وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين). شرعنا بكتابة البحث على وفق خطة علمية، بدأت بمقدمة وتمهيد ومبحثين وخلاصة. جاء التمهيد بعنوان: (الإسلام أساس التعايش السلمي)، وقد بينت فيه أن الإسلام هو دين السلام، عن طريق الشواهد القرآنية وتفسيرها. وأما المبحثان، فقد تناولت في المبحث الأول: (التعايش السلمي في السنة النبوية)، وتناولت فيه المواقف الماثورة عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، والتي عززت التعايش السلمي في المجتمع العربي آنذاك. وأما المبحث الآخر، فقد جاء بعنوان: (التعايش السلمي في تراث أئمة أهل البيت "عليهم السلام")، وتناولت فيه مواقف متعددة تعكس ثقافة التعايش السلمي في المجتمع، مما أثر عن أئمة الهدى (عليهم السلام). وقد جاءت هذه المواقف متتابعة من أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى عهد الإمام الصادق (عليه السلام).

وختمت البحث بخلاصة لأهم ما جاء في البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع، التي تنوعت بين كتب التفسير والحديث والرواية. وأخيراً أسأل الله أن يوفقنا لخدمة تراث أهل البيت (عليهم السلام)، إنه الموفق لكل خير.

التمهيد: الإسلام أساس التعايش السلمي

الإسلام هو دينُ السَّلام، لذا كان السَّلام هو عنوان سلوك الرُّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع النَّاس أجمعين، حتى مع أعدائه، فعلى الرِّغم ممَّا لاقاه الرُّسول من المشركين واليهود، إلَّا أنَّه لم يحرِّمهم من حقوقهم الشرعية والإنسانية، فهو القائل: ((أفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وكونوا إخواناً كما أمركم الله عز وجل))^(١). فهو يؤكِّد في ثقافته على إفشاء السَّلام بكل تداعياته ليحجب عن العنف حضوره، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((إِنَّ السَّلامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ تَحِيَّةً لِأَهْلِ دِينِنَا، وَأَمَانًا لِأَهْلِ دِمَّتِنَا))^(٢)، وإفشاء السَّلام سبب من أسباب السَّلامة: فعن البراء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ((أَفْشُوا السَّلامَ تَسْلُمُوا))^(٣). كما إنَّ السَّلام وسيلة من وسائل الحب والتَّآخي بين أفراد المجتمع ومختلف فئاته التي لها أثر كبير في زرع الثقة بينهم، كما في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((أَوَّلًا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ))^(٤). فهذه طائفة من أحاديث رسول السَّلام، الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، عنوانها السَّلام، وهي تصلح أن تكون مبدأً في الحياة، وفي التعامل مع الآخر.

لقد نظر الإسلام باحترام إلى تعاليم الدين السابقة له، ودعا إلى التعايش الديني مع جميع أهل الأديان، وقدَّس الرسل والأنبياء جميعهم، وأوجب على أتباعه الاعتراف بهم والإيمان بنبوتهم، وهذا سببٌ من أسباب التَّآخي بين أهل الملل والنحل، وتعاون بعضهم مع بعض. وممَّا جاء في ذلك نظرته إلى الكتب السماوية السابقة له، وهذا يجسده قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) ﴿سورة الاعلى، الآية ١٨-١٩﴾، قال الماوردي (ت ٤٥٠هـ): "فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: يعني أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى، قاله قتادة. الثاني: أن ما قصه الله في هذه السورة هو من الصحف الأولى. الثالث: هي كتب الله كلها"^(٥). فهي كتب السماء التي عبَّر عنها بالصحف، وإنَّ سبب اختيار إبراهيم وموسى (عليهما السَّلام) من بين الأنبياء والرسل، هو إشارة إلى أن إبراهيم هو أبو الأنبياء، وشريعته من الشرائع الأولى، وعلى

امتدادها جاءت شريعة موسى، ثم شريعة الإسلام^(٦). فالإسلام أحترم الديانات السابقة له، وهذا مظهر من مظاهر التعايش السلمي بين أفراد المجتمع. لذلك نهى وبشدة الإكراه وفرض الدين؛ إذ قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). ﴿سورة يونس / الآية ٩٩﴾. و"معناه أن الله تعالى لو أراد لحمل الناس على الإيمان واضطربهم إليه غاية الاضطراب، ولم يترك لهم في شأنه أي اختيار، ولجعل الإنسان كباقي الحيوانات العجماء مسوقاً من ورائه بسوط القهر والإجبار، وحينئذ يصبح الإنسان مجبراً على الطاعة، مكرهاً على الإيمان، فاقدًا للأخص خصائص الإنسان، لكن الله تعالى أراد أن يخلق الإنسان على خلاف غيره من الحيوانات، فخلقه حراً مختاراً"^(٧). فالله سبحانه وتعالى أراد أن يكون الإيمان بالفطرة والاختيار، فلم يُكره الناس على الإيمان، وهذا قمة التعامل الديني، ولو أراد أن يفرض الإيمان، لفعل ذلك، وليس عليه عسير.

وهناك آيات قرآنية متعددة قد تضمنت الاعتدال في التعامل مع أتباع الديانات الأخرى من خلال محاورتهم بالحسنى والانطلاق من النقاط المشتركة بوصفهم أتباعاً لديانات سماوية، ومنهم أهل الكتاب؛ إذ خاطبهم الله تعالى قائلاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فعند الرجوع إلى أقوال المفسرين لمعرفة المراد من الآية وما المقصود من كلمة (سواء) نجد أن المراد منها كلمة الحق والعدل، يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يعني بذلك جل ثناؤه: "قل"، يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل. "تعالوا"، هلموا. "إلى كلمة سواء"، يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل، هي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً"^(٨). وبناءً على ما تقدّم اتّضح بأن المراد من (كلمة سواء) هي الكلمة العادلة التي لا ميل فيها لطرف دون آخر، وهي كلمة الحق التي جاء بها جميع الأنبياء، وهي توحيد الله تعالى وترك عبادة غيره. فدعوة الأنبياء جميعاً هي دعوة التوحيد، وفي ذلك ضمان لسعادة الفرد والمجتمع الإنساني وإقامة

العدل، فالمنهج الإسلامي هو منهج الاعتدال، وعندما يحاور المسلم غيره من أتباع الديانات الأخرى فالحوار قائم على احترام الرأي الآخر وعدم إقصائه وظلمه. وقد خصص القرآن الكريم مساحة واسعة في التحاور مع المخالفين والمنكرين لرسالته ووجوده حيث يتجاذب الله جل شأنه الحديث مع منكريه في حوار هادئ ومقنع لرد الشبهات بعقلانية منقطعة النظير.

إن القرآن الكريم انطلق من النقاط المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب، ولم يركز على ما يقع الاختلاف فيه بينهم كادعاء اليهود بأن عزير ابن الله، أو قول المسيح إن عيسى ابن الله، والله تعالى ثالث ثلاثة، فلم يقل لهم إنكم منحرفون عن شريعة موسى وعيسى، فأنتم أهل الضلال والشرك، وإنما ركز على العقيدة الحقة، بعيداً عن التحريف والابتعاد عن دعوة الأنبياء (عليهم السلام)، فالإسلام لا يريد أن يحتدم الصراع بين المسلمين وغيرهم، بل يريد أن يعيش الناس جميعاً على اختلافهم بأمن وطمأنينة وسلام وهذا هو التجسيد الواقعي للاعتدال في التعامل مع الآخر. وقد ترجم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ما جاء في القرآن من شواهد إلى سلوك عملي، عن طريق التعامل مع أفراد المجتمع العربي آنذاك، على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم، وهذا ما سنتناوله في المبحثين القادمين على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعايش السلمي في السنة النبوية

يتناول هذا المبحث مواقف من التعايش السلمي فيما أثر عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من أحاديث وروايات، يمكن عدّها مثلاً وشاهداً تاريخياً للتعايش السلمي بين أفراد المجتمع. وقد حفلت سيرته (صلى الله عليه وآله) مواقف متعددة، فرضتها طبيعة المجتمع العربي آنذاك؛ إذ ضمّ أجناساً مختلفة، وديانات عدة.

فالله سبحانه وتعالى أرسل نبيه الأكرم رحمةً للعالمين، من دون التفريق بين العالمين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)؛ لأنّ ما بُعث به سببٌ لإسعادهم، وموجبٌ لصلاح معاشهم ومعادهم، قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) في تفسير الآية: "أي: للمؤمن والكافر: فهو (صلى الله عليه وآله) ﴿وآله﴾

وسلم) رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة، يعافى في الدنيا من السيف، ومن حلول العذاب من الله، وفي الآخرة من النار، وهو رحمة للكافر إذ عوفي في الدنيا مما أصاب الأمم الماضية من الخسف والقذف بكفرها، قاله ابن عباس^(٩). إن النبي (صلى الله عليه وآله) وسلم آمن بأن الناس جميعاً متساوون في الآدمية، فكلهم أبناء آدم، وهم مكرمون عند الله على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، فكان هذا المبدأ ينطلق من قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} ﴿سورة الإسراء: ٧٠﴾.

ومن المفاهيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام، بل أكدها في أكثر من مورد هو المجادلة بالحسنى بالنسبة إلى تعامل الرسول (صلى الله عليه وآله) مع الناس؛ إذ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿النحل: ١٢٥﴾ وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ﴿آل عمران: ١٥٩﴾، وبهذا الخلق الرفيع وهذه الرحمة الواسعة استطاع النبي أن يهدي الطغاة والمتعجرفين والأجلاف الذين لم يستطع أحد قبله أن يتعامل معهم أو يقودهم.

ومن أهم مظاهر التعايش السلمي في سلوك الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو حسن تعامله مع اليهود، الذين كانوا من الفئات الكبيرة في مجتمع المدينة، وهم أكثر العناصر غير الإسلامية؛ إذ نجد أن الرسول (ﷺ) منذ بدء هجرته إلى المدينة عمل على جذب اليهود إلى دين الإسلام، فلم يبق منهم في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا من دخل في الإسلام، وحتى حين وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يظهر أحدهم الكفر^(١٠)، فكان الرسول (ﷺ) يبعث لهم جماعة من المسلمين منهم: معاذ بن جبل، وبشر بن البراء، وداود بن سلمه، لمجادلتهم بالتي هي أحسن بغية إدخالهم في الإسلام^(١١). فهذا التحرك السلمي أدى إلى جذب عدد كبير من يهود المدينة، ودخولهم في الدين الإسلامي، ولا سيما قبيلتا الأوس والخزرج، اللتان كانتا من أهم قبائل المدينة.

ومن المواقف السلمية التي كان ينتهجها الرسول (صلى الله عليه وآله) مع اليهود موقفه من جاره اليهودي الذي تمثل بسعيه لعيادته على الرغم من إساءته المتكررة له وإيذائه^(١٢). لقد كان (ﷺ) حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي امتثالاً لقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ﴿سورة البقرة، من الآية ٢٥٦﴾، ومن أمثلة التسامح الديني ما ذكره البخاري عن أبي هريرة: ((استَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمَ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ "الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"))^(١٣). فالنبي (صلى الله عليه وآله) يُعْطِي لَنَا درساً في التعايش السلمي، فعندما يكون الأنبياء - وهم القدوة للبشرية جمعاء - على مستوى عالٍ من التواصل، بحيث يُعَبِّرُ خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ، وهو اللاحق لما سبق بأن لا يُفْضَلُ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ، فهو يقطع الطريق على المتخاصمين (اليهودي والمسلم) بأن يسب أحدهما الآخر باتخاذ الأنبياء ميمناً في حجّتهم وكلامهم.

ويتحدث التاريخ الإسلامي عن قصة مؤاخاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين أنفسهم، وبين المهاجرين والأنصار؛ إذ جاء في كتاب (السيرة النبوية): "وأخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - : تَأَخَوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: هَذَا أَخِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ مِنَ الْعِبَادِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخَوَيْنِ. وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخَوَيْنِ..."^(١٤). والحق يقال إن قصة المؤاخاة هذه فيها

دروس وعبر ينبغي للمسلمين الاستفادة منها، فهي تُعبر عن نظرة الإسلام إلى مساعدة المحتاج، والتعاون في سبيل الإسلام، وهو درس إنساني خلدته التاريخ. وفي الوقت نفسه أنصفت المؤاخاة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فجعلته صنو الرسول وأخاه، فأصبحت من فضائله الكبرى باعتراف أعدائه قبل مواليه.

لقد أقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى ثم بفضل حسن خلقه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد دخل في الإسلام أناس كثيرون بسبب خلقه العظيم، فهذا هو ثَمَامَةُ يسلم ويقول: ((وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ))^(١٥)، ويأتي هذا القول بعد أن عفا عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وآخر يقول: ((وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))^(١٦). فقد جمع هؤلاء الشعورين، شعور الحب والكره، وانتقلوا من حالة البغض إلى ما يناقضها، بفضل سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحسن خلقه، فقد رفض أن يعاقبهما على الرغم من إساءتهما، وتعامل معهما بالحسنى، فرأينا منهم هذا التحول بالمواقف بما يعكس الرسالة القرآنية التي دعت إلى عدم الإكراه في الدين.

ومن مواقفه الإنسانية التي جذبت الناس إلى الإسلام ما فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع المرأة المشركة؛ فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أسقى أصحابه من مزادتيها، ورجعت المزادتان أشد ملاءةً منها حين ابتداء فيها قال لأصحابه: «هَلُمُّوا مَا عِنْدَكُمْ» فَجَمَعْنَا لَهَا مِنَ الْكُسْرِ وَالْتَمَرِ حَتَّى صَيَّرْنَا لَهَا صُرَّةً، فَقَالَ: «اذْهَبِي فَأُطْعِمِي هَذَا عِيَالَكَ، وَاعْلَمْ أَنَا لَمْ نُزِرْ مِنْ مَائِكَ شَيْئًا»، فَلَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ: لَقَدْ لَقِينَا أُسْحَرَ النَّاسِ، أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا، فَهَدَى اللَّهُ ذَلِكَ الْحَيَّ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَأُسْلِمَتْ، وَأُسْلِمُوا"^(١٧). ولولا التعامل الحسن مع المرأة، لما دخلت وقومها الإسلام، فهذا أظهر مثال للتعامل الإنساني، حتى وإن كانت المرأة كافرة، وهم في حالة حرب.

ومن المواقف الجليلة التي سطرها رسول الله (صلى الله عليه وآله) عفوه عمن آذاه؛ ومن الأفعال المؤذية التي شهدها: "جذب الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه، وكرفع صوت الآخر عنده، وكجحد الأعرابي في شرائه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة بن ثابت وكما كان من تظاهر زوجه عليه، وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه، أو يكون هذا مما آذاه به كافر، وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره، وعن اليهودية التي سمته، وعن الأعرابي الذي أراد قتله"^(١٨). كل ذلك وهو يتحمل الأذى، ليعطي لنا درساً تربوياً رائعاً، ولو حصلت واحدة مما ذكرنا آنفاً مع شخص من اليوم، لأقام الدنيا ولم يقعدا، ولكنه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الذي يعطينا أروع صور التعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

ومن المواقف الإنسانية والعقدية ما حصل مع أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ إذ قال: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَّةِ، فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنَتْهُ بِرُمَحِي حَتَّى قَتَلَتْهُ، فَلَمَّا قَدَمْنَا بَلَّغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ))^(١٩). فهنا تتجلى الإنسانية في أروع صورها. فقد عكس صورة رائعة عن الإسلام، فبمجرد أن ينطق الكافر بكلمة التوحيد، وإن قضى الشرط الأكبر من حياته محارباً للإسلام، إلّا أن رسول الله يأمر بالعفو عنه.

ونختتم كلامنا في هذا المبحث بما أثير عن الرسول (صلى الله عليه وآله) من الدعاء لقومه، مع ما عاناه منهم من أذى، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حلیم حکيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: ((كأنني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"))^(٢٠). لقد أعطى الله الرسول (صلى الله عليه وآله) القدرة والمكنة للقصاص

مَنْ آذَاهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَمْزًا لِلْعَفْوِ وَالتَّسَامُحِ، حَتَّى إِنَّهُ يَدْعُو لِأَعْدَائِهِ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

المبحث الثاني: التعايش السلمي في تراث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)
سنتناول في هذا المبحث مواقف من التعايش السلمي الماثورة عن أهل البيت (عليهم السلام)، فهم تربية القرآن وعدله، ولا يمكن فهم النص القرآني من دون الرجوع إلى تراثهم (عليهم السلام)؛ استناداً إلى حديث الثقلين، المأثور عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ إذ قال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَترتي أَهْلَ بَيْتِي فَمَسْكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي وَعَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))^(٢١). فقد أنتج هذا الاقتران مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فكانوا نبزاً للعلم والخلق الرفيع، من هنا ظهرت لنا أمثلة ناصعة للتعايش السلمي في موروثهم الأخلاقي والفكري، ومنها:

قصة إثارة أهل البيت (عليهم السلام) في شهر رمضان وقد حكاها القرآن الكريم، وتعدُّ مصداقاً حقيقياً للمواساة، قال تعالى: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} ﴿سورة الإنسان / الآيتان: ٨-٩﴾، قال الزمخشري: "وعن ابن عباس رضى الله عنه: أن الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ مما بهما: أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض على من شمعون الخيرى اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما

أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها. فسأه ذلك، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة^(٢٢). لقد حصل اتفاق الرواة من الفريقين الخاصة والعامة على أن هذه الآية، بل السورة كلها نزلت في أمير المؤمنين وزوجته فاطمة وابنيه (عليهم السلام)^(٢٣).

تجلى في هذه الآيات معنى التعايش السلمي؛ إذ إنَّ الأسير كان من أسرى المشركين، وكان كافراً. وروى المفسرون: "أنَّ الأسير كان كافراً- لأنَّ المسلم ما كان يستأسر في عهده - فطاف على بيت فاطمة رضى الله عنها، وقال: تأسرونا ولا تطعمونا! «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً» إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، لَا نُرِيدُ مِنْ قِبَلِكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا. ويقال: إنهم لم يذكروا هذا بألستهم، ولكن كان ذلك بضمائيرهم"^(٢٤). فهذه هي أخلاق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فليس بغريب عن أصحاب الكساء، الذين خصَّهم الله بهذه المكانة العالية عند رسوله الكريم، وعند ملائكته. فيصلُ الأمر إلى إطعام مسكين، ویتيم، ويسير بمدة ثلاثة أيام، وهم صيام. فيالها من فضيلة لا تُدانيها فضيلة.

ومن المواقف الإنسانية التي ارتبطت بحكم شرعيٍّ ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) من عدم جواز الطعن والتجريح بالمخالفين؛ إذ سمع ذلك من بعض أصحابه في إحدى المعارك، قال: ((وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين: إنِّي أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقتلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))^(٢٥). وهذا القول مبنيٌّ على حكم شرعيٍّ؛ إذ حرمت الشريعة الإسلامية استعمال الغيبة والنميمة وقول الزور والبهتان ضد المخالف لك في المنهج أو الرأي السياسي أو الرأي العلمي والفقهي، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا

تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿سورة الحجرات / ١١ - ١٢﴾.

ومن درر أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر النخعي، الذي عدّ من وثائق الأمم المتحدة لما فيه من القيم الإنسانية النبيلة، ما قاله إلى أحد ولاته: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق...))^(٢٦). فالإمام (عليه السلام) ينهى الوالي إلى ضرورة إكرام الرعية وإعطائهم حقوقهم بغض النظر عن انتمائهم الديني، والعقائدي.

ومما يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"))^(٢٧). فالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يحث على الرفق في التعامل وتجنب العنف الذي هو صورة من صور التطرف، والرفق من صور التعايش السلمي، بغض النظر عمّن هو المعني في الحديث، فالحديث يؤخذ على إطلاقه.

ومن المواقف الماثورة عن الإمام الحسن (عليه السلام) ما نقله الرواة من "أن جاره اليهودي انخرق جداره إلى منزل الحسن، فصارت النجاسة تنزل إلى داره واليهودي لا يعلم بذلك، فدخلت زوجته يوما، فرأت النجاسة قد اجتمعت في دار الحسن، فأخبرت زوجها بذلك، فجاء اليهودي إليه معذرا، فقال: أمرني جدي صلى الله عليه وآله بإكرام الجار، فأسلم اليهودي"^(٢٨). إن هذه الرواية تبين لنا أمرين:

١- أن الإمام الحسن (عليه السلام) يسكن إلى جوار يهودي، وهذا يدل على التعايش السلمي بين أفراد المجتمع من دون أي مشاكل أو خلافات.

٢- كرم أخلاق الإمام الحسن (عليه السلام)؛ إذ تحمل أذى جاره اليهودي مدة من الزمن حتى دخلت زوجة اليهودي إلى داره (عليه السلام).

لقد اعتمد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مبدأ استيعاب الآخرين ومناقشة أفكارهم؛ إذ كان الإمام الباقر (عليه السلام) يناقش أرباب الأديان والمذاهب الأخرى. وقد جرت

بينه وبينهم عدد من المناظرات والحوارات. وفي هذا المجال أوردت المصادر حواراه (عليه السلام) مع أحد علماء النصارى في الشام في مسائل مختلفة انتهت بقول النصراني: "يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى، مَا رَأَيْتُ بَعِيْنِي قَطُّ أَعْلَمَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ حَرْفٍ وَهَذَا بِالشَّامِ، رُدُّونِي. قَالَ: فَرَدُّوهُ إِلَى كَهْفِهِ، وَرَجَعَ النَّصَارَى مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام)".^(٢٩) فقد أسلم النصراني ومعه أصحابه على يد الإمام (عليه السلام). وهذا لم يأت من فراغ، بل استعمل سياسة الحوار والإقناع.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، ما نقله الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) في شأن صلاح العيش: "وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بخذافيرها في كلمتين، فقال: «صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر، ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل». فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير، ولا حظاً في الصلاح لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه"^(٣٠). ففي حديثه (عليه السلام) إشارة إلى التعايش السلمي الصالح، المرتكز على الفطنة.

إن الحديث المتقدم روي عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عند مرضه، كما نقل الخزاز القمي (ق ٤)، قال: "مرض علي بن الحسين (عليه السلام) مرضه الذي توفي فيه، فجمع أولاده محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيد والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد وكناه بالباقر وجعل أمرهم إليه، وكان فيما وعظه في وصيته أن قال: يا بني إن العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والعقل ترجمان العلم، واعلم أن العلم أتقى واللسان أكثر هذرا، واعلم يا بني أن صلاح شأن الدنيا بخذافيرها في كلمتين إصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل؛ لأن الإنسان لا يتغافل عن شيء قد عرفه ففطن فيه"^(٣١).

ويتجلى خلق الإمام الباقر (عليه السلام) في محاولة نصراني استفزازه، ممّا انعكس على النصراني، فأعلن إسلامه؛ روى ابن شهر آشوب: "وقال له نصراني: أنت بقر؟ قال: أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذاك حرفتها، قال: أنت ابن السود الزنجية البذية، قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك. قال:

فأسلم النصراني" (٣٢). فأَيَّ خلقٍ هذا الذي جعل النصراني يتخلَّى عن عقيدته، ويُعلن إسلامه؟! إنَّ الإمام (عليه السلام) كان من دعاة الإسلام عن طريق التعايش السلمي مع أفراد المجتمع العربي آنذاك.

ومأً روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قوله: ((يا إسحاق، صانع المنافق بلسانك، وأخلص ودك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته)) (٣٣). هذا الحديث يُعدُّ مثلاً مهماً في التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد. فالإمام (عليه السلام) يأمر بحسن مجالسة اليهودي إن جالس أحدهم.

خلاصة البحث

بعد رحلة مع مواقف من التعايش السلمي في تراث أهل البيت (عليهم السلام) يمكننا إجمال أهم ما جاء في البحث على النحو الآتي:

- نظر الإسلام باحترام إلى تعاليم الدين السابقة له، ودعا إلى التعايش الديني مع جميع أهل الأديان، وقدَّس الرسل والأنبياء جميعهم، وأوجب على أتباعه الاعتراف بهم والإيمان بنبوتهم.

- إنَّ المراد من (كلمة سواء) هي الكلمة العادلة التي لا ميلَ فيها لطرف دون آخر، وهي كلمة الحق التي جاء بها جميع الأنبياء، وهي توحيد الله تعالى وترك عبادة غيره. - قد خصص القرآن الكريم مساحة واسعة في التحاور مع المخالفين والمنكرين لرسالته ووجوده حيث يتجاذب الله جل شأنه الحديث مع منكريه في حوار هادئ ومقنع لرد الشبهات بعقلانية منقطعة النظير.

- ترجم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ما جاء في القرآن من شواهد تدعو إلى التعايش السلمي إلى سلوكٍ عملي، عن طريق التعامل مع أفراد المجتمع العربي آنذاك، على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم.

- من أهم مظاهر التعايش السلمي في سلوك الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو حسن تعامله مع اليهود، الذين كانوا من الفئات الكبيرة في مجتمع المدينة، وهم أكثر العناصر غير الإسلامية؛ إذ نجد أن الرسول (صلى الله عليه وآله) منذ بدء هجرته إلى

المدينة عمل على جذب اليهود إلى دين الإسلام. فالتحرك السلمي له أدى إلى جذبهم، ولا سيما قبيلتا الأوس والخزرج، اللتان كانتا من أهم قبائل المدينة.

- إن قصة المؤاخاة أنصفت أمير المؤمنين (عليه السلام)، فجعلته صنو الرسول وأخاه، فأصبحت من فضائله الكبرى باعتراف أعدائه قبل مواليه.

- دعا الرسول (صلى الله عليه وآله) لقومه، مع ما عاناه منهم من أذى، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حلیم حكيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم.

- ظهرت لنا أمثلة ناصعة للتعايش السلمي في موروث أهل البيت (عليهم السلام) الأخلاقي والفكري، فهم تربية القرآن وعدله، ولا يمكن فهم النص القرآني من دون الرجوع إلى تراثهم (عليهم السلام)؛ استناداً إلى حديث الثقلين، المأثور عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

- من المواقف الإنسانية التي ارتبطت بحكم شرعي ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) من عدم جواز الطعن والتجريح بالمخالفين؛ إذ حرمت الشريعة الإسلامية استعمال الغيبة والنميمة وقول الزور والبهتان ضد المخالف لك في المنهج أو الرأي السياسي أو الرأي العلمي والفقهية.

- إن الإمام علي (عليه السلام) ينبه الوالي إلى ضرورة إكرام الرعية وإعطائهم حقوقهم بغض النظر عن انتمائهم الديني، والعقائدي.

- إن الإمام الحسن (عليه السلام) سكن إلى جوار يهودي، وهذا يدل على التعايش السلمي بين أفراد المجتمع من دون أي مشاكل أو خلافات. وقد تحمل أذى جاره اليهودي مدة من الزمن حتى دخلت زوجة اليهودي إلى داره (عليه السلام).

- قد اعتمد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مبدأ استيعاب الآخرين ومناقشة أفكارهم؛ إذ كان الإمام الباقر (عليه السلام) يناقش أرباب الأديان والمذاهب الأخرى. وقد جرت بينه وبينهم عدد من المناظرات والحوارات.

الملخص

لقد وضع القرآن الكريم أسس التعايش السلمي في عهد الرسالة المحمدية، ولا سيما في ظل وجود معتقدات دينية تختلف عن الإسلام من كل الجوانب. وكان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) - في دعوته وحتى سلوكه - ترجماناً حقيقياً للرؤية القرآنية في التعايش السلمي، وكل ما يُقال عنه (صلى الله عليه وآله) ينطبق على أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وقد تحلّل مسيرتهم (صلوات الله عليهم أجمعين) مواقف متعددة تجلّى فيها التعايش السلمي. من هنا جاء البحث لتسليط الضوء على هذا السلوك الأخلاقي المستمد من القرآن الكريم، لذا جاء البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخلاصة. تناولنا في التمهيد كون الإسلام هو أساس التعايش السلمي، عن طريق الاستعانة بالشواهد القرآنية المعززة لثقافة التعايش السلمي. وأما المبحثان، فقد تناولت في المبحث الأول التعايش السلمي في السنة النبوية. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: التعايش السلمي في تراث أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وختمت البحث بخلاصة بينت فيها أهم ما جاء في البحث.

الهوامش:

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط ١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: ٦ / ١٧. رقم الحديث: (٦٤٥١).

(٢) الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط ١ / ١٤٠٥ - ١٩٨٥م: ١ / ١٣٥.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢ / ١٤١٤ - ١٩٩٣م: ٢ / ٢٤٤. رقم الحديث: (٤٩١).

- (٤) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، (د.ت): ١ / ٧٤. رقم الحديث: (٥٤).
- (٥) تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت): ٦ / ٢٥٦.
- (٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ط)، (د.ت): ١٦ / ١٥٣٦.
- (٧) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م: ٣ / ٨٨.
- (٨) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٦ / ٤٨٣.
- (٩) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١ / ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ٧ / ٤٨٢٩.
- (١٠) ينظر الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١٥ هـ: ١ / ١٦٠.
- (١١) المصدر نفسه: ٢ / ٣٢١.
- (١٢) ينظر صحيح ابن حبان: ١١ / ٢٤٢. رقم الحديث: (٤٣٨٣).
- (١٣) صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١ / ١٤٢٢ هـ: ٣ / ١٢٠. رقم الحديث: (٢٤١١).
- (١٤) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان / ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م: ٢ / ٣٢٤.

- (١٥) صحيح البخاري: ٥ / ١٧٠. رقم الحديث: (٤٣٧٢).
- (١٦) صحيح مسلم: ٤ / ١٨٠٦. رقم الحديث: (٢٣١٣).
- (١٧) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢، (د.ت): ١٨ / ١٣٧.
- (١٨) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ١٤ / ٣٨٥.
- (١٩) صحيح البخاري: ٥ / ١٤٤. رقم الحديث: (٤٢٦٩).
- (٢٠) المصدر نفسه: ٤ / ١٧٥. رقم الحديث: (٣٤٧٧).
- (٢١) سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي، نشر الهادي، قم - إيران، ط ١ / ١٤١٥ هـ: ٢ / ٦٤٧.
- (٢٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣ / ١٤٠٧ هـ: ٤ / ٦٧٠.
- (٢٣) ينظر الفصول المختارة، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد علي مير شريف، دار المفيد، بيروت - لبنان، ط ٢ / ١٩٩٣ م: ١٤٠.
- (٢٤) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣: (د.ت): ٣ / ٦٦٣.
- (٢٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١ / ١٩٥٩ م: ١١ / ٢١.
- (٢٦) شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٢.
- (٢٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١ / ٥٥٢. رقم الحديث: (٩٠٠).
- (٢٨) شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩هـ)، مع تعليقات بقلم: آية الله السيد شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم - إيران، (د.ت): ١١ / ١٣٨.
- (٢٩) الكافي، أبو جعفر، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، اهتمام: محمد حسين الدرايتي، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، قم - إيران / ١٤٢٩ هـ: ١٥ / ٢٩٨.

(٣٠) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت / ١٤٢٣هـ: ٨٨ / ١

(٣١) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، أبو القاسم، علي بن محمد بن علي الخزاز القمي (ق ٤)، حققه: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى الخوئي، انتشارات بيدار، مطبعة الخيام - قم / ١٤٠١هـ: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣٢) مناقب آل أبي طالب، الحافظ ابن شهر آشوب، أبو عبد الله، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف / ١٩٥٦م: ٣ / ٣٣٧.

(٣٣) الأمالي، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم - إيران، ط ١ / ١٤١٧هـ: ٧٢٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤١٥هـ.

٢. الأمالي، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم - إيران، ط ١ / ١٤١٧هـ.

٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت / ١٤٢٣هـ.

٥. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت)

٦. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٧. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩. الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط ١ / ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.
١٠. سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، نشر الهادي، قم - إيران، ط ١ / ١٤١٥هـ.
١١. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان / ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
١٢. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩هـ)، مع تعليقات بقلم: آية الله السيد شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم - إيران، (د.ت).
١٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١ / ١٩٥٩ م.
١٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢ / ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.

١٥. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١ / ١٤٢٢هـ.

١٦. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، (د.ت).
١٧. الفصول المختارة، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد علي مير شريف، دار المفيد، بيروت - لبنان، ط ٢ / ١٩٩٣م.

١٨. الكافي، أبو جعفر، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، اهتمام: محمد حسين الدرايتي، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، قم - إيران / ١٤٢٩هـ.

١٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣ / ١٤٠٧هـ.

٢٠. كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، أبو القاسم، علي بن محمد بن علي الخزاز القمي (ق ٤)، حققه: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى الخوئي، انتشارات بيدار، مطبعة الخيام - قم / ١٤٠١هـ.

٢١. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣. (د.ت).

٢٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط ١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢، (د.ت).

٢٤. مناقب آل أبي طالب، الحافظ ابن شهر آشوب، أبو عبد الله، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف / ١٩٥٦م.

٢٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف: أ.د الشاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١ / ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

دور المرجعية كقوة ناعمة في التعايش السلمي بين الديانات

م.د. وفاء كاظم جبار

استشارية نفسية في مركز الارشاد الاسري التابع للعتبة الحسينية المقدسة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين .

قد يختلف المجتمع العراقي عن المجتمعات الاخرى بأنه يتكون من طيف من التنوع القومي والديني والمذهبي ، في التنوع القومي نجد الكردي والعربي والتركمانى ، وفي التنوع الديني نجد المسلم والمسيحي وبعض الديانات الاخرى الاقلية ، كذلك هم ابناء العراق وهم جميعا من ساهموا في بناء العراق ، لذلك لابد ان يعيش ابنائه ويتعايشوا فيما بينهم بانسجام وامن وسلام (التعايش السلمي) ذلك انطلاقا من النظرة الانسانية والوطنية التي مفادها لايمكن لاي جماعة ان تنكر او تقصي جماعة اخرى في نفس الوطن مهما كانت هذه الجماعة صغيرة ، ولايمكن لجماعة كبيرة ان تُذوّب الاقليات الصغيرة وتصهرها في دينها او مذهبها وان كانتا تحملان نفس القومية لربما بينهما اختلافا في المعتقد بغض النظر عن القومية ، فلكل فرد حق في العيش بسلام في وطنه .

وعليه فان التعايش السلمي ضرورة مجتمعية اذ يؤدي الى الوحدة الوطنية واللحمة التي هي حاجة اجتماعية في المجتمع ، كذلك يؤدي الى ذوبان العنصرية.

الا ان هناك قوى خارجية مثل سياسة امريكا الحالية واذنابها وكأنها لا تريد للمجتمع العراقي ان يعيش بسلام فوجهت اليه برمجيات وقنوات وادوات ناعمة خبيثة وبرمجيات متنوعة اخذت تنتشر بين المراهقين والشباب من ابناء المجتمع الواحد. جاءت في تأجيج الصراع بين الديانات والتي غرضها تضرب اللحمة الوطنية بين افراد المجتمع وتؤدي الى انهك المجتمع وصولا الى استحالة التعايش السلمي فيه

وباتت المعركة الملحة اليوم معركة الادراك و الوعي منها كيفية التعامل مع القنوات الفضائية المسيسة وتباينها ، لذلك كان لازما ان تكون هناك جهة معينة او مؤسسة تحتضن وتوجه وترشد الناس وهي المرجعية الدينية الحكيمة .

ولعلنا ندرك ان للمرجعية دور في توجيه الأمة ، بإعتبارها جهة ابوية تربوية توجيهية فاعلة في توعية المجتمع ، كما ان لها دور في التعايش السلمي بين الديانات من خلال تعديل الصراع الفكري بين افراد المجتمع الذي يدين بالولاء للمرجعية الرشيدة كقيادة روحية وتوجيهية في المعاملات الاجتماعية والمواقف الوطنية .

واكدت المرجعية الرشيدة في خطب الجمعة على التعايش المشترك السلمي الذي يثبت حقوق جميع المكونات و يعد الطريق الامثل لنمو العراق وتنميته .

ونجد مرجعيتنا الرشيدة السابقة والحاضرة ، دعت الى التعايش السلمي بل ترجمها في جميع بياناتها بين كل الأطياف ، مستنكرة للقطيعة والضغائن فكانت ((أبا حنونا لجميع الأطراف المختلفة وقائدا روحيا)) كالحخيمة التي تضم المسلمين وجميع ابناء الوطن الواحد بدون استثناء .

وكانما توجههم بقوة ناعمة مراعيئا لهم للحصول على النتائج المرغوب فيها عن طريق الجاذبية بدلا من الإرغام أو الاكراه ، وهي سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية والإقناع المنطقي والمعرفة الحقة .

ولهذا هدف البحث الحالي الى ابراز دور التوجيهات المرجعية كقوة ناعمة في ترسيخ مفهوم التعايش السلمي بين فئات الشعب العراقي سواء كان بتصريح مباشر عبر الامناء العامين للمرجعية من خلال خطب الجمعة، او من خلال المبلغين . او من خلال احد قنوات التواصل الى الناس وهو المنبر الحسيني، وسيقتصر البحث الحالي على خطب الجمعة

ولقد انقسم البحث على تمهيد وثلاث مباحث، وكان التمهيد تعريفاً بالقوة الناعمة بمنظور جديد، وهذا المحور الأول أما الثاني فكان تعريفاً بالتعايش السلمي ، اما المحور الثالث فكان تعريفاً بدور المرجعية كقوة ناعمة في التعايش السلمي .

ثم جاءت الخاتمة التي بينت أبرز النتائج التي وصل إليها البحث مع الكشف عن بعض المقترحات.

وختاماً نقول : ربنا آجعل هذا العمل خطوة في سبيل الوصول إلى طريق مَنْ يصدق عليهم ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

مشكلة البحث

إذا رجعنا الى اصل الاديان نجد اغلبها موحدة لله سبحانه ولذلك فهي ينبغي ان تعيش بسلام ، لكن بمرور الزمن وبانحراف نفس الانسان السلبي وطمعه اتخذت مسارا اخر غير الذي وجدت اليه اصلا .

وبما ان المجتمع العراقي يعاني ربما بسبب (الانفتاح عبر قنوات التواصل الالكتروني)، من بعض الافكار الدخيلة عليه ، وهذا الموضوع ربما يؤدي الى تكوين مشكلات بسبب اختلاف الثقافات والاعتقادات الدينية المتباينة والتربية الاجتماعية ، ذلك لان هذه المتغيرات تؤثر بشكل كبير على التعايش السلمي .

اضافة الى تأجيج بعض القوى لمواضيع صراعية مثل التباين الفكري في المعرفة بين الديانات والذي ادى الى اشد انواع اثاره الفتن ، والقتال بين الجماعات فكم من الابرياء ذهبوا ضحية هذه الاختلافات الفكرية من البشر قديما وحديثا .

ولعلنا ندرك إنّ أخطر مهمة في بناء المجتمع هي بناء الانسان؛ وحتى يصل الى التعايش السلمي مع اخيه الانسان بغض النظر عن الدين والمعتقد ينبغي ان يعتمد على الانسانية كما قال الامام علي (ع) (الناس صنفان اما اخ لك في الدين او نظيرا لك في الخلق) ، كذلك النظر في الخلق يتطلب بذل الجهود والسير وفق خطوات علمية مدروسة رسمها لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك توفير آليات ووسائل جدية قوية ومؤثرة لتفاعل الانسان والمجتمع الذي يعيش فيه .

ومن هنا يتوج البحث في الالتزام بقضية كبرى تعطي معنى متساميا وملئيا بالوجود الانساني باعتبارها قضية تربوية مجتمعية الا وهي التعايش السلمي بين الديانات، لذلك ينبغي أن يصار الى عمل جاد من اجل التعايش السلمي في المجتمع بغض النظر عن المعتقد الديني .

لذلك لابد من وجود (قوة ناعمة) قوة معرفية فكرية، وجدانية نفسية تتضمن ارتياح روحي لتحريك الناس وتوجيههم الى الخير والفضيلة وصولا الى التعايش السلمي، وهذه القوة الناعمة هي غير القوة الناعمة الخبيثة التي تقصدها سياسة امريكا الحالية لتفكيك الشعوب، وانما هذه القوة ارشادات المرجعية الحكيمة.

وعندما نعدد الادوار الوظيفية للمرجعية الدينية كقوة ناعمة نجدها كثيرة بل هي تدخل في وضع اساس التربية الاجتماعية لكل مجتمع مسلم، فتمثل مدرسة تربية اخلاقية ثقافية تساعد على تعايش الامة بسلام واطمئنان نفسي.

لذلك يتساءل البحث ماهو التعايش السلمي؟

ما هي القوة الناعمة؟

وهل لتوجيهات المرجعية الرشيدة كقوة ناعمة دور في توعية الناس في اساليب التعايش

السلمي بين الديانات؟

الاهمية

ولتقوية اواصر التعايش قال سبحانه { اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا

الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم }^(١)

عندما نناقش التعايش السلمي في المجتمع فهو يمثل محور مهم في المناقشات المجتمعية، فالتعايش السلمي هو العيش المتبادل مع الاخرين بمختلف معتقداتهم واديانهم.

ولأهمية التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من الاديان الاخرى ضرورة مجتمعية

كونه يؤدي الى بناء مجتمعا متماسكا امنا

وتحقيق التعايش السلمي في مجتمع ذو تعددية مذهبية وقومية ودينية امرا ليس باليسير

ويتوقف الى حد كبير على من يتولى ادارة شؤون المجتمع لاسيما من يمثلون الامان

الروحي للشعب (القوة الناعمة).^(٢)

ولأهمية دور المرجعية الرشيدة في التربية الانسانية والتعايش السلمي كان لزاما على

الباحثين ان يتطرقوا الى اظهار دورها في التوجيه والارشاد كقوة ناعمة من خلال

وسائلها التعددية للوصول الى اغلب الشرائح الاجتماعية من جهة، ومن جهة اخرى

تعددت وسائلها الاتصالية الاجتماعية التوعوية من خلال خطب الجمعة التي تمثل احد اهم قنواتها الارشادية التواصلية مع الآخرين ، والتي يمكن في بعض الاحيان الاعتماد عليها في معالجة وتصحيح وتوجيه الفكر الشبابي بالاتجاه الايجابي ، لاسيما كون خطب الجمعة تمثل دروس ثقافية توعوية مستمدة من ، سيرة للنبي (ص) والائمة الاطهار (ع) والمرجعية الدينية لما تتضمن من حكمة وموعظة وتفسير ، ومعالجة المشكلات العامة ، وارشاد وتوجيه عام وعلوم أخرى ، وكلنا يعرف مدى إتصال هذه العلوم بحياة الأمة ودورها المهم في صناعة الانسان و بناء كيان المجتمع الإسلامي.(٣)

والقوة الناعمة ليست ضعفاً، بل على العكس من ذلك، فإن الفشل في استخدام القوة الناعمة بشكل فعال هو السبب وراء ضعف بعض الدول الكبرى مثل أميركا. ويكتسب مفهوم القوة الناعمة اهميته من تسليطه الضوء على اهمية الافكار والابعاد القيمة غير المادية فيه.

فالقوة الناعمة ستكتسب المزيد من الأهمية لكونها ستمنع الإرهابيين من تجنيد المزيد من الأنصار الجدد (٤)

وأكد البحث على اهمية القوة الناعمة وضرورتها كوجه جديد للقوة في عصر العولمة، كذلك تكمن اهمية البحث في كونه مرتبطا بدور المرجعية الرشيدة بالتعايش السلمي لأكرم المخلوقات التي خلقها الله سبحانه (الانسان).

وتكمن اهمية القوة الناعمة في موضوعين

الأول: التقنية المبتكرة في أدواتها ، وهي أدوات ووسائل غير عسكرية مثل النصح ، و الارشاد التربوي والتوجيه ، والخطب ، والمحاضرات عن طريق المنابر الثاني: الوسائل النوعية في كيفية التعامل مع الآخرين من اطياف الشعب العراقي بدون تمييز.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى:

١. التعرف على القوة الناعمة من حيث المفهوم والأدوات والوسائل.

٢. التعرف على التعايش السلمي.

٣. التعرف على ادوار المرجعية الرشيدة

تعالج الدراسة الفرضية التالية:

إن الفرضية التي تسعى الدراسة إلى إثباتها هي التعرف الى دور المرجعية كقوة ناعمة في تحقيق التعايش السلمي بين الديانات في المجتمع العراقي.

منهج الدراسة:

أن الظاهرة تعتمد في تفسيرها على أكثر من منهج وعلى أكثر من طريقة، نظرا لما تنطوي عليه من أبعاد ومتغيرات.

المنهج الوصفي التحليلي: يهدف هذا المنهج إلى تحقيق الفهم الدقيق والإحاطة بالأبعاد الواقعية للظواهر والموضوعات للانتقال من مستوى الفهم البسيط إلى المستوى المركب، وذلك من خلال محاولة وصف وتحليل مفهوم القوة الناعمة والأسس والمرتكزات التي يمكن ان تقوم عليها، والتي تختلف معنا جذريا عن مرتكزات القوة الناعمة الامريكية منهج التحليل النظامي: أبرز من كتب في هذا المنهج هو (ديفيد أستن) و(مورتن

كابلان) إذ يعتمد هذا المنهج على أساس أن مدخلات معينة عند تفاعلها مع وسط نظامي تترتب عليها نتائج (مخرجات)، وذلك من خلال تحليل المدخلات (البيانات) والتي تمثل العوامل والمتغيرات الداخلية والخارجية المؤثرة في التعايش السلمي في العراق أسئلة الدراسة:

١. ما القوة الناعمة للمرجعية الرشيدة وبماذا تتميز

٢. كيف وظفت المرجعية الحكيمة عناصر قوتها الناعمة من اجل التعايش السلمي بين

الديانات في العراق

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: الحقب الزمنية المتعاقبة لدور المرجعية في العراق

الحدود المكانية: العراق

تعريف المصطلحات

١. دور : ما يتوقعه المجتمع من فرد او مؤسسة يشغل مركزا معيناً في مجموعة ما^(٥)
٢. المرجعية: المرجع لغة: رجع بمعنى عاد، المرجعية الدينية اصطلاحاً : هي الجهة المتولية لشؤون الامة او الطائفة بأجمعها ويديرها الادارة لاوزاع الطائفة الدينية والاجتماعية ، وهي اعلى كيان مؤسس في الافتاء والقضاء والقيادة لدى المجتمع الشيعي في عصر غيبة الامام المهدي عليه السلام .^(٦)
٣. التعايش السلمي: التعايش لغة: عاش عيشة ومعاشاً، صار ذا حياة فهو عايش فيقال اعاشه عيشة راضية ، وتعاشوا اي عاشوا على اللفة والمودة
- التعايش اصطلاحاً: هو احساس كل فرد في المجتمع مهما اختلفت الديانات بأنه يعيش ويتعايش مع افراد المجتمع من الديانات الاخرى في وطن واحد .
- السلم لغة: الصلح. السلمي اصطلاحاً: هو الخلاص من كل بلاء وشر ومن كل مكروه ، والسلمي يعني السلام ومنه قيل للجنة دار السلام ، وتسالموا اي تصالحوا ، وأن الأصل في الإسلام السلام وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم.^(٧)
- القوة الناعمة : القوة تدل على الشدة ، والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى، وهي جمع قوة من قوى ورجل شديد القوى شديد أسر الخلق.^(٨)
- اصطلاحاً : القدرة على التأثير في الآخرين من خلال الادراك لتحقيق الأهداف المطلوبة، وتغيير سلوك الآخرين عند الضرورة، بواسطة الجذب والإقناع وليس الإكراه^(٩).

المبحث الاول: القوة الناعمة

مقدمة

ماهي القوة الناعمة؟

القوة تشبه الطقس يتحدث عنه كل شخص لكن لا يفهمه الا المختصين ، وايضا تشبه الحب من حيث ان تجربتها اسهل من تحديدها او قياسها

انتج جوزيف ناي، عميد كلية العلوم في جامعة «هارفرد» في عام ١٩٩٠، مصطلح «القوة الناعمة» (Soft Power) عندما خسرت امريكا في اكتساب حب الآخرين لها . هدفه وضع استراتيجية جديدة لامريكا اقوى من القوة العسكرية ، يمكن أن تُمثل خريطة طريق في عالم مُعقد ومتغير .

ووفقا لـ ناي فالقوة الناعمة هي جعل الآخرين يريدون ماتريده أنت ، من خلال المصادر المعنوية مثل الجاذبية الثقافية والقيم السياسية ^(١٠)

وعرفها في عام ٢٠٠٣ بانها قدرة مؤسسة معينة على التأثير في المجتمع وتوجيه خياراته العامة، وذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي ومنظومة قيمها بدل الاعتماد على الإكراه أو التهديد ^(١١)

وعرفها في ٢٠٠٧ بانها القدرة على التأثير في الآخر وتوجيه افكاره العامة وكأما انت تقرا افكاره ، وذلك استنادا إلى جاذبية معينة ، بدل الاعتماد على الاكراه والتهديد نستمد من التعريفات السابقة لـ ناي بان القوة الناعمة لها اوجه متعددة فهي لا تقتصر على معنى محدد او دولة محددة او مؤسسة محددة كما انها تشمل الافراد المتميزين ، الا ان جوهرها يشير الى تغيير سلوك المقابل بدون اكراه او تهديد او ضغوط و القوة لها القدرة على تغيير الاشياء للحصول على النتائج التي يريدها الفرد المعني ، كما لها التأثير في اسلوب الآخرين لجعل الاشياء تتغير بسهولة .

اذن هي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين دون اوامر للحصول على اهداف معينة وتؤدي القوة الناعمة الى القدرة على جذب الآخرين واستقطابهم برضى منهم على ذلك، ويمكن ان تجعل الآخرين يحترمون قيمك ومثلك العليا ويفعلون ماتريده كمشاركة الفرد في القضايا الإنسانية الجذابة، إضافة إلى تقدمه العلمي الكبير.

ثم تحدث ناي عن المقولة الشائعة ليكافيلي والموجهة للأمرء، وهي (أن يكون المرء مخوفاً أهم من كونه محبوباً) وعدها ايضا قوة ناعمة.

وربما هذا خطأ في ادراك القوة الناعمة (لناي) بمضمونها الواسع ، لانه لم يدخل الاسلام ، لان الله سبحانه اشار ضمناً الى القوة الناعمة لرسوله الكريم (ص) {ولا تكن فظاً غليظ القلب فينفضوا من حولك } .

والقوة الناعمة ليست حصراً على أمريكا فقط ، وانما هناك دول اخرى لديها قوة ناعمة تختلف مفهوماً ومعناً ومضموناً عن سياسة (قوة امريكا الناعمة) .

اليابان التي لها قوة ناعمة كبيرة بسبب كونها صاحبة أكثر براءات اختراع في العالم ، ورائدة بيع الكتب وصائدات التقنية العليا ومستضيفه المواقع الإلكترونية^(١٢) .

وعززت الصين القوة الناعمة ، واستخدمتها روسيا لتحقيق اهداف صعبة ، في حين حازت ألمانيا على لقب القوة الناعمة .^(١٣)

والقوة هي شيء نسبي ، يمكن لها ان تضعف او تبقى قوة مقارنة بقوة اخرى ، كما يمكن لها ان تتدرج ، وهذا يعني أن بعض الدول الضعيفة نسبياً يمكن أن يكون لها دور قوي غير متوقع في مجال معين ، بحيث يمكنها التأثير على الآخرين في ذلك المجال ، كذلك القوة الناعمة لفيتنام فانها قوة ناعمة لشعبها مقارنة مع القوة العسكرية الامريكية بحيث ادت الى تراجع امريكا مع أنها تملك أسلحة دمار شامل^(١٤) .

ولم تعد القوة الناعمة حكراً على الدول فقط بل هناك اشخاص او مؤسسات يمتلكون القوة ويمارسونها ، على سبيل المثال المنظمات الدولية والاقليمية كالأمم المتحدة والابوك ومنظمة التجارة الدولية وصندوق النقد الدولي^(١٥) ...

ولا تقتصر القوة الناعمة على الدول الكبرى بل تتعدى الى المؤسسات والافراد من القيادات وايضا الى النساء مثلما نجد ان جوزيف س اشار بالشكر الى زوجته مولي هاردينغ نايفوصفها بانه هو مدين لها واعتبرها المرأة ذات القوة الناعمة^(١٦) .

ولا يعتمد مفهوم القوة الناعمة على معيار محدد يكون مشترك مع جميع مستخدميها وثابت بل هي تنطوي في قياسها على المعيار المعتمد لها في نفس الجهة المانحة ، ويمكن ان تظهر نتيجته على جهة اخرى .

ولا تعتمد على عوامل ثابتة ، بل على تفاعل دائم بين عناصر متداخلة في المعنى بسبب تعدد بياناتها المدخلة (قوميات ، طوائف دينية ، قبائل ، منظمات)^(١٧)

تجتذب القوة الناعمة المواطنين الى ائتلافات عابرة للحدود الوطنية والقدرة على كسب تصديق الآخرين ، فالمؤسسات غير الهادفة للربح يمكنها ان تسيطر اكثر من الحكومة^(١٨)

وتعرف القوة الناعمة بأنها القدرة على جعل الآخرين يريدون النتائج التي تريدها بالاعتماد على قوة الجاذبية واقتناع الآخرين وبدون إرغامهم على فعل ذلك

لذلك فأن مفهوم القوة الناعمة يؤكد وجود اشكال أخرى مادية للقوة قوامها الجاذبية المستمرة من القيم والثقافة ومصادقيتها المتولدة عن ممارستها المتسقة مع هذه القيم

وضرورة عدم تجاهل هذا الاشكال

اذا كانت امريكا قد عرفت القوة الناعمة عن طريق جوزيف س ، فنحن المسلمون لدينا قوة ناعمة اكثر فاعلية عرفناها قبل امريكا هي قيمنا الاسلامية الثابتة .

فعندما تبدو قيمنا مشروعة في إدراك الآخرين حينئذ تتسع قوتنا الناعمة مثل قيمة التعايش السلمي وقيمة حقوق الانسان.

العوامل التي تدخل في القوة الناعمة

وتتمثل أدوات القوة الناعمة في القدرة على مد الجسور واقامة الروابط ومنها

١. منظومة القيم الثقافية الاجتماعية الشعبية للمجتمع ومدى جدية الالتزام بها:

تمثل الثقافة الشعبية مجموعة القيم والشعائر التي تعطي معنى في الحياة للمجتمع ولها عدة مظاهر فمنها، الثقافة الاجتماعية ، والادبية التي تركز على ارث ثقافي معين للمجتمع ، وقيم عالمية انسانية وقيم سياسية وقيم يشاركه فيها الآخرون (عبر الدول) مثل قيمة الاصلاح التي اكدها امام الحسين (ع) ، فإنها تزيد من إمكانية الحصول على النتائج المرغوبة بسبب علاقاتها التي تخلقها من الجاذبية كذلك ثقافة الشعائر الحسينية في المجتمع العراقي التي اصبحت ثقافة شعبية عابرة للقارات .^(١٩)

تدعو الثقافة الشعبية الى روح التسامح مع الاختلافات العرقية والدينية، والقدرة على استيعاب الثقافات المختلفة، بمعنى قابليتها على التنوع لكن مضمونها واحد ، فالقوة الناعمة لا تبقى دائما هي نفسها، بل تتبدل حسب الظروف والمعطيات وتطور الفئات. (٢٠)

ويؤدي الالتزام بمنظومة القيم الاجتماعية ومدى جدية الالتزام بها. دورا كبيرا في عملية صنع القرار

كذلك الالتزام بها يؤدي الى تماسك المجتمع واجهزته ، وبالعكس فان زعزعة هذه المنظومة غالبا ما يؤدي الى عدم الاستقرار الأمني في المؤسسات الاجتماعية وان موارد القوة الناعمة هي : القيم الثقافية الجذابة للآخرين، عندما يطبقها بإخلاص وعندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة، معنوية أخلاقية (٢١)

٢. السلطة الشرعية : تتجسد الشرعية من خلال عدالة القضية او الموضوع المطروح ، كمثال اتضح هذا العامل في الحرب على العراق ٢٠٠٤ ، عندما ظهرت كفاءة القوة العسكرية الأمريكية لكنها عجزت عن اكتساب الشرعية امام شرعية الحوزة العلمية في النجف الاشرف (٢٢)

٣. التفوق في القدرات وصدق الحديث (المصادقية) : الغاية هي ارشاد وتوجيه اعتقادات الآخرين وتغيير سلوكهم بالاتجاه الايجابي. (٢٣)

٤. الجذب اللين والاقناع (الجاذبية للفاعل):

ان ممارسة الفاعل للقوة عادةً تقع على متصل بين أشكال التعاون الطوعي الأفعال ممارسة قوة ناعمة مسبقاً يمكن القول بأن الاقناع لا يستخدم الاكراه بل الجاذبية وتستطيع مؤسسات احياناً ان تحصل على النتائج التي تريدها دون تهديدات او رشى -أي القدرة على تشكيل مايريده الآخرون تركز على

جاذبية ثقافة المرء بطريقة تجعل الآخرين يعجزون عن التعبير عن بعض التفضيلات لأنها تبدو بعيدة عن الواقع وتندرج انماط السلوك بين التعاون الطوعي الى وضع جدول

اعمال الى الجاذبية المحصنة التي تتفرق الصفوف بمواجهتها ويذل القائد جهوداً لإقناع الشعب بوقوعها ولا تتصف بالعدوانية ولا تستفز الآخر. (٢٤)

٣. سياسة القيادة الحكيمة: من السهل ان تكون قائد لكن من الصعب ان تستمر في إدارة القيادة بالأوامر وحدها، بل تحتاج إلى جعل الآخرين يعتقدون بقضيتك ويعتقدون قيمك وأهدافك ، وهذا أكثر من مجرد الإقناع أو القدرة على استمالة الناس بالحجة، ولو إن ذلك جزء منها (٢٥)

القيادة الحكيمة : وهي مستمدة من (قوة الخبرة) خبرات الفاعل ونجاحاته في مجال معين سواء نظرياً أم تطبيقياً بما يجعله قادراً على توجيه الآخرين في هذا المجال بناءً على الثقة دون الحاجة للإقناع ، (قوة المرجعية) حيث توجيه الآخرين اعتماداً على الثقة والارتباط بالفاعل واعتباره مثلاً أعلى للاقتداء نتيجة سمات شخصية معينة وعلم ومعرفة وكاريزما خاصة اضافة الى امتلاكه خبرات عامة (٢٦)

وترتبط بنمط علاقة الفاعل بالآخرين بما يولد الثقة والتعاطف والمصادقية والارتباط ، وتغليب التوجه الايجابي / التعاوني لدى التعامل مع الآخرين بما يشير نزعات الامتنان والتعاطف والمعاملة بالمثل لديهم ، والاعتقاد بتمتع الفاعل بسمات إيثارية .

وتستند القيادة على الكفاءة والقدرة Brilliance/Competence : وهي خاصية تتصل بكيفية أداء الفاعل مشاعر الاحترام والنزوع نحو اتباع الفاعله ومقلديه ؛ من قبل الآخرين وهذا يعتمد على القيم والمثل والمعايير لدى الشخص أو العدالة الاجتماعية ومدى تمتع المؤسسة بالشرعية والتفوق الاخلاقي القيمي (٢٧)

ذلك يتطلب قيادة بارعة اذا كان القائد يمثل قيما يريد الآخرين اتباعها فستكون القيادة بسهولة ويمتلك قوة ناعمة اكثر من مجرد الإقناع بل ان الإقناع جزء منها

٦. المعرفة العلمية: المعرفة العلمية يعرف توفلر المعرفة بانها المعلومات والعلم والتقنية جنباً إلى جنب مع أنظمة وعمليات الاتصال والتواصل وصولاً الى النواتج بحيث تعطي هذه المعرفة للمقابل خارطة ذهنية في توجيهات سلوكية لاتجاه معين

بحيث تعطي فهما وتحليلا للمقابل في الاختيار الصحيح بدون ضغط مادي وانما تعزيز معنوي ، وهذه الخريطة تتطلب رقابة ومتابعة وقوة شرعية سواء كانت هذه الشرعية رسمية ام شعبية مستمدة من اعراف اجتماعية ومسؤولية عامة

٧. الحرية الواعية والارشاد الحكيم :

قد تكون قوة التأثير تحقق للمرء ما يريد دون أن يكون له قوة ملموسة كبيرة على الآخرين، ومن هذا يفهم كيف أن توجيهات وتعليمات بعض القادة الدينين لها قوة كبيرة الجمال الروحي (القوة الناعمة) رغم افتقارهم للقوة العسكرية بمفهومها الصلب. بل إن بعض ممتلكي القوة الصلبة يعجزون -رغم توفر الموارد لهم - عن تحقيق مراداتهم على أرض الواقع لمدة طويلة .

بمعنى أن تمتلك كفرد أو منظمة قوة ناعمة يعني أن تجعل الآخرين يتطلعون إلى ماتقوم به، ويقتنعون به فيتخذون موقفاً إيجابياً من القيم والأفكار الخاصة بك، وبالتالي تتفق رغبتهم مع رغبتك دون أي إلزام، فهي قدرة على التأثير في سلوك الآخرين للقيام بعمل يتفق مع ما تريده. (٢٨)

(القوة الناعمة) لها ثلاثة أبعاد، وهي:

البعد الأول: ويقصد به الإجابة على التساؤلات، وتوضيح القرارات محليا ودولياً، بالإضافة إلى الجاهزية للتعامل مع الأزمات حين حدوثها، والرد الفوري على الاتهامات والمزاعم فور ورودها.

البعد الثاني: الاتصال بين المؤسسة والجمهور، ويهدف ذلك الاتصال إلى إحداث تأثير طويل المدى وتدرجي على الرأي العام أو على النخب لاتخاذ موقف مع أو ضد شيء محدد.

البعد الثالث: تطوير علاقات دائمة مع الشعب على مدى سنوات طويلة.

مصادر القوة الناعمة

الكتب ، التقنيات ، البرمجيات ، مواقع النت ، الاقتصاد والكيما والفيزياء ، الا ان موارد القوة الناعمة لا تترجم دائما الى ماديات ملموسة (٢٩)

المطلب الثاني: التعايش السلمي

اختلف العلماء في تعريف التعايش السلمي ومعاييرهم من عرفه كبديل للسلوك العدائي، بينما عرفه البعض الاخر على انه اتفاق بين مجموعات يقوم على تنظيم وسائل الحياة الاجتماعية فيما بينهم وفق قواعد اجتماعية اصيلة. (٣٠)

اولا: التعايش السلمي في القرآن

العيش معناه الحياة، وهو العيش على هذه الأرض من بني آدم كافة دون تفريق، وتعني الإشتراك في الحياة على الإلفة والمودة. (٣١)

لذلك اوصى القرآن الكريم بالتعايش السلمي على اساس التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والثقافية النافعة، والتعايش السلمي هو المواطنة بغض النظر عن اختلاف الاديان وبالمقابل يعني نقيض العلاقات العدائية بين الجماعات ذات النظم الاجتماعية المختلفة، وهو يقوم ايضا بين ابناء المجتمع الواحد بغض النظر عن دياناتهم ويؤدي الى الانسجام فيما بينهم

لذلك فالتعايش السلمي يبدأ من احترام الانسان لنفسه وتقييمه لها ومدى دافعيته في التعايش مع الاخر، فالمطلوب هو انطلاق الانسان من ذاته والخروج بتوازن بين العقل والمعرفة والعاطفة في تعامله مع الاخرين يتأثر بهم ويؤثر فيهم

قال تعالى { يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير } (٣٢)

هنا اكد القرآن الكريم على التعايش السلمي بمعنى (لتعارفوا) والتعارف يمهّد للتفاهم بين الجماعات، وهو معرفة وادراك خصوصيات القوميات الاخرى والتعامل معها وفق التقوى .

وتشير هذه الآية الكريمة في حقيقة الوجود التكويني للتنوع البشري وتباينه حيث جعل سبحانه الناس شعوبا وقبائل ، وهنا لا تتدخل الوراثة في هذا التباين والانقسام او الصدفة ولا يمكن الغائه مهما مرت السنين وتوحدت الشعوب والقبائل لان هذا التباين اسسه الله سبحانه ولذلك قال سبحانه { لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين }

ان هذه الآية هي اساس التعايش السلمي المشترك بين الاديان والمعتقدات فقد جعلهم سبحانه مسؤولين عن سلوكهم وتصرفاتهم في الارض ، وان هذه الآية تشير الى صنع الحضارات المختلفة لذلك اشار سبحانه على التفاعل الايجابي بين الامم والحضارات وصولا الى الكمال في عمارة الارض (٣٣)

ومن هنا علينا ان ندرك ان هذا التباين ليس بيد البشر وانما هو بيد الله سبحانه ، وجملة (لا يزالون مختلفين) تدل على ان الاختلاف والتنوع هو باق ومستم الى ما شاء الله سبحانه ، فهنا يدرك الانسان فائدة وجود التباين والتنوع بين الناس وان كانوا في مجتمع واحد ، وجعل سبحانه لكل مجموعة سماتها وخصائصها تختلف عن الاخرى وصولا الى انه سبحانه جعل لكل فرد في المجموعة سماته وخصائصه التي تختلف عن غيره من نفس المجموعة او القبيلة بل الله سبحانه جعل للأخوين من نفس الام والاب سمات لكل واحد منهم يختلف عن الاخرين ومن هنا تتضح شخصية كل فرد ، وعليه اذا اردنا ان يكون التعايش مثمرا لابد ان نتعرف على خصوصيات كل مجموعة للتعايش معها منطلقين من مبدا الاحترام المتبادل للدين والعقيدة (٣٤)

التعايش السلمي في السنة النبوية

اكادت الديانات الموحدة لله سبحانه،على التعايش السلمي واعطى الدين الاسلامي حرية التعايش السلمي بين الاديان المختلفة

الا انه لا يمكن باي حال من الاحوال ان نزيل الفروق الفردية بين البشر ومن اراد ان يدرس الجماعات فلن يتوصل الى صفات مشتركة بينهم جميعا حتى في ابناء الجماعة الواحدة وانما الاشتراك بينهم يكون نسبي . (٣٥)

واهتم الرسول (ص) بالتعايش السلمي وربى عليه ابنائه والمسلمين حيث قال لهم (احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون)

وكانت اول تجربة تعايش سلمي عندما ذهب المسلمين الى الحبشة من خوف قريش فكانت مثال للتعايش السلمي وجميل الايواء رغم اختلاف الاديان بينهم ثم وضع الرسول (ص) دستورا للتعايش السلمي سمي دستور المدينة يتضمن تنظيم العلاقات والحقوق بين المسلمين وغيرهم من الاديان الاخرى ، ويتضمن واجبات والتزامات يؤديها كل فرد في النواحي الاجتماعية والاقتصادية وحتى العسكرية ، وتكمن قيمة هذه الوثيقة في تطبيقها فعلا ورغم احقاد الجاهلية المتبقية وضمان اليهود لم يؤثر ذلك على هذه الوثيقة في التطبيق واحجمت هذه الوثيقة ثارات العصبية وقامت على ركيزتين اساسيتين في التعايش السلمي

١. الامن المجتمعي :

يقصد بالأمن المجتمعي سلامة واطمئنان الافراد والجماعات من الاخطار الخارجية العسكرية والداخلية بما فيها الاعتداء على الممتلكات ، وهو شعور الفرد بالانتماء والاستقرار في مجتمعه وذلك مستندا على وجود بناء تنظيمي مجتمعي يتسم بالثبات والاستقرار الدائم ويحدد حقوق وواجبات كل فرد في المجتمع مما يساعد على الانتماء للوطن وتوقع سلوكيات كل فرد فيه (٣٦)

بمعنى ان يعيش الفرد حياة اجتماعية امنة يسودها الاطمئنان النفسي في المجتمع ، ويعني عدم توقع مكروه في الحاضر والمستقبل

ويعزز الامن المجتمعي بنود العدالة الاجتماعية في التعايش السلمي بين القوميات والاديان ، فقد كتب فيها (ص) (انه من خرج من المدينة امن ومن قعد امن ، الامن ظلم واثم) وجعل العدل هو اساس الامن المجتمعي المؤدي الى التعايش السلمي ، وكأنما يشير هذا البند الى انه لا يوجد احد فوق المحاسبة .

٢. حرية المعتقد : لكل مواطن حرية الاعتقاد بما يعبد ، ولجميع الناس دينهم ومعتقدهم ويشير هذا الدستور على ان جميع الاطياف والناس يعاملون على اساس المواطنة والاشترك في الوطن والتعايش السلمي فيه وليس على اساس الدين ومثال على ذلك ان مجموعة من النصارى زاروا رسول الله (ص) للاستفسار منه فأقاموا في مسجده في المدينة قداسا بكل حرية ولم يمنعهم الرسول (ص) وهم في مجلسه من ذلك (٣٧)

يقسم التعايش الى

١. التعايش الديني السلمي

يقصد بالتعايش الديني السلمي ان تلتقي ارادة اهل الاديان السماوية الى صيغة مشتركة ليس فيها تقاطع في العمل ، وتلتقي اتجاهاتهم بنقطة مشتركة هي التوحيد والانسانية من اجل ان يسود التعايش السلمي في المجتمع الذي يعيشون فيه جميعا لذلك هدف الاسلام الى بناء علاقة مستقيمة مع جميع الاديان يعزز فيها التعايش السلمي بغض النظر عن دياناتهم ، ويدعو الى التعايش السلمي الامن بين الديانات بغض النظر عن معتقداتهم الدينية والعرقية بصلح وسلام بعيدا عن الحروب مع احترام طقوس الآخر وتقاليده . وقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) : ((مَنْ أَدَّى ذِمًّا فَأَنَا خَصْمُهُ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ، على أن الأمر لا يقتصر على الذمي ، بل يشمل الناس عموماً ، ((فالتعايش مع الآخر تارة يكون مع المسلمين فيما بينهم وأخرى مع غير المسلمين .

٢. التعايش الحضاري السلمي

ان المجتمع الاسلامي منفتح على الثقافات والحضارات ، وهو دين نمو وتطور للإنسانية والاسلام الحقيقي يحاكي مختلف الحضارات للدخول فيه والتعايش السلمي هو الاشتراك في العيش المتبادل والالفة مع الآخرين بمختلف معتقداتهم واديانهم ويهدف الى التضامن الاجتماعي والاقتصادي وصولا الى المصلحة العامة

مكونات التعايش السلمي

قد ثبت الدين الاسلامي القواعد الاساس للأخلاق التي تؤدي الى بناء المجتمع الاسلامي الفاضل للتعايش السلمي وهي ايضا تدخل في القوة الناعمة لكل مجتمع ١. التراحم:

لغة استرحمه، وهو الميل للرحمة . واصطلاحا : هو الميل الى اخيك الانسان تعينه وتنجده وتشد ازره .

ويقصد بالتراحم اهتمام الفرد بالآخرين ويسعى إلى مساعدتهم وإبداء المعونة لهم متى ما تطلب الأمر ذلك، لذا فالذين يحملون هذه القيم يتصفون بالعطف والحنان والإيثار والتضحية.

لذلك يمتد قوام التعايش السلمي من الاخلاق الفاضلة بغض النظر عن المعتقدات الدينية بل يعتمد على الانسانية وتتداخل القيم الاخلاقية الايجابية لتشكل اساس التعايش السلمي . (٣٨)

ولا يمكن ان يكون هناك تعايش سلمي في اي مجتمع يخلو من الرحمة بين افراده، لان التراحم من القوة الناعمة وذلك لانه يقرب الآخرين من بعض ، وبذلك قال تعالى { محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم } (٣٩) ٢. التسامح (العفو عند المقدرة).

يؤدي عدم التسامح الى ظاهرة خطيرة وهي العنف وقد يؤدي العنف الى حروب داخلية في المجتمع الواحد وهي نتائج الجهل والتطرف.

لذلك دعت المرجعية الرشيدة الى التسامح، واساس التسامح نبذ الاحقاد ، لان العدوان يؤثر سلبا على التفكير فلا يرى الشخص الذي وقع عليه العدوان الا نفسه ولا يسمع الا نداء انفعالاته ، وكأنما يسمع صوت خفي يشير اليه كما تغلب عليك تغلب عليه ، الا ان هذا الصوت يوصله الى الندم ، لان في هذه الحالة يقول علماء النفس يتحكم الهو في تفكير الشخص ، وقد يمر الشخص بحالة حرجة ، فأن لم يسيطر على

تفكيره طغت انفعالاته على سلوكه ، اما اذا استطاع التغلب على انفعالاته وسيطر عليها فهو يمتلك الشجاعة والحكمة .

قال تعالى { ود كثيرا من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرهم } ومعنى التسامح: أن نتحمل عقائد غيرنا وآراءهم وأعمالهم وإن كانت تخالفنا أو باطلة في نظرنا، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم من الإدلاء بآرائهم أو القيام بأعمالهم مالم يؤذوا المجتمع بها ، بل نتعامل معهم باللين.

٣. حق الجار

ورد في الكليني عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله عن علي (ع) قال ان رسول الله (ص) كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من اهل يثرب (ان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم وحرمة الجار على الجار كحرمة امه) (٤٠)

٤. الجانب النفسي في التعامل مع الآخرين

وقد جاء الجانب النفسي في حث الرسول (ص) ليتعامل مع ابناء مجتمعه فقال سبحانه {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} ان القوة الناعمة تعتمد على الجانب النفسي الذي ابداه النبي (ص) وهو الرأفة والتعاطف والمرونة في التعامل مع الآخرين مهم في التعايش السلمي.

وان كل سلوك يصدر من الشخص لابد ان يكون وفق اسباب ودوافع تؤدي الى وظيفة نفسية ، لذلك ان الدين الاسلامي يدعو الى الطمأنينة والامن النفسي.

ومهم جدا ان يشعر الانسان بالانتماء النفسي لوطنه ومجتمعه فاذا شعر بذلك فانه سيتحمل مصاعب الحياة الاجتماعية ويتجنب الهجرة الى البلاد الاخرى او خيانة المجتمع

٥. الاحسان الى الآخرين:

قال تعالى { الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين }^(٤١)

ولابد ان يتصف الاحسان بالعاطفة لان الاحسان في اغلب الاحيان يكون في مواقف حساسة تتغلب فيها العاطفة على المنافع والاطماع الشخصية

ان سمة الاحسان تؤدي الى التعايش السلمي وتقلل من الفساد المجتمعي ، لذلك اهتم الامام علي (ع) وقال (ع) (لا فضيلة اجل من الاحسان) ، وجعله خطوة رائدة في تحقيق برنامج التعايش السلمي ، فاذا فقد الانسان صفة الاحسان فانه يؤدي الى ضعف سمة الترابط المجتمعي .^(٤٢)

٦. تحقيق العدالة الاجتماعية:

قد ذكر العدل في القرآن الكريم بمجالات مختلفة ويجمعها قوله تعالى { ان الله يأمر بالعدل والاحسان }^(٤٣)

والعدل اصل من اصول الدين ، ويعرف بانه اعطاء كل ذي حق حقه مما يؤكد اختلافه عن المساواة كمفهوم يختزل مراعاة التساوي بين عدة اطراف وعرفه الامام علي (ع) (وضع الامور في مواضعها)

تأتي العدالة الاجتماعية مع التعامل مع الاخر على اساس الاخوة في الانسانية وان تباينوا في انسابهم ومعتقداتهم الفكرية، وان هذا التعامل لا يتوقف على التعامل الظاهري وانما يكون مستندا على التعامل النفسي الداخلي .

واوضح الامام علي (ع) ان الاحكام الخاصة بالقضاء تسري على جميع افراد المجتمع بما فيهم الخليفة نفسه، وقد وقف الامام علي (ع) متخاصما مع يهودي يدعي ان درع الخليفة هي درعه وحكم القاضي بأيلولة الدرع لليهودي والذي لم يكن يشعر باي من درجات التمييز .

وكأنما العدالة الاجتماعية تتمثل في احتضان الناس من الديانات الاخرى الموحدة كالمسيحية واليهودية الى جانب الديانة الاسلامية، ومن هنا جاء الدين الاسلامي بتثيت

قواعد المساواة بين افراد المجتمع على اساس الانسانية وليس على اساس الدين فقط ، والعدالة هي الميزان المستقيم الذى يحدد العلاقات بين الناس في المجتمع .^(٤٤)

ولان العدالة الإسلامية عدالة مطلقة ، فلا بد أن تكون ملازمة للتعايش السلمي ٧. حرية المعتقد: شرط ان لا تلحق هذه الحرية اذى بالجماعة ، فالناس احرار في معتقداتهم ولمختلف الطبقات الاجتماعية وهذه الحرية لا تقتصر على الاثرياء فقط ، وفي ذلك قال الامام علي (ع) (فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله فرما يكون وليه وانت لا تعلم)

وتتضمن حرية المعتقد الاقتناع بالمعتقد او الدين ، بمعنى ضرورة دخول الانسان في الدين يكون قائما على اساس القناعة الفكرية والحرية الشخصية وليس على اساس محابة لشخص اخر او التماهي معه فقال في ذلك (من دخل هذا الدين بالرجال اخرج منه الرجال كما ادخلوه فيه ، ومن دخل فيه بالكتاب والسنة زالت الجبال قبل ان يزول) ٨. سيادة القانون

التمتع بالامن والامان في الوطن في ظل حكم القانون ولا بد لاي شخص ان يشعر بالامان على نفسه وماله

ان الاسلام وضع قانونا الهيا عادلا للتحاكم بين الناس ، ومعاقبة المجرمين والمعتدين ، ولم يترك وضع القانون للناس لكيلا يجتهدوا في الحكم ويتجاوزوا ، او يقصروا في حقوق الآخرين ، باعتبار القانون مبدأ عظيما من مبادئ التعايش السلمي وقد احسن الفقه الاسلامي حين وضع (الضروريات الخمسة) وهي النفس ، والمال ، والعرض ، والعقل ، والدين^(٤٥)

٩. المساواة:

ركز الرسول (ص) في التعايش السلمي على المساواة بين الاقوام فقال (ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى) ، فهنا وضع معيار للتفاضل بين الناس وهو التقوى ، انما يكون التفاضل بينهم على اساس العمل الصالح والصفات الخلقية الذاتية ، وبهذا ابطل التفرقة العنصرية

واذا شعر الانسان بالمساواة يشعر بالانتماء للمجتمع بغض النظر عن الديانة، وبذلك يؤدي الى التعايش السلمي ، وكأما الاسلام يدعو الى صيغة وفاق عالمي انساني والتعايش السلمي لا يتحقق إلا في جو من العدل والحرية في المعتقد .

ومن مكونات المساواة الاستقامة في التعايش: يقصد بها اتباع القاعدة المثلى في التعايش السلمي وهي (احبب لغيرك ما تحب لنفسك واکره له ما تکره لها، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك)

ولقد حققت القيم الإسلامية المساواة بين كافة الناس، اذ لا فرق بين غني ولا فقير ولا ضعيف او قوي ولا عربي او اعجمي الا بالتقوى. وبذلك حقق الإسلام عالميته من خلال الدعوة الى انسانية واحدة اذ يقول سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله الكريم محمد(صلى الله عليه وآله): {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٤٦)

١٠. احترام الراي الاخر : وهذا لايعني تنازل الانسان عن وجهة نظره ، بل التعامل بتعقل ومنطقية لمحاولة تخفيف حدة الصراعات وتقريب وجهات النظر (٤٧)

كما نبه الإسلام إلى احترام الآخر -غير المسلم- وحرّم على المسلم أن ينال من أحد في شخصه أو معتقده حتى لا يؤدي ذلك إلى رد فعل مضاد، ويكون له تأثيره السلبي فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٤٨)

فالمسلم مطالب باحترام غيره ويعمل على إقناعه ومحاورته، وتلك هي بعض من القوة الناعمة ووقال تعالى {وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (٤٩)

١١. المواطنة: قال الامام علي (ع) (عمرت البلدان بحب الاوطان وحب الوطن من الايمان)

والمواطنة صفة تطلق على مجموعة من الناس يعيشون ويتعايشون في وطن واحد بغض النظر عن دياناتهم ومذاهبهم . (٥٠)

وافضل مثال على المواطنة عندما اضطر الرسول (ص) ان يترك مكة ويهاجر الى المدينة قال كلمته المشهورة (والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الي ولولا اهلك اخرجوني منك ما خرجت منك) (٥١)

وعندما خرج من مكة التفت اليها فادركته رقة وبكى فاتاه جبريل ع وتلا عليه قوله تعالى { ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد } (٥٢)

١٢. الحوار البناء : وهو الحوار المتسم بالمصلحة المشتركة دون تغليب مصلحة طرف على طرف اخر ، وهذا الحوار يجب ان يستند الى التوازن الاجتماعي وصولا الى اللحمة الوطنية وتعزيز الهوية الوطنية لكي تتسامى فوق الهوية القومية و الدينية المذهبية (٥٣)

ويتضمن التعايش السلمي التوصل إلى مستويات أخلاقية في الحوار البناء والاتفاق على أسس العيش والتصالح وتقدير الاختلاف في الدين والقومية والاعتراف به، والاعتراف بالتعددية

١٣. التكافل الاجتماعي

سمح السيد السستاني دام ظله للمكلف بإعطاء خُمُسَهُ إلى الفقير مباشرة وكان الرد ((مأذونون في ذلك وفقكم الله لكل خير، وزاد لكم في الأجر والثواب)).

مبادئ التعايش السلمي

١. الدعوة الى السلام

قال تعالى { ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة } (٥٤)

فان الدعوة لا تتجاوز الى الاكراه والقوة وفرض الراي بالقوة

٢. الوحدة الوطنية: وتتضمن تجمع الافراد والجماعات لوضع الخطط التنظيمية الهادفة الى تكاتف الجميع.

إن ظاهرة التعايش السلمي، لا تنمو ولا تتطور إلا في ظل مجتمع حر مكون من أفراد لديهم مواطنة، ويتبادلون بشكل عادل، نتائج وثمار العمل الاجتماعي ويعملون على تدعيم اصلاح المجتمع في سياق منظم وقانوني واضح، غير أن كل ذلك يتطلب ثقافة

اخلاقية ومعرفية تقوم على المشاركة في الاختلاف والتعددية وتساهم بالتالي في خلق فضاءات واسعة للمنفعة الاجتماعية

٣. حرية المعتقد : اعطاء الحرية للمقابل من دون ان يفرض عليه اراء الآخرين ، ويعني ان الناس احرارا فيما يعتقدون ، قال تعالى { لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي }^(٥٥)

٤. قبول الاخر وهو من اساسيات التعايش السلمي ، والتعايش معه في نفس المجتمع كما هو دوما اقضاء او اكراه او تسلط استنادا الى قاعدة التباين الاجتماعي^(٥٦)

دور المرجعية الدينية ويقسم الى قسمين

اولا: نشأة المرجعية

يشير القرآن لموضوع المرجعية في صورة التوبة بشكل واضح { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون }^(٥٧)

ولو عدنا الى تاريخ المرجعية نستقرؤه لوجدناه من زمن الرسول عليه السلام ، والائمة الاطهار من بعده .

ثم انتقلت المرجعية من بعد الرسول (ص) الى الائمة الاطهار عليهم السلام ، ثم اقام الامام المنتظر (ع) الفقهاء الافاضل من شيعته نوابا عنه ، كما اقامهم الائمة الطاهرون ولاية عنهم ، وامروا شيعتهم بالرجوع اليهم ايام الحكم العباسي الذي جهد على محاربة ائمة اهل البيت (ع) ، فلم يكن هناك مجال بالرجوع الى الائمة (ع) .

وقال الامام الصادق (ع) يدعو الى المرجعية : (اياكم ان يحاكم بعضكم بعضا الى اهل الجور ولكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئا من قضائنا فاجعلوه بينكم فأني قد جعلته قاضيا فتحاكموا اليه) ، وهذا الحديث في وسائل الشيعة كتاب القضاة ٢٧ ص ، فهنا الزم شيعته بالرجوع الى المرجعية واتخاذ احكامها وتنفيذ قراراتها في جميع الشؤون الاجتماعية والدينية ، ومن يتولى المرجعية في زمان غيبة الامام (ع) لا بد ان تتوفر فيه شروط معينة كمرجع^(٥٨)

لذلك اعطى الامام المنتظر (ع) للعالم الفقيه الولاية ، ونصبه حاكما ومرجعا للمسلمين في مختلف الشؤون الاجتماعية ، وفي رسالة له للشيخ المفيد يبين لهم الى اين يرجعوا في حكمهم قد جاء فيها (واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا ، فانهم حجتي عليكم ، وانا حجة الله تعالى عليكم) بهذا الحديث الزم الامام شيعته بالرجوع الى الفقهاء في غيبته (ع) (٥٩)

والمرجع هو الشخص المجتهد الجامع للشرائط مثل العلمة والعدالة والعقل والاستقامة ، وهو يحمل صفات علمية تفوق نضجا وتكاملا الشروط المتوفرة في عموم المجتهدين ، كالاتجاه المطلق ، والعدالة ، والبلوغ الشرعي ، والعقل ، والحرية الفكرية ، وحسن ادارة الشؤون ، وسلامة المولد ، وله حق الولاية الشرعية العامة في شؤون المسلمين بشرط الكفاءة التامة ، كما له ولاية القضاء في الحكم الشرعي للناس ، وهذه الشروط لا تأتي بالوراثة او العنصرية ، بل باختبار اهل الخبرة من المجتهدين الاعلام (٦٠)

لذلك يمكن ان ندرك ان المرجعية الدينية الرشيدة هي استمرار لنهج النبي (ص) ثم الائمة عليهم السلام .

والمرجعية الدينية هي مؤسسة دينية تدار من قبل المرجع الاعلى للطائفة وتنسب المرجعية في اكثر الاحيان الى المرجع او الى مكان المرجعية مثل مرجعية السيد الخوئي ، او مرجعية النجف الاشرف

ومن يقرأ تاريخ المرجعية سيجدها مرت بمراحل منها

١. مرحلة الجهاز المرجعي: وهي تمثل مجموعة من الوكلاء والذين انتخبهم الامام (ع) لاداء مهمة ما مرجعية مثل العلماء الذين يرتبطون بالمرجع ويتصلون بالقواعد الشعبية.
٢. مرحلة الاتصال الفردي: وهي مرحلة اتصالات فردية بين العلماء المجتهدين وكبار المقلدين الذين يستفتون العالم فيفتي لهم بما جاؤا من اجله. وبدأت هذه المرحلة مع بداية الغيبة الكبرى.

٣. مرحلة التمرکز والاستقطاب (القوة الناعمة) الحكيمة: في هذه المرحلة تحولت الحوزة العلمية الى مؤسسة مرجعية جلبت انظار العالم الشيعي واستقطبت الدارسين الى النجف الاشرف لتصبح مركزا علميا لمرجعيات العالم الشيعي.

٤. مرحلة القيادة (القوة الناعمة) الحكيمة: في هذه المرحلة لم تقتصر المرجعية على الجانب العلمي فقط ، وانما اتخذت لها وجودا واضحا في الساحة الاجتماعية السياسية ، فحاورت الاحداث والوقائع على الساحة فكان هذا الحوار محافظا على تعزيز موقعها في قلوب الجماهير وقيادتهم الروحية ، والتي تعودت ان تنتظر من المرجعية موقف مميز تجاه هذه الاحداث والوقائع. (٦١)

وتبلور مفهوم المرجعية واخذ منهجا دراسيا ليتطور يوما بعد يوم وحتى يومنا هذا وفيما بعد نشأت المرجعية الدينية من داخل الحوزة العلمية ، والحوزة العلمية تعد كيان علمي يؤهل للاجتهاد في علوم الشريعة الاسلامية ويتحمل مسؤولية خطيرة ودقيقة بالوقت نفسه وهي تبليغ الامة وقيادتها ، وتفسير القرآن الكريم واثبات الاحكام الشرعية . ومنهج المرجعية هو اقرار العدل والتعايش السلمي بين اطياف المجتمع .

والمرجعية ليست منصبا فخريا او رئاسة عامة او ملكية مطلقة ولا تأتي بالوراثة او القرابة او العنصرية او القومية ، لذلك قد نجد مرجعا من اصول عربية يرجع اليه عموم مسلمي العالم من المقلدين الشيعة ، ومرجعا من اصول غير عربية يرجع اليه الشيعة العرب ، وهكذا فالمقياس هو طاعة الله ورضاه والعلم في احكام الشريعة والمعاملات وليس الترفع الى الامور الشخصية .

ولذلك قال السيد محمد باقر الصدر (لو كانت احكام الشريعة قد اعطيت كلها من خلال الكتاب والسنة ضمن صيغ وعبارات واضحة صريحة لا يشوبها أي شك او غموض لكانت عملية استخراج الحكم الشرعي من الكتاب والسنة ميسورة لكثير من الناس ولكنها في الحقيقة لم تعطي بهذه الصورة المحددة المميزة للصريحة وانما اعطيت متشورة في المجموع الكلي للكتاب والسنة وبصورة تفرض الحاجة الى جهد علمي في دراستها والمقارنة بينها واستخراج النتائج النهائية منها ، ويزداد هذا الجهد العلمي

ضرورة وتنوع وتعمق اكثر فاكثر كلما ابتعد الشخص عن زمن صدور النص) ، ومن هنا اصبحت ضرورة ملحة للآخرين . (٦٢)

نجحت المرجعية الدينية في تأسيس نمط مختلف لفهم العلاقة بين الفقه والشعب بكل شرائحه وتكويناته وانتماءاته، ذلك ليس بسبب ضعف الحكومة وانما دورها التشريعي يقتضي ان يكون لها دورا اجتماعيا مدنيا ينسجم مع موقعها الديني الرعوي.

وهو ما استكمله السيد علي السيستاني دام ظله في زمن الاحتلال عندما أكد على أن "شكل نظام الحكم في العراق يحدده الشعب العراقي، وآلية ذلك أن تجرى انتخابات عامة، والمرجعية لا تمارس دورا في السلطة والحكم". هذه المنهجية في التفكير استمرت مع تجربة السيد السيستاني وتدعو إلى تعزيز العيش المشترك والحوار بين الأديان. (٦٣)

من ادوات القوة الناعمة (خطب الجمعة) التي تدعو الى التعايش السلمي ان القراءة الصحيحة والواعية لخطب المرجعية وما وجهوا به شيعتهم تدعوهم الى طرح المذهب الحق بالحجة والبرهان مع رعاية التعايش السلمي مع الآخرين المبني على مخالطتهم ومعاشرتهم بالحسنى، وكف اللسان عن التفوه بما يسيء اليهم ويخل بالسلم الأهلي ويضر بوحدة الصف أمام الأعداء والطامعين في البلاد وثرواتها". ستقتصر الباحثة على تقديم بعض الخطب التي تخص التعايش السلمي والتي تمثل قوة ناعمة

• خطبة الجمعة في ٨ شوال ١٤٢٦ هـ بأمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي تتضمن التآخي والتعايش السلمي مع اخوانهم النازحين من الموصل بسبب الارهاب ، وطلب من اهالي كربلاء التعامل معهم وفقا لما جاء في الاية القرآنية (الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) (٦٤)

كما بين حال هؤلاء المهاجرين المتمثل

١. البعد النفسي المتمثل بالشعور بالضغط النفسي والمعاناة بسبب ترك الاهل، والغربة . وتوقف عملهم، وان على اهل كربلاء ان يشعرونهم بالاخوة لكي يتعايشوا معهم
 ٢. البعد الاجتماعي المتمثل بفقدانهم ديارهم ومكان عملهم واهلهم والمصير المجهول لعودتهم، وعلى اهل كربلاء ان يعاملوهم وفق القيم الاخلاقية الاسلامية لانهم اخوانهم في الدين والانسانية
 ٣. البعد الاقتصادي كتوفير فرص عمل مناسبة لهم ، وعلى اهالي مدينة كربلاء ان يكونوا كاهالي المدينة المنورة في تعاملهم مع النازحين^(٦٥)
- خطبة الجمعة في ٢٤ شباط ٢٠٠٦م من الروضة الحسينية بامامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي دام عزه
- وفيهما قال سماحته (تؤكد المرجعية الدينية العليا للجميع شيعة وسنة على اننا احوج ما نكون في هذه الايام العصيبة الى التعايش الاخوي السلمي بين الجميع وبند التعامل بالعنف وبذل كل الجهود للحفاظ على وحدة هذا الشعب وتماسكه)
- اهم سلاح يجب ان يتسلح به الجميع في مواجهة الاشاعات والحرب الاعلامية التي يصنعها العدو هو (سلاح الوعي)
- واكدت المرجعية الرشيدة في الخطبة ايضا لا بد ان يشعر الجميع ومن دون استثناء بضرورة تحمل المسؤولية الكاملة لايقاف نزيف الدم واغتيال المواطنين الابرياء^(٦٦)
- اشار سماحته في خطبة الجمعة في ٢١ نيسان ٢٠٠٦ الى ان هناك امور تؤثر سلبا على التعايش السلمي بين الافراد منها الكذب المفتعل فقال سماحته (بالسان تقتل الشخصية الاجتماعية ، وبه يحصل البهتان والغيبة ، وقذف المحصنة وشهادة الزور وسب المؤمن والسخرية والاستهزاء ، والكذب مفتاح الشر)
- ثم عقب سماحته عن معالجة هذه المشكلة في التعايش السلمي من خلال اتباع امور منها
١. التفكير بعواقب الكذب، حيث ورد عن النبي (ص) انه قال (يعذب الله اللسان عذابا لا يعذب به شيئا من الجوارح) لذلك فالكذب قد يقتل بسببه شخص احيانا
 ٢. الرقابة الذاتية : على الانسان ان يراقب ذاته .

• وفي خطبة ١٢ ايار ٢٠٠٦

استعرض سماحته بعض الاخلاق الحميدة الخاصة بالتعايش السلمي من خلال دعاء الامام لاتباعه حيث يقول (ووفقهم لاقامة سنتك والاخذ بمحاسن ادبك في ارفاق ضعيفهم وسد خلتهم وعيادة مريضهم وهداية مسترشدتهم ومناصحة مستشيرهم وتعهد قادمهم وستر عوراتهم ونصرة مظلومهم) ، وتساءل سماحته بالقول (هل تتوفر هذه الصفات في مجتمعاتنا حاليا من خلال تعاملها مع العوائل المهجرة ، وهل تتعاملون معها بهذه الموازين التي ذكرها الامام عليه السلام ^(٦٧))

• خطبة الجمعة في ١٢ ربيع الاول ١٤٣٢ هـ / ١٨ / ٣ / ٢٠١٠

ذكر سماحة الشيخ الكربلائي بان الشعب العراقي قد عانى الكثير بسبب الاحتقان الطائفي الذي عملت المرجعية الرشيدة وابناء الشعب العراقي الواعي الى احتواء هذا الاحتقان والعمل على منع انتشاره وتأثيره، ودفع الشعب العراقي الكثير من الدماء بسبب هذه الاحتقان

واكد سماحة السيد دام ظله ان التعايش السلمي بين الاديان هو مسؤولية الجميع وينبغي ان يكون مسؤولية تضامنية ، واكد سماحته ان التعايش السلمي لا بد ان يستند الى اصلاح حقيقي وهذا الاصلاح لا بد ان يكون شاملا ومستوعبا لجميع مطالب الشعب العراقي . ^(٦٨)

قال ممثل المرجعية في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة ٢٢ / شعبان / ١٤٣٨ هـ الموافق ١٩ / ٥ / ٢٠١٧ م

ان كل فرد بحاجة ضرورية الى التعايش مع الآخرين لأنه لا يمكن لاي فرد ان ينهض بمقومات وجوده الا من خلال التعايش مع الآخرين، مؤكدا على وجود حاجة ضرورية للتعايش الاجتماعي مع الآخرين ولا بد ان ينظم هذا التعايش الاجتماعي وفق مبادئ وقواعد تنظم هذه العلاقات بحيث تؤدي الى استقرار المجتمع بعيداً عن تسلط الانانية والمصالح الشخصية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعية وتهدد استقرار المجتمع.

وها هي خطب الجمعة بعد أن وقعت مرحلة النزوح من مناطق الحرب هرباً من الإرهاب وفيها ظهر الحرص الشديد على أن تهيأ لها المعيشة التي تستحقها، ومن ذلك ما صدر منه دام ظله

(ان عشرات الآلاف من المواطنين من التركمان والشبك والمسيحيين والأقليات الأخرى يعيشون في هذه الأيام ظروفًا قاسيةً بسبب التهجير والنزوح عن مناطق سكنهم بعد سيطرة الارهابيين على مدنها وقراها في محافظة نينوى وغيرها. إن الجهود المبذولة في رعايتهم والتخفيف من معاناتهم لا تزال دون المستوى المطلوب.

إن هؤلاء المواطنين يجب أن تتوفر لهم فرصة العود إلى مناطق سكناهم بعد استتباب الأمن والسلام فيها ولا يجوز أن يكون تهجيرهم ونزوحهم عنها مدخلاً لأي تغييرات ديموغرافية في تلك المناطق))

تكرر خطاب المرجعية في ضرورة محاربة الفضائيات التي تدعو الى العنف بقوله ((سبق أن أكدنا على اتخاذ وسائل الإعلام ولا سيما القنوات الفضائية الإساءة إلى الآخرين والتحريض ضدهم وتناول رموزهم ومقدساتهم بالقذف والسب ونحو ذلك بالإضافة إلى كونه على خلاف تعاليم النبي المصطفى وآله الطاهرين (عليهم السلام) مما له تداعيات خطيرة على التعايش السلمي بين أبناء المجتمعات الخليطة من أديان ومذاهب مختلفة ويمهد لممارسة العنف فيها)) (٦٩)

ثم تلى قوله تعالى { فَبَشِّرْ عِبَادِ ❖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (٧٠)

هذه الآية المباركة أرادها السيد أن تكون شعارنا في التعامل مع النصائح الموجهة؛ كي نضمن سبل الأمان مع الآخرين، ولا نكون عرضة للفتن والعداوات الداخلية والخارجية وفي عام ٢٠١٠ قدم التجمع الاسلامي للسلام والاصلاح في العراق شهادة اعتزاز وشكر الى العتبة الحسينية ، لما تبذله من جهود ملموسة في التعايش السلمي ، وقد قدم التجمع درع حمادة السلام الى المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة سماحة الشيخ مهدي الكربلائي (٧١)

وفي العام نفسه زار العتبة الحسينية وفدا من مجلس عشائر الاعظمية في ٢٩/٨/٢٠١٠ وقد قدم الوفد الزائر خلال اللقاء درع (الوفاء) الى سماحة الشيخ الكربلائي بناء على حرصه ومساهمته في تعزيز الاواصر الاخوية المبنية على تحمل المسؤولية تجاه العراق العزيز، واكد الشيخ الفاضل على توجيهات المرجعية الرشيدة في التعايش السلمي بين ابناء الوطن الواحد واشاعة روح التعاون والوحدة الوطنية (٧٢)

اهداف خطبة الجمعة

١. توعية وتثقيف الفرد كشخصية انسانية رسالية في الحياة، وأتموزج أخلاقي قادر على ادراك دوره في الحياة.

٢. ارسال رسالة تربوية تعليمية عالمية لنشر أهداف الانسانية (كالعدل، والحرية الفكرية، والامن النفسي). (٧٣)

٣. هدف وجداني: القيام بعملية تربوية تعليمية وجدانية مؤثرة في الآخرين، من خلال تحريك الجانب الوجداني، وبث روح الوعي والحماس فيهم.

٤. الترابط الحقيقي بين الانسان الحاضر وبين المنهج التربوي للرسول صلى الله عليه واله وسلم، واهل البيت ع

٥. عمومية الخطبة: فهي ليس خاصة بالمسلمين أو الشيعة فقط، بل هو لعامة الانسانية. وظائف خطبة الجمعة التربوية هي

١. التربية الاسلامية الانسانية ونبذ الطائفية بين ابناء المسلمين

٢. الانسانية بين مختلف الاديان، وعدت من الامور المهمة في بناء وتقويم اي مجتمع قائم على اساس مدني. (٧٤)

٣. ان المستقبل يصنع بواسطة تفعيل الطاقات الحية المستعدة للنماء ولا يفرض بمثابة قدر محتوم، لذلك ان الوعي بالقدرة الذاتية ومساعدة الله سبحانه للانسان هو المعبر لتفعيل القدرات والامكانيات والفرص.

٤. تحريك الدافعية الداخلية وتوجيهها: ان الثقافة الاجتماعية لها القدرة على ذلك من خلال تنميط السلوك وتجديد اشكاله وكيفياته واليات.

٤. لم تقتصر خطبة الجمعة على القضايا الدينية والعقائدية بل تطرقت الى القضايا المجتمعية (قضايا ومشكلات ومتطلبات الحياة اليومية) وصولا الى كيفية اعطاء الحلول المثلى لمعالجتها.^(٧٥)

وللمرجعية الشيعية ادوارا في التعايش السلمي نذكر بعض منها

١. دور المرجعية في عهد الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي
حيث الت اليه المرجعية والزعامة من عام ٣٦٨ هـ - ٣٨٢ هـ ، كان مثالا للعالم الرباني الذي سار على نهج معتدل في التقريب بين المذاهب الاسلامية وقد كان اماما ومرجعا للشيعية والسنة على السواء لانه دعى الى التعايش السلمي^(٧٦)

٢. دور المرجعية في عهد الشيخ المفيد ٣٧١ - ٤١٣ هـ
كان للمفيد مرجعية يرجع اليها الناس في الكثير من معاملاتهم ونزاعاتهم، وقد استطاع ان ينهض بالفكر الشيعي ويحدث نقلة في التعايش الاجتماعي السلمي وكان كما يقول عنه المؤرخون (له مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء)

٣. السيد المرتضي: ٤١٣ - ٤٣٦ هـ
اذ يعد علم الهدى ونقيب الطالبين وقاضي القضاة وهو نصير المستضعفين وراعيا للتعايش السلمي المجتمعي^(٧٧)

٤. تبلور مفهوم المرجعية الدينية بشكل اصطلاحي على يد الشيخ الطوسي مؤسس الحوزة العلمية في النجف الاشرف عام ٩٢٨ م،

اتصف الشيخ الطوسي بالموضوعية العلمية في حفظ اراء المذاهب الاخرى، واتصف بالعلم بالفقه السني والشيعي ، وعاشر وتعايش مع المجتمع وكان كلامه باللغة العربية وكانت هذه المرجعية هي مرجعية مستقلة بذاتها عن باقي المرجعيات الدينية الاخرى .

٥. الشيخ جعفر كاشف الغطاء: جمع بين الاجتهاد الفقهي والفكر السياسي.
فقد حدثت في ايامه اضطرابات في مدينة النجف ودب الهلع في نفوس سكانها فتصدى الشيخ كاشف الغطاء بفكره السياسي لهم ، وطلب من طلابه في الحوزة ان يحملوا السلاح لاستتباب الامن في البلاد ، ويقاثلوا من يقدم على غزوا النجف الاشرف ،

وبذلك شكل منهم قوة نظامية اشبه بالجيش عند الضرورة ، ذلك لحفظ التعايش السلمي للناس .

وله موقف اخر كأب على الشعب في النجف من كافة الطوائف والمعتقدات وهو يمثل قوة ناعمة ضد الاحتلال فقد فرض عليهم السلطان العثماني التركي ضريبة مقدارها ٨٠ طن من الطعام ، وهو مبلغ كبير لم تطق الاهالي تحمله ، فقام الشيخ بدفعه وتحمله عنهم ، فكانت مبادرة سخية منه بدفع الفاقة عن اهلنا في النجف الاشرف الذين احسوا باهمية المرجعية الدينية ووقوفها مع الشعب ^(٧٨)

٦. دور المرجعية في عهد السيد الخوئي

أشار الى اهمية ان يعمل الجميع على تثبيت قيم التعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين مختلف المكونات الدينية في منطقتنا في سبيل توفير الامن والاستقرار لشعوبها. ^(٧٩)

الشخصية الدينية التي عرفت بمقاومتها للاستعمار الإنجليزي من العراق مع والده فالسيد أبو القاسم هو نجل آية الله مصطفى كاشاني الذي كان أحد المشاركين في ثورة العشرين التي قادتها المرجعية الدينية - بزعامة المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي المعروف بمواقفه الإسلامية- في سامراء والنجف الأشرف ضد الاحتلال البريطاني ، ولم يقتصر دوره على الحفاظ على املاك العراقيين بل لا ينسى الكويتيون موقفه الذي حرم التعرض للمواطنين الكويتيين وحرمة ممتلكاتهم وأعراضهم

٧. دور المرجعية في عهد السيد محمد صادق الصدر :

نجح السيد في تطبيق منظومة مجتمعية في التعايش السلمي بين افراد المجتمع من خلال عمله الثقافي الذي اقترن بوجوب صلاة الجمعة ، واول صلاة كانت في مسجد الكوفة

سنة ١٩٩٨ واستمرت الى ٤٥ جمعة الى يوم مقتله الشريف ١٩٩٩

وكانت الناس تاتي الى صلاة الجمعة من مختلف مناطق العراق فكانت نهضة ثقافية تربوية اجتماعية في التعايش السلمي .

وما يميز مرجعيته كقوة ناعمة انه استطاع كسر حاجز الخوف النفسي للشعب ، واصبح منبر الجمعة يطالب بالحرية الواعية واعطاء حقوق الناس والنقطة المحورية في القوة الناعمة استطاع السيد منع الانقسام المحوري بين المذاهب والتوصل الى منظومة الوحدة الوطنية والتعايش السلمي واستطاع ان يطبقها عمليا من خلال ايعازه الى وكلائه في محافظات العراق الى الالتحاق ب صلاة الجمعة في المساحد السنية واقامة الصلاة معا فجمع بين الامام السني واخيه الخطيب الشيعي او العكس ولا سيما في منطقة الكاظمية والاعظمية^(٨٠)

٨. السيد السيستاني : درس بمدينة مشهد وقم على يد البروجردي ، وهاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م
برز كأعلى شخصية دينية في العراق وسمي بالزعيم الروحي ، اتسمت حياته بالزهد .
اكّد على التعايش السلمي بين الديانات اذ صدرت منه عدة بيانات حرم بها دماء الملل الأخرى في المجتمع العراقي والمجتمع العربي والإسلامي كلّ كالمسيحية واليهودية .
ولتأكيد على التعايش السلمي ونبت العنف أصدر سماحته في ٢ / ٨ / ٢٠٠٤م بياناً أدان فيه الاعتداءات على الكنائس في بغداد والموصل ، وجاء فيه : التأكيد ((على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق في أمن وسلام))

رفض السيد علي السيستاني أن يكون العراق محطة لتوجيه الاذى الى أي بلد آخر، مشدداً على أن العراق يطمح الى ان تكون له علاقات طيبة ومتوازنة مع جميع دول الجوار وسائر الحكومات المحبة للسلام وهذه هي القوة الناعمة^(٨١)
أصبح هناك دورا ارشاديا واضحا للمنظومة الدينية الحكيمة والعاقلة المتمثلة بالمرجع السيستاني، حيث قادت ارشاداته إلى منع العراقيين من الانجرار إلى منزلق الحرب الأهلية، خاصة بعد حرب الإبادة التي اعلنها الإرهابيون ضد الشيعة.
ومع أن السيد السيستاني يمثل الرمز الديني والروحي والفقهي والأخلاقي للمسلمين في العالم؛ فكان دوره يمثل الرعاية الصحيحة للحفاظ على للشعب العراقي

لم تواجه المرجعية الدينية الاحتلال الامريكي عسكريا لكنها لم تستلم له ليحقق اهدافه التي جاء من اجلها ، لذلك كانت المواجهة بالقوة الناعمة وذلك برفض استقبال مندوبيهم لئلا يضيفي على وجودهم أي شرعية ، وبالمطالبة بإجراء الانتخابات لتكون مدخلا لإخراجهم من العراق.

دعوة السيستاني من وجوب الدفاع الكفائي على الشعب العراقي هذه الدعوة التي تفاعلت معها كل مكونات الشعب (المسيحي والصابئي والسني والشيوعي) وأشعلت روح الحماس فهب الشعب عن بكرة أبيه في صورة أدهشت الجميع وإن علت أصوات البعض ممن تحركهم الأجهزة الناعمة لإطلاق تعابير طائفية

ويرفض الاعتداءات التي يتعرض لها غير المسلمين في العراق وخارجه فقال: ان البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى العمل الجاد والدؤوب _ ولا سيما من الزعامات الدينية والروحية _ لتثبيت قيم المحبة والتعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين أتباع الاديان والمناهج الفكرية .

خاطب السيد السيستاني الذين يتعرضون بالسوء والأذى للمواطنين غير المسلمين من المسيحيين والصابئة وغيرهم قائلاً: أما سمعتم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بلغه أن امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الاسلام وأرادوا انتزاع حليها. فقال عليه السلام: (لو أن امرأة مسلماً مات بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي حديراً). وكانما يرشد الناس الى عدم الاساءة الى اخوانهم في الوطن الواحد (٨٢)

ينظر السيد السيستاني للشعب العراقي النظرة الابوية دون اي تمييز ، مهما اختلفت قومياتهم واديانهم ومذاهبهم ، اتضحت وبشكل لا لبس فيه من مواقفه المتعددة من الازمات والمشاكل والقضايا التي واجهها العراق خلال السنوات العشر الماضية أكدت المرجعية الحكيمة على اسس التعايش السلمي واعتبرتها آلية ناجحة لمعالجة مخاطر التنوع في الانتماء المذهبي والديني وعلى مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية والعقائدية وهذه الأسس هي :

١. إدراك المشتركات بين مختلف المذاهب الاسلامية سواء في العقيدة (التوحيد، النبوة، المعاد)

٢. احترام عقائد ومذاهب الطرف الآخر بشكل يحفظ العلاقة الوطنية المشتركة بين افراد الوطن الواحد.

٣. العلاقة الوجدانية المتمثلة بالعطف والرحمة التي فرضها الحديث الشريف (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم..) فان هذا الحديث فرض مساحة نفسية واسعة من التعاطف القلبي الثمر للتحرك الاجتماعي الايجابي نحو الآخر بما يحفظ قوة العلاقة المجتمعية.

٤. التسليم بان التعدد الديني والمذهبي امر واقع لا مناص منه ، وادراك ان التعدد هو ليس بمشيئة البشر وانما المشيئة الالهية هي التي فرضته على الناس { ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة } (٨٣)

دور المرجعية كقوة ناعمة في التعايش السلمي

جاء الدين الاسلامي مكملًا للديانات الاخرى ومحتويًا جميع تشريعاتها التي تخص التعايش السلمي بين الانسان واخيه الانسان بغض النظر عن معتقداته الدينية، وكأنه جاء ليقضي على اسباب الفتن ، وينزع الصراعات الفكرية بين الاديان ، ويهيئ للناس مهما اختلفت دياناتهم فرص الانسجام الحياتي والتعايش السلمي

ولو بحثنا في جميع الاديان لن نجد دين يحتوي جميع الاديان ويحقق فرص التعايش السلمي كما في الدين الاسلامي، كذلك جاء الاسلام بمنهج يحمل الوفاق العالمي للبشرية فقال تعالى {وتحيتهم فيها سلام}

ثم جاء دور الائمة الاطهار ليبينوا دور الاسلام في التعايش السلمي الى ان جاء دور المرجعية في ذلك.

وبما ان المرجعية الحكيمة نشأت من منهجية الرسول (ص) واله الاطهار ، لذلك جاء دورها في وضع صياغ انساني ينسجم مع جميع الاطياف والديانات صياغ تعايش سلمي

للدyanات المختلفة والتي تجمعهم الانسانية التي فيها يسود الحكم الالهي بينهم وفق مبادئ الديانات الموحدة. (٨٤)

ان حديثنا عن المرجعية الدينية تسجله الوقائع والاحداث الفارقة التي مر بها العراق والشواهد التي تخلق تصوراً واضحاً عن طبيعة هذه المؤسسة المعتقد في العطاء والمشاركة بفعالية على مسرح الأحداث الإسلامية والعالمية هذا الحديث يسعى لرفع التعيم الذي يمارسه البعض على دور هذه المؤسسة أو تشويهه أو الانتقاص منه لحسابات ضيقة وللكاتب والصحفي الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل كلمة رائعة قالها في مؤتمر فلورانس بإيطاليا "إننا نتعلم لغة شعب من الشعوب لكي نستطيع أن نتكلم معه ولكن علينا أن نتعلم تاريخه لكي نفهمه"

لكي يفهم دور المرجعية جيداً يجب مراجعة تاريخ الزعامة الشيعية وكيف أنها تخضع لعملية نقد وغربة من داخل المحيط الحوزوي والمجتمع الشيعي لكي تحظى بثقته فالمرجعية تحركها قناعتها الدينية مع حضور عقلائي في التعامل مع الأحداث ومجريات الأمور.

ولكننا سنقف عند نقطتين هما توضيح وبيان الحقيقة موقف المرجعية النقطة الأولى: عدم خضوع المرجعية لأي أجندة أجنبية فهي تعتمد المبدأ الإسلامي وحفظ حقوق الجميع وكما قال السيد السيستاني للسيد الإبراهيمي: "أنه سيدعم أي توجه يحفظ حقوق الجميع" وإن كان هناك من يفسر الأحداث وفق منطلقاته الخاصة فهذه مشكلته في الحالة التفكيرية

النقطة الثانية: المحافظة على الحقوق العراقية وشهد على ذلك ممثلي الامم المتحدة ، الذين شهدوا بتعاون المرجعية غير المحدود مع الاقتراحات الإيجابية وهو أن المأخوذ بالاعتبار هو مراعاة الجميع دون استثناء. (٨٥)

ولا يخفى علينا الدور الوطني الكبير للمرجعية الدينية في الحفاظ على وحدة نسيج المجتمع العراقي وامنه واستقراره ، ولذلك عندما نذهب الى التاريخ العراقي نجده قد اكتنز في

ثناياه لما للمرجعية الحكيمة من دور كبير في الحفاظ على كيان العراق من التمزق والوصول به الى ضفة الامان وصولا الى التعايش السلمي .

ويمثل التعايش السلمي احدى اهم الدعامات الاساسية التي لا يمكن التخلي عنها لبناء اي مجتمع ، على الرغم من اختلاف الرؤى الفكرية حول طبيعة التعامل مع الجماعات المتباينة في البلاد .

كذلك التعايش هو احساس كل فرد في المجتمع مهما اختلفت الديانات بانه يعيش ويتعايش مع افراد المجتمع من الديانات الاخرى و يفرض على هكذا مجتمع بناء قواعد سلمية لتعايش ابنائه قائمة على اسس القيم الانسانية التي جاء بها القران الكريم تدعو الى الاندماج والالتقاء مع الاخر ، فالتعايش يجعل الانسان يساعد اخيه الانسان ويقف معه في الشدة ويتحملة عند الغضب مثلما كان يتقبله قبول حسن في مختلف الظروف .

ويتضمن التعايش السلمي التعاون المشترك القائم على الثقة المتبادلة وصولا الى تحقيق مصلحة عامة لجميع الاطراف وللتعايش السلمي اثر ايجابي في بناء اي مجتمع .

فالتعايش يجعل الانسان يصبر على اخيه الانسان ويقف معه في الشدة ويتحملة عند الغضب كذلك للتعايش اثرا ايجابيا في بناء المجتمع

والتعايش هو شعور كل فرد في المجتمع انه يعيش في جماعة وينتمي اليها وهذا التعايش مبني على قواعد اساسية قائمة على اسس القيم الاجتماعية والتي منها الامن المجتمعي ، فالتعايش السلمي له نتائج ايجابية في بناء المجتمع ونموه^(٨٦)

تدعو المرجعية الى التعايش جنبا الى جنب مهما اختلفت السياسات او تعاقبت عبر الاحقاب الزمنية والى الوقوف كوحدة واحدة ضد اي تدخل خارجي يمس اعراض الناس ومقدساتهم مهما اختلفوا في طوائفهم ، وافضل مثال على هذا التعايش الحشد الشعبي الذي نهض من رحم مكونات الشعب العراقي من المكون المسيحي والصابئي والمسلم وذلك بفضل توجيهات ونداء المرجعية التي شعرت بالخطر على ابناء العراق ، وليس هذا فقط بل اعطت المرجعية الحكيمة توجيهات بجرمة الدماء والاموال والاعراض وان كان من غير المسلم ، وبذلك هي مستندة على كلام الرسول (ص في

حجة الوداع عندما خاطب الناس بقوله : ((ألا وأنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا ليلغ الشاهد الغائب))^(٨٧)

إضافة الى دورها في الحفاظ على الامن القومي والوطني ، والتصدي للحركات التي ناقضت الشريعة السمحاء ، فتصدت المرجعية للحركة الوهابية حين هاجمت مدينة البصرة سنة ١٧٩٣م ، ثم هاجمت كربلاء ١٨٠٢م فنهبوا المدينة وما في الضريح المقدس وسنة ١٩٢٢م هاجمت النجف ، وقد افتت الحوزة انذاك بوجوب حمل السلاح والتدريب عليه والزام طلبة الحوزة انذاك بوجوب حمل السلاح والتدريب عليه والزامهم في التصدي لهذه العصابات ، وبالمقابل التف الشعب العراقي حول المرجعية لما يعلم من اثرها الكبير في استقرار المجتمع الانساني وقد منحها الولاء كقائد اروحيا تربويا ومؤسسة ارشادية وتوجيهية في الوقت نفسه .^(٨٨)

وعرفها في عام ٢٠٠٤ بانها تعني القدرة على التحكم والتأثير في سلوك الغير بما يخدم تحقيقا للأهداف التي تسعى اليها ، او هي قدرتها على التأثير في المحصلات التي تريدها وتغيير سلوك الآخرين عند الضرورة^(٨٩)

وبما ان للمرجعية الدينية دور في توجيه الأمة ، باعتبارها اداة فعالة في توعية المجتمع وتعديل الصراع الفكري بين المسلمين ، وايقاف المجازر الدموية وابدالها بالتعايش السلمي مستندة الى قوله تعالى { ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد }^(٩٠)

تعني هذه الاية ان الفصل والجزاء بين الاديان لا يكون في الحياة الدنيا وانما في الاخرة ، ولانه لا يمكن ان يكون قاضيا في هذه القضية الا الله سبحانه ، ولذلك قال لهم القران للديانات كافة { يابني ادم }

ولو نقرا تاريخ المرجعية نجده يتضمن رعاية الشعب العراقي بجميع طوائفه وفرقه وتفقد شؤونهم ، والذب عنهم اذا غزى ارضهم كافر .

ودورها في الاتفاق على البؤساء والمحرومين في الوطن بغض النظر عن معتقداتهم الدينية والقومية. (٩١)

تستند القوة الناعمة على القدرة الاقناعية والجذب والسمعة الطيبة والسلطة المعنوية الشرعية والأخلاقية، والجاذبية الثقافية، والمصادقية. (٩٢)

ويكفي الفخر بمقولته المثالية عن السنة : ((لا تقولوا إخواننا بل قولوا أنفسنا)) والمواطنة تقوم على تعزيز الهوية الوطنية ورفض اقضاء او تهमيش الطرف الاخر ، لذلك المرجعية الموقرة تمثل تعزيز للهوية الوطنية لجميع اطياف الشعب العراقي في الوسط والجنوب والشمال ترشدهم وتنصحهم على التعايش السلمي في المجمع ، والى الانصهار في هوية وطنية واحدة ضد اي غزو او احتلال يدخل العراق ، وذلك ما لمسناه عند دخول الارهاب وهجرة المواطنين بسببه من الموصل الى النجف الاشرف ، وعليه فان التعايش السلمي مع اخواننا من المذاهب الاخرى والديانات والقوميات قد اسهم في تحقيق حالة من الاستقرار في بنية المجتمع وعزز الهوية الوطنية .

ونتيجة لذلك يمكن القول بان التعايش السلمي بين القوميات والمذاهب يسهم في تحقيق حالة من الاستقرار النفسي في بنية المجتمع ويؤدي الى تعزيز وترسيخ الهوية الوطنية وتعتمد القوة الناعمة في القدرة على الجذب اللين للآخرين وان لم يشتركوا معك في الدين او القومية وانما العامل المشترك قد يكون مثلاً الوطن ، واحتواء الآخرين بمعتقداتهم وافكارهم وقومياتهم ، بحيث يرغب الآخرون في فعل ما ترغب فيه من دون حاجة إلى اللجوء إلى استخدام القوة الصلبة او إصدار أوامر ونواهي (٩٣)

كذلك لها دور تربوي ارشادي لاهناء المجتمع (القوة الناعمة من خلال الارشاد والتوجيه التربوي الاخلاقي ، وربما تحريكهم وفق اتجاه تربوي اخلاقي محدد ، يمكن ان يعد وسيلة اتصال تربوية ذات قيمة انسانية عليا بين افراد المجتمع كافة

كذلك دورها الوطني كونها صمام امان للشعب في شحذ همة اهبناء المجتمع في التصدي الى الاخطار الخارجية ، وليس بعيدا علينا لما للمرجعية الدينية من دور فعال في التصدي للحركات الارهابية التي مرت بالعراق ، فقد كانت القوة الناعمة الدافعة لشحذ الهمم

لابناء الشعب لترك الغالي والنفسي والنزول الى ساحات الوغى من خلال توجيهاتها عبر خطب الجمعة ، والمنبر الحسيني للحفاظ ليس فقط على الدين والمعتقد وانما على قيمة الانسانية ووحدة الوطن وصولا الى التعايش السلمي بين ابنائه .

وليس هذا فقط ، فقد اتخذت المرجعية الدينية دورا تربويا اعلاميا رائدا في توعية الشعب في التعامل مع مختلف الثقافات المصدرة لنا من الخارج وقنواتها التواصلية لما فيها من تناشز فكري اوشك ان يكون شقاء نفسي للانسان بل لكل اسرة ، فدخلت في تهذيب الاخلاق الاجتماعية من اجل التعايش السلمي بين ابناء المجتمع .^(٩٤)

ونشر لثقافة التعايش السلمي المبني على الاحترام المتقابل بين أتباع مختلف المذاهب. أفتى المرجع الديني آية الله السيد علي السيستاني، بحرمة الدم العراقي بشكل عام والدم السني بشكل خاص، داعياً الشيعة الى درء الخطر عن السنة في العراق.^(٩٥)

الخاتمة

قدمت المرجعية الرشيدة منظومة متكاملة ترعى المسيرة التعايشية بين اطياف الشعب العراقي، كل ذلك في سبيل أن يحيا الإنسان حياة طيبة شعارها السلام، ومنهجها وفكرها لا يحيد عن الإسلام.

من هنا كان منطلقها، بناء وتثبيت أواصر التعايش السلمي ، وسبله ، والعاقل من أدرك أن الحياة تسع الجميع، وأن الأفكار قابلة للنقاش، وأن الإسلام بعث الله به الأنبياء، وألف به بين شعوب الأرض، وأصلح به السلوك وبه تصلح نفوس لتقبل التعايش من الآخر ، فالإنسان الحق هو من قام بحق الإنسانية وحفظها لأبناء جنسه، والمسلم الحق من حفظ للإنسانية حقوقها، وبادلها بالرفقة والشفقة والإحسان

إن التعايش السلمي في ضوء مقاصد الشريعة وقواعدها ومبادئها ضرورة بشرية، وسنة نبوية وعبادة ربانية.

ان القوة الناعمة تبني مشروع التعايش السلمي لكل الاختلافات العقدية والفكرية وغيرها، وتجريم حاضني ومروجي العنف والكراهية ، من خلال ادوات قوتها الناعمة مثل التوعية الاعلامية من الاحداث والمواقف التي حدثت في العراق

والمؤتمرات والبحوث التي تصب على دور المرجعية الرشيدة في كيفية معالجة الازمات التي يمر بها العراق

وتوظيف شبكة الانترنت في التعرف على الدور الفعال والابوي للمرجعية الرشيدة وأكد على مواقفه المتكررة من ضرورة جمع كلمة المسلمين ونبذ الفرقة والاختلاف بينهم والتزام الجميع بحرمه دم المسلم وعرضه وماله أيّاً كان مذهبه، وشدد على وفي ضوء النتائج التي توصلت اليها الدراسة فإنها توصي بما يلي:

العمل على زيادة الوعي الوطني في كيفية التعامل مع موجات القوة الناعمة بمختلف توصيفاتها الثقافية والاعلامية والسياسية.

التأكيد على أن تكون هوية المواطنة هي الهوية الجامعة لكل ابناء المجتمع وبمختلف طوائفه وانتماءاته لتحقيق التعايش السلمي

الهوامش:

(١) المائدة ٥

(٢) عبد العظيم ابراهيم المطعني ، ١٩٩٦

(٣) الفضلي صلاح مهدي ص ٤٥

(٤) قناة المنار . موقع نت

(٥) خالد خمّس السحات ص ٩

(٦) الفضلي صلاح مهدي ، ص ٢٧

(٧) ابن منظور لسان العرب ج ١٣ ، ٢٨٩

(٨) ابن فارس ، ص ٢١

(٩) Joan, Olivier, ٢٠١١

(١٠) Joseph, ٢٠٠٠ : ٥٢٥

(١١) Joseph s.nye, ٢٠٠٣

(١٢) اياد خلف عمر الكعود ، ٢١١ ص

(١٣) مجيد ، موقع نت

(١٤) ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، ص ١٨

(١٥) حسين علي بحيري ،

- (١٦) جوزيف ناي ٢٠٠٧، ١،
- (١٧) ترجمة محمد توفيق البجيرمي، ص ٢٤
- (١٨) اياد خلف عمر الكعود ٢٠١٦
- (١٩) علي جلال معوض ٢٠١٩، ١٠٧،
- (٢٠) علي جلال معوض ٢٠١٩، ١٠٧،
- (٢١) ناي، ٢٠١٤، ٤٤،
- (٢٢) علي جلال معوض ٢٠١٩، ٢٦ ص
- (٢٣) محمد حمدان، ص ٨٩
- (٢٤) محمد حمدان، ص ٨٩
- (٢٥) Joseph, ٢٠٠٠: ٥٢٥
- (٢٦) John R. P. French
- (٢٧) علي جلال معوض ٢٠١٩، ٨٨،
- (٢٨) Nye (Jr.), Soft Power ٢٠٠٠، ٣٣
- (٢٩) جوزيف ناي ٢٠١٢، ص ٦٥
- (٣٠) محمد ناصر العذاري، ٢٠١٧، ص ٤٣
- (٣١) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٤٦
- (٣٢)
- (٣٣) محمد ناصر العذاري، محمد حسن الدريندي، ٢٠١٧، ص ٥٤
- (٣٤) رباح صعصع عنان، ٢٠١٨، ١٣، ص ٣٦
- (٣٥) محمد ادبيي مهر، يد الله ملايري Balahgah.net
- (٣٦) رباح صعصع عنان، ٢٠١٨، ١٣،
- (٣٧) محمد عبد الفتاح ٢٠١١، ص ٥٥
- (٣٨) محمد ناصر العذاري، ٢٠١٧، ص ٤٣
- (٣٩) الفتح ٢٩
- (٤٠) انصاري غرر الحكم، / ج ١، ص ١٤٣
- (٤١) ال عمران ١٣٤
- (٤٢) غرر الحكم ١٠٦٨
- (٤٣) النحل: ٩٠

- (٤٤) العتبة العلوية المقدسة ، ٢٠١٢ ، ١٣
- (٤٥) حسن علي المصطفى ، ٢٠١٤ ، ٩٥ ص
- (٤٦) (سبأ: ٢٨).
- (٤٧) محمد سعيد الحكيم ، ١٩٩٨، ٢٣
- (٤٨) الأنعام: ١٠٨
- (٤٩) ﴿النحل: ١٢٥﴾.
- (٥٠) عمر معروف ، ١٤٢٨هـ ، ص ١١
- (٥١)
- (٥٢) الاحرار ، ٢٠١١ ، ٤٧٧ ، العدد ٢٧٦
- (٥٣) عبير سهام مهدي ، ١٧٨
- (٥٤) النحل ١٢٥
- (٥٥) البقرة ٢٥٦
- (٥٦) عبير ، ص ١٩١
- (٥٧) التوبة ١٢٢
- (٥٨) باقر شريف القرشي ، ١٥٦
- (٥٩) السبحاني ، باقر شريف القرشي ٢٠١٤ ، ١٥٦
- (٦٠) صلاح مهدي الفضلي ، ص ٢٦
- (٦١) الفضلي صلاح مهدي ، ، ص ٧٨
- (٦٢) الفضلي صلاح مهدي ، ، ص ٢٨
- (٦٣) علي عبد سلمان ، ٢٠١٨
- (٦٤) الانفال ٧٤
- (٦٥) مجلة الاحرار ٢٠٠٦ ، ١٨
- (٦٦) مجلة الاحرار ٢٠٠٦ ، ١٤٢
- (٦٧) الاحرار ٢٠٠٦ ، ٢٦٥
- (٦٨) مجلة الاحرار ، ٢٠١٠ ، ٣٩٣
- (٦٩) عباس إسماعيل الغراوي ، ٢٠١٩ موقع نت
- (٧٠) الزمر: ١٧ - ١٨
- (٧١) مجلة الاحرار ، ٢٠١٠ ، ٢٨٨

- (٧٢) مجلة الاحرار ص ٣١٣، ٢٠١٠
- (٧٣) الزق احمد يحيى ، ٢٠١٢ ، ص ٢٧٨
- (٧٤) اليوسف، عبد الله أحمد، ص ٢١
- (٧٥) محمد شيخ احمد ، ص ٦٥
- (٧٦) الفضلي، ص ٣٩
- (٧٧) نفس المصدر السابق
- (٧٨) الفضلي ، ص ٧٠
- (٧٩) علي عبد سلمان ، موقع نت
- (٨٠) جودت القزويني ، دار الرافدين ، ٢٠٠٥ ، ٣٤١
- (٨١) قناة المنار ، موقع نت
- (٨٢) شبكة الكفيل ، موقع نت ٢٠١٥
- (٨٣) سامي محمد العيد ، ٢٠١٥ ، موقع نت
- (٨٤) محمد ناصر العذاري ، ٢٠١٧ ، ص ٣٦
- (٨٥) سليم كاطع علي ، موقع نت
- (٨٦) محمد ناصر العذاري ، ٢٠١٧ ، ص ٤٥
- (٨٧) عبير سهام مهدي ، ص ٤٧
- (٨٨) لفضلي ، ١٥٤ ص
- (٨٩) ناي ، ٢٠٠٤ م: ٢٦
- (٩٠) الحج ١٨
- (٩١) باقر القرشي ، ص ١٥٧
- (٩٢) علي محمد حسين ، ص ٧٧
- (٩٣) جوزيف ناي ، ص ٣١
- (٩٤) قناة المنار ، موقع نت
- (٩٥) مجلة الهادي ٢٠١٣ م ص ٦

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم
٢. ابن منظور لسان العرب ج ١٣ ، ٢٨٩ باب السلم
٣. الفضلي صلاح مهدي ٢٠١١ ، ص ٤٥ الدور الوطني للمرجعية الدينية
٥. اياد خلف عمر الكعود ، ٢١١ ، استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ اهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٦
٦. المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٤٦
٧. السبحاني ، باقر شريف القرشي ٢٠١٤ ، ١٥٦ ، ، حياة الامام المنتظر النجف
٨. الزق احمد يحيى ، ٢٠١٢ ، ص ٢٧٨ علم النفس
٩. انصاري غرر الحكم ، / ج ١
١٠. اليوسف ، عبد الله أحمد ، ص ٢١ . مرتكزات المنبر الحسيني المتميز
١١. باقر شريف القرشي ، ١٥٦ حياة الامام المهدي
١٢. خالد خمس السحات ص ٩ ، الدور المدن للجماعات : لمركز الديمقراطي العربي برلين - ألمانيا. ٢٠١٧
١٣. حسين علي بحيري ، القوة الناعمة ، بحث منشور على موقع المركز الدولي للدراسات المستقلة والاستراتيجية
١٤. حسن علي المصطفى ، ٢٠١٤ ، ٩٥ صالتعايش السلمي ، المركز الاسلامي الثقافي
١٥. جوزيف ناي ، ٢٠١٢ ، القوة الناعمة ، مكتبة العكيان
١٦. جودت القزويني ، دار الرافين ، ٢٠٠٥ ، ٣٤١ المرجعية الدينية العليا ، بيروت
١٧. رباح صعصع عنان ، ٢٠١٨ ، ١٣
١٨. عبد العظيم ابراهيم المطعني ، ١٩٩٦ مبادئ التعايش السلمي في الاسلام ، دار الفتح للاعلام العربي القاهرة
١٩. علي جلال معوض ٢٠١٩ ، ٢٦ ص مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية الإسكندرية

٢٠. عمر معروف، ١٤٢٨هـ، ص ١١، التعايش السلمي، بحث بمجلة أصول الدين جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني، سنة .

٢١. عبير سهام مهدي، ١٧٨، التعايش السلمي ودوره في تحقيق الوحدة الوطنية

٢٢. علي عبد سلمان، ٢٠١٨ موقع نت ٦، ٢٠١٨ <https://iraq.shafaqna.com/>

لسيد السيستاني والأخذ بالعراق على الطريق الصحيح

٢٣. عباس إسماعيل الغراوي، لمرجعية الدين وأثرها في التعايش السلمي - السيد

السيستاني أنموذجاً - LATEST مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية

٢٤. علي محمد حسين، ص ٧٧ العتبة العباسية، الحرب الناعمة، المركز الاسلامي

للدراستات الاستراتيجية سلسلة ١١

٢٥. مجلة الهادي ٢٠١٣ م ص ٦ الوعي الوطني في كيفية التعامل مع موجات العولة

بمختلف توصيفاتها الثقافية والاعلامية تصدر عن مكتب الشؤون الثقافية في لندن

العدد ٣٨

٢٦. محمد حمدان، المصدر السابق، القوة الناعمة وادارة الصراع عن بعد .

٢٧. محمد ناصر العذاري، محمد حسن الدريندي، ٢٠١٧ .

٢٨. محمد سعيد الحكيم، ١٩٩٨، المرجعية الدينية وقضايا اخرى، مكتبة نرجس

٢٩. محمد توفيق البجيرمي، القوة الناعمة (السعودية: العبيكان، ٢٠٠٧

٣٠. محمد شيخ احمد، ٦٥ القيم الاخلاقية لرعاية حقوق الانسان في ضوء السيرة

النبوية،

٣١. مجلة الاحرار ٢٠٠٦، ١٨، التبعة للعتبة الحسينية المقدسة

٣٢. مجلة الاحرار، ٢٠١٠، ٣٩٣ العدد ٢٦٨

٣٣. الاحرار ٢٠١١، ٤٧٧، العدد ٢٧٦

مواقع النت

١. اثر التحول من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة في العلاقات الدولية

٢. مبادئ التعايش السلمي وفق رؤية المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف

<https://iraq.shafaqna>

٣. سامي محمد العيد شبكة الكفيل ٢٠١٥/١/٠٦
٤. سليم كاطع علي/مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية
٥. محمد ادبي مهر ، يد الله ملايري Balahgah.net
٦. مجيد، موقع إيلاف، منشورة بتاريخ ٢٢/١١/٢٠١٣
<http://www.elaph.com/Web>
٧. العتبة العلوية المقدسة ، ٢٠١٢ ، ١٣ موقع نت
المصادر الاجنبية:
١. Dorwin Cartwright, Research Center for Group Dynamics Series ٦
(Ann Arbor, MI: University of Michigan, Institute for
٢. John R. P. French (Jr.) and Bertram Raven, “The Bases of Social
Power”, chap. ٩ in Studies in Social Power, edited by
٣. Joseph S. Nye,(٢٠٠٣) Limits of American Power, Political
٤. Science Quarterly ،Joan,Olivier, ٢٠١١.. ٣.
٥. George R. Goethals, Georgia J. Sorenson and James MacGregor
Burns, vol. ٣, M–R (Thousand Oaks, CA: SAGE, ٢٠٠٤
٦. Nye (Jr.), Soft Power: The Means to Success
٧. Nye (Jr.), The Future of Power: ١١٣–١٥٣; Seiichi Kondo, ((١٢(
“Wielding Soft Power
٨. Social Research, ١٩٥٩): ١٥٠–١٦٧; Bertram H. Raven, “Power, Six
Bases of”, in Encyclopedia of Leadership, edited by

آداب التعايش التي تخلق بها ال بيت النبي (عليهم السلام) مع الفرد والمجتمع ودور المرجعية في ترسيخها

م* د نور نظام الدين الحسيني

جامعة بغداد / كلية التربية _ ابن رشد

المقدمة:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي انزل آيات الذكر الحكيم ، وبين فيها آداب التعايش بين المسلمين وغير المسلمين ، والصلاة والسلام على من دعا الناس برأفة ولين ، فكان حقاً ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن من نعم الله تعالى علينا التي من واجبنا شكرها ، أن جعلنا من خدمة كتابه العزيز في زمن تمر فيه الأمة الإسلامية ، وبلدنا بالذات بمرحلة خطيرة من حياتها ، إذ تكالب عليها أعداؤها من كل مكان ، وتحالفت عليها قوى الكفر والطغيان ، بعد أن رأوا ابتعاد الأمة عن منهج القرآن ، وتفرقت جمعها ، وكفر جهالها علماءها فسفت دماؤهم ، واعتدوا على صالحها فلم يعرفوا لهم قدرهم ، وتفرقت الأمة على مذاهب يكفر بعضها بعضاً ، فباتت الأمة مكسورة الجناح ، تنن أنين الثكلى على هذا المصاب ، ثم دب مرض الشقاق ، والخلاف حتى داخل بعض الأسر ، فأضحى الابن لا يعرف حق والديه فعقهما ، والأب لم يسلك مسلك القرآن في تأديب أبنائه ، والزوج والزوجة كل منهما أخطأ الطريق فصارت معيشتهم ضنكا .

كل هذه الجراح حلت بقلب كل مؤمن ، وهو يسأل: ما العلاج لما يجري في بلدنا ، وسائر البلدان التي تصدع بنيانها ، وضعفت الروابط الاجتماعية بين أسرها ؟ ، بل إن بعض الدعاة أخطؤوا سبيل علاجها ، فوضعوا الدواء في غير موضعه ، فسارت سفينة المجتمع في موج هائج ، وريح عاصف حتى باتت مكسورة الشراع لا تعلم ما مصيرها ؛ فكان الجواب هو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةَ أَعْمَى ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿٤﴾ فيوم أعرضت الأمة عن القرآن ، ولم تطبق منهاجه كان هذا حالها .

كلُّ هذا وغيره ممَّا لا مجال لذكره في هذه المقدّمة كان سببا في اختيارنا لهذا الموضوع من أجل تذكير المسلمين ومن خلال القرآن الكريم ، كيف تعايش أئمة ال بيت النبي - عليهم الصلاة والسلام- وهم يدعون المسلمين؟ وما هي الآداب التي تحلوا بها وهم يلاقون المشقة من المسلمين ؟ ، وكيف أرشد القرآن الكريم إلى آداب التعايش مع ما ينزل بالإنسان من محن وبلاء؟ بل بلغ من توجيه القرآن الكريم أن علم المسلم آداب التعايش مع غير المسلم، فيحفظ ماله، ويكرمه لأن له حق الحياة، وان يعامله بالعدل فلا يبغى عليه .

لهذه المعاني السامية التي تحلى بها ال بيت النبي (عليهم السلام)، وللإسهام في خدمة كتاب الله أولا، ولتقديم شيء في زمن كثرت فيه الفتن التي تعصف بالأمة، رأينا أن يكون البحث (آداب التعايش التي تحلى بها ال بيت النبي (عليهم السلام) مع الفرد والمجتمع ودور المرجعية في ترسيخها .

وقد كان منهجنا في هذا البحث، اختيار أبرز آداب التعايش التي تحلى ال بيت النبي (عليهم السلام) .

وقد قسمنا بحثنا هذا على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

تناولنا في المقدمة اهمية التعايش بين المسلمين وسبب اختيار الموضوع .
وتناولنا في المطلب الاول: الآداب لغة واصطلاحاً، والتعايش لغة واصطلاحاً .
والمطلب الثاني: آداب دعوة ال بيت النبي (عليهم السلام) بالحكمة والموعظة الحسنة .
والمطلب الثالث: الكلام عن أثر حب ال بيت النبي (عليهم السلام) في الفرد والمجتمع ودور المرجعية في ترسيخه .

أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج . وهي:

١- إن القرآن الكريم أولى جانب الدعوة اهتماما كبيرا ، وان دعوة كل الأنبياء كانت باللطف واللين وخفض الجناح ، واستعمال الألفاظ التي فيها استمالة للقلوب والعقول ، فدعوة ال بيت النبي (عليهم السلام) هي امتداد لدعوة الانبياء (عليهم السلام) فالواجب علينا اتباعهم لمعرفة آداب تعايشهم مع المسلمين .

٢- أعظم صور التعايش رسمها ال بيت النبي (عليهم السلام) خلال تعايشهم مع أقوامهم ، وهم يلاقون أصناف العذاب والتهديد ، والوعيد ولم ينهم هذه الصعوبات عن دعوتهم .

٣- شملت آداب تعايش ال بيت النبي (عليهم السلام) جميع أفراد المجتمع ونواحي الحياة ، فيريدو (عليهم السلام) لأفراد المجتمع ان تتماسك لبناته ، فاليتم وذلك من خلال حبهم للمسلمين والتمني لهم ما يمتنون لانفسهم ، وأرشادهم إلى الصصح عن الزلات لان تتبع الهفوات يقلل من روابط المجتمع .

٤- اللجوء إلى الله والاستعانة به وترك الشكوى ، وهي آداب تعايش تحلى بها ال بيت النبي (عليهم السلام) .

٥- الثبات والذكر ، ومن آداب التعايش التي تحلى بها ال بيت النبي (عليهم السلام) منها في ساحات القتال ، ومنها الوقوف بوجه عروش الكفر والطغيان . وفي الختام نسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به المسلمين ، فما كان فيه من صواب فهو فضل الله ، وما كان فيه من نقص وخلل فمن انفسنا والشيطان ، فعمل البشر لا يخلو من نقص وخلل ، وعذرنا أننا بذلنا غاية جهدنا واستطاعتنا

المطلب الاول: تعريف ادب التعايش

تعريف الآداب لغة واصطلاحاً:

الآداب لغة : جمع أدب ، مثل سبب وأسباب ، وهو رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي ، فيقال: (أدبه) ، أي: راضه على محاسن الأخلاق ولقنه فنون الأدب ، وسمي الأدب أدبا؛ لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح^(٣) ، ثم تطورت لفظة (أدب) التي تعني الأخلاق وتعني التعليم فشملت جميع المعارف ، ولاسيما

البلاغة واللغة ، إذ عرف الأدب بأنه: (حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف) ^(٤)، فأصبحت كلمة أدب تدل على العلوم والمعارف ، وأصبح لكل شريحة من شرائح المجتمع آداب ، فأصبح يقال أدب العالم وأدب المتعلم، وأدب القاضي ، وأدب النفس ، بل إن هذه الكلمة شملت جميع مرافق الحياة ^(٥) .

تعريف الآداب اصطلاحاً:

عرف الأدب بعدة تعريفات جاءت عن جمع من العلماء أفرقت في اللفظ وتقاربت في المعنى منها:

١- قال ابن حجر: (الأدب استعمال ما يحمد قولاً وعملاً ٠٠٠ وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك) ^(٦) .

٢- وعرف ابن القيم الأدب بأنه: اجتماع خصال الخير في العبد ، ثم قسم الأدب إلى ثلاثة أنواع : أدب مع الله ﷻ ، وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه ، وأدب مع الخلق ؛ وعرف الأدب مع الخلق بقوله : هو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق ^(٧) .

٣- وعرفه المبارك فوري في تحفة الأحوزي فقال : (الأدب : هو حسن الأحوال من القيام والتعود وحسن الأخلاق) ^(٨) .

٤- وعرفه صاحب كتاب آداب المسلم فقال: (الآداب: هي جملة الأخلاق الفاضلة التي تتعلق بالأقوال والأفعال) ^(٩) .

ومن جملة هذه الأقوال التي عرف بها العلماء كلمة الأدب يمكن أن نقول: إن مفهوم الأدب يعني:

التحلي بالأخلاق الحسنة في معاملة الخلق على اختلاف مراتبهم، والرفق بهم قولاً وعملاً على الوجه الذي أراده الشرع .

والأدب لا يكون إلا في الأمور المشروعة غير الممنوعة، فلا أدب في الظلم والخيانة، والكذب، ولا أدب في الأعمال القبيحة ، ثم إن لكل مجتمع آدابه التي تعارفها .

إن أهمية الأدب تكمن في ضرورته للمسلم في تعامله مع ربه ومع نفسه ومع الناس ، فان الأدب شامل لكل جوانب الحياة ، وقد عנית النصوص الشرعية بمختلف الآداب

وثمارها في الحياة الدنيا والآخرة ، وكذلك العلماء تكلموا على الآداب وأوضحوها وبينوها للناس ، فألفوا الكثير من الكتب في شرح الآداب الإسلامية وبيانها مثل : (الأدب المفرد للإمام البخاري) ، و (آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي) ، و (آداب الصحبة والمعاشرة للإمام أبي حامد الغزالي) ، و (عنوان التوفيق في آداب الطريق لابن عطاء الله السكندري) ، و (الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي) .

ثانياً: تعريف التعايش لغة واصطلاحاً:

تعريف التعايش لغة: الأصل في اشتقاق كلمة التعايش هو: (عيش) ، والعيش المصدر، وكل شيء يعاش به ، أو فيه فهو معاش قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾^(١٠) ، ومعاش لا تهمز لأنها مفاعل من العيش واحدها معيشة ، أي أن (الياء) أصلية وليست زائدة ، والأصل معيشة على وزن مفعلة وهي ما يعاش به من النبات والحيوان ، ويقال (تعاشوا) عاشوا على الألفة والمودة ، وعاشه: عاش معه^(١١) .

التعايش اصطلاحاً :

لم ترد لفظة التعايش في القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة ، ولكن وردت ألفاظ (معاش)^(١٢) ، و (معاشا)^(١٣) ، و (معيشة)^(١٤) ، و (عيشة)^(١٥) .

لذلك عرفها العلماء الذين ألفوا في هذا الباب بعدة تعاريف كل حسب فهمه لمعنى التعايش ، ومن هذه التعاريف:

١- التعايش : (كلمة تعني العيش المشترك مع الآخرين ، ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة ، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إن وجد بينهما تفاهم ، ورغبة بعيشة مشتركة ، لُحِمَتْهُمُ الألفة ، وسُدَّاهَا المودة والثقة)^(١٦) .

٢- التعايش: (هو تعريف غير المسلمين بديننا ، والدعوة إليه ، فان لم يقبلوه ديناً لهم ، فينبغي حينئذ وضع القواعد التي تكفل حقن الدماء ، والتمكين للناس من السعي في الأرض وإقامة العدل بين الناس ، والتعاون فيما يمكن التعاون فيه)^(١٧) .

٣- التعايش : (هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش - أي الحياة - فيما بينهما على وفق قاعدة يحددانها ، وتمهيد السبل المؤدية إليه ، إذ إن هناك فارقاً بين أن يعيش

الإنسان مع نفسه ، وبين أن يتعايش مع غيره ، ففي الحالة الأخيرة يقرر المرء أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثان ، أو مع أطراف أخرى ، تقوم على التوافق حول مصالح ، أو أهداف ، أو ضرورات مشتركة) (١٨) .

من مفهوم هذه التعريفات الثلاثة نقول قد يطلق ويراد به عدة مدلولات ؛ لكن الذي نقصده هو التعريف الآتي:

القبول بحياة مستقرة قائمة على العدل والتسامح ؛ واحترام متبادل ؛ وتفاهم من كل طرف .

وبناءً على ما قدمنا لمدلولي الآداب والتعايش في اللغة والاصطلاح ، يمكن أن نخرج بمفهوم لآداب التعايش فنقول :

هما استعمال الأخلاق الحسنة في التعامل مع الخلق ، ومع الأحداث التي تمر على الإنسان ، على الوجه الذي أراده الشرع ، من أجل العيش في حياة مستقرة ، قائمة على ما يرضي الله ﷻ ، ورسوله ﷺ .

المطلب الثاني

آداب التعايش التي تحلى بها ال البيت (عليهم السلام)

اولاً: نكران الذات

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) المنزه من كل مظهر من مظاهر التكبر ولم يكن ذلك على المستوى النظري فقط وانما طبقه بشكل عملي على واقع حياته الشريفة، وقد روى المؤرخون من ذلك بوادر كثيرة رائعة ومنها انه وفد عليه شخص فاخذته هيبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واختطف الرعب سحنات وجهه فخفف عنه النبي (وقال له) انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) . (١٩)

اجل لقد علمنا الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بسيرته العطرة ان العظمة والعبودية بجميع ابعادها انما هي لله تعالى خالق الكون وواهب الحياة فله وحده تعنو الوجوه لا لغيره.

ولذلك نريد ان ننهل من غصن آخر من اغصان تلك الشجرة المباركة التي شاء الله تعالى ان تغدق على العباد بثمارها التي لا تنفد وهو الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لقد كان الصادق آية من آيات الله عز وجل في سمو اخلاقه وكان امتداداً لاخلاق جده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونذكر مثلاً يشير الى تواضعه ومقته وشجبه للتكبر روي انه قال لرجل: (من سيد قبيلتك؟ فقال الرجل: انا فانكر الامام ذلك وقال له: لو كنت سيدهم ما قلت انا)^(٢٠)

وكان من تواضع الامام الصادق (عليه السلام) انه كان يرفض الجلوس على الفرش الفاخرة ويجلس على الحصير، وكان يرى ان التكبر على خلق الله تعالى من افحش الصفات التي تهبط بالانسان الى مستوى سحيق.^(٢١)

ثانياً: صدقة السروالسقاء عند اهل البيت (عليهم السلام)

ان صدقة السر من الصفات النبيلة وهو ينم عن سمو الذات وشرف النفس وهو من الصفات الاصيلية لخاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم).

لقد كانت الصدقات في السر وفي غسق الليل من مناهج ائمة اهل البيت (عليهم السلام) لانها من الاعمال الخالصة لله تعالى لا يشوبها أي غرض من اغراض الدنيا وكان كل واحد من الائمة العظام يعول جماعة من الفقراء وهم لا يعرفونه وكان الامام الصادق (عليه السلام) (يحمل جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم ويذهب به الى اهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسمه فيهم وهم لا يعرفونه، فلما انتقل الامام الى رحمة الله تعالى افتقدوا تلك الصلوات فعلموا انها منه، وهكذا كان جده زين العابدين (عليه السلام).^(٢٢)

واما السقاء فهو طبيعة متأصلة عند اهل البيت (عليهم السلام) وقد كان الامام الرضا (عليه السلام) (احب شيء اليه في الدنيا البر بالفقراء وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من جوده وكرمه كان منها: انه انفق جميع ما كان عنده على الفقراء في يوم عرفة حينما كان في خراسان فانكر عليه الفضل بن سهل وقال: ان هذا لمغرم؟ فاجابه الامام (عليه السلام) (بل هو المغنم، لا يعد مغرمًا ما ابتغيت به اجراً وكرماً).^(٢٣)

وهكذا نتعلم من الامام التقي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ان اتفاق المال في سبيل الله تعالى ليس مغرمًا وانما هو مغنم يتقرب به العبد الى الله تبارك وتعالى وهذا هو المغنم الذي فيه الخير العميم.

ثالثاً: الايثار

نريد ان ننهل من نور آخر من انوار الرسالة المحمدية انها فاطمة البتول وبضعة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حيث روى جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنه) (قال: صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) صلاة العصر، فلما فرغ منها جلس في القبلة والناس حوله فاقبل شيخ طاعن في السن وهو يشكو الجوع قائلاً: يا نبي الله انا جائع فاطعمني، وعار فاكسني، فامر به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) باتيان بضعته، فهي التي تسعفه، فانطلق الشيخ الى بيت الزهراء (عليها السلام) فسلم عليها وقال: يا بنت محمد، انا عاري الجسد، جائع، فواسيني يرحمك الله، وكانت الزهراء (عليها السلام) في ضائقة اقتصادية، فلم تجد شيئاً تسعف به سوى جلد كبش ينام عليه ولداها الحسنان (عليهم السلام) (فقالت له: خذ هذا ايها الشيخ، فزهد فيه ورد به اليها، فعمدت سلام الله عليها الى عقد في عنقها فخلعته وناولته له كان قد اهدته لها فاطمة بنت عمها الشهيد حمزة) (عليه السلام) فاخذه الرجل وانطلق نحو النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وقال: يا رسول الله اعطني هذا العقد، وقالت بعه عسى الله ان يعوضك به خيراً فبكى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (وقال: وكيف لا يصنع الله بك خيراً وقد اعطته بنت محمد سيدة بنات آدم. وبادر الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر) (رضي الله عنه) (فاشترى العقد بعشرين ديناراً ومئتي درهم، وبردة يمانية، وراحلة تبلغه الى اهله، واطعمه البر واللحم، فانطلق الشيخ فرحاً مسروراً وهو يدعو لسيدة نساء العالمين: قائلاً: اللهم لا اله لنا سواك، اللهم اعط فاطمة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت. وعمد عمار ذلك الصحابي الجليل (رضي الله عنه) (الى العقد فطيهه بالمسك ولفه في بردة يمانية واعطاه بيد عبد له وقال له: خذ هذا العقد فادفعه الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، ومضى العبد فدفع العقد الى رسول الله (صلى الله

عليه واله وسلم) (فأمره النبي ان يمضي به الى سيدة النساء فاخذته واعتقت العبد، فلما سمع النبي(صلى الله عليه واله وسلم) بذلك ضحك وقال :عظيم بركة هذا العقد اشبع جائعاً وكسا عرياناً واغنى فقيراً، واعتق عبداً ورجع الى صاحبه^(٢٤) وفي الختام نذكر نموذجاً رائعاً من حلم سبط الرسول وسيد شباب اهل الجنة الامام الحسن(عليه السلام) حيث كانت عنده شاة فرآها وقد سكرت رجلها فقال لغلامه :من فعل هذا بها؟ قال الغلام انا فقال له الامام(عليه السلام) (لم ذلك؟ قال :لاجلب لك الهم.

فتبسم الامام(عليه السلام) (وقال له :لأسرنك، ثم اعتقه واجزل له العطاء).^(٢٥) نعم هكذا كان أئمة اهل البيت(عليهم السلام) (رمزاً للانسانية الكاملة وللخلق الرفيع لا يثيرهم الغضب ولا يزعجهم من اساء اليهم فهم شجرة النبوة وموضع الرسالة ومعدن العلم، قد وضعوا نصب اعينهم قول الله تعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)^(٢٦)

وهذا الامام علي بن الحسين(عليه السلام) (المعروف بالسجاد وزين العابدين كان من احب الاشياء اليه الصدقة في السر مخافة ان يعرفه احد من الناس، وقد اراد ان يربط نفسه ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحب في الله تعالى وكان يحث على صدقات السر ويقول((انها تطفيء غضب الرب))^(٢٧)

وكان السجاد عليه السلام يخرج في وسط الليل المظلم فيصل الفقراء بهباته وعطاياه وهم لا يعرفونه، وقد اعتاد الفقراء على صلته فكانوا ينتظرونه واقفين على ابواب بيوتهم، فاذا رأوه تباشروا وقالوا :جاء صاحب الجراب وكان له شخص من اقربائه يأتيه بالليل فيناول له الدنانير فيقول له ان علي بن الحسين لا يصلني، ويدعو عليه، فيسمع الامام ذلك ويغض النظر عنه، ولما توفي(عليه السلام) فقد قريه الصلة، وعلم ان الذي كان يصله الامام فكان يأتي الى القبر باكياً معترداً منه، وقال :سمعت اهل المدينة يقولون :ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (عليه السلام) وكان الامام السجاد (عليه السلام) (شديد التكتم في صلاته وهباته فكان اذا ناول احداً شيئاً غطى

وجهه لئلا يعرفه الناس، ويقول الذهبي، انه كثير الصدقة في السر وكان يجعل الطعام الذي يوزعه على الفقراء في جراب ويحمله على ظهره وقد ترك ذلك اثراً عليه^(٢٨) وروى اليعقوبي انه لما غسل بعد وفاته وجدوا على كتفيه جلباً كجلب البعير" والجلبة القشرة التي تعلق الجرح عند البرء "فقليل لاهله: ما هذه الآثار؟ فقالوا: من حملة للطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء".^(٢٩)

رابعاً: مكارم الأخلاق في نظر أهل البيت عليهم السلام
مكارم الأخلاق هبة يهديها الله تعالى لخلقه ترتفع بصاحبها إلى الدرجات العليا والمراتب الرفيعة، وهي درع واقية ضد الآثام والذنوب فلذا أكثر أهل البيت عليهم السلام من الحث عليها بأنواعه الآتية:

١- وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (فَهَبْ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ يُرْجَى وَلَا عِقَابَ يُتَّقَى، أَفْتَزْهَدُونَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟) (٣٠).

٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ثَابِرُوا عَلَى اقْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ». (٣١)
وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثان جمع فيهما أغلب مكارم الأخلاق وهما كما يلي:

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَاِمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا. فَذَكَرَهَا عَشْرَةَ: الْيَقِينُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالْحِلْمُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالسَّخَاءُ، وَالْغَيْرَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْمُرُوءَةُ». (٣٢)

٤- وعنه عليه السلام: «الْمَكَارِمُ عَشْرٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ فِيكَ فَلْتَكُنْ، فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي وَلَدِهِ، وَتَكُونُ فِي وَلَدِهِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ، وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي الْحُرِّ: صِدْقُ الْبَاسِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَإِقْرَاءُ الضَّيْفِ، وَإِطْعَامُ السَّائِلِ، وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنَائِعِ، وَالتَّذَمُّمُ لِلجَارِ، وَالتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ». (٣٣)

وعند التأمل في هذين الحديثين نجد الإمام عليه السلام يحث على رفض الشك باطناً وظاهراً، والرضا بما قسم الله تعالى، والتحلي بعدم الجزع ونبذ الجزع ونبذ الشعور بالملل لاسيما في الطاعات، والعرفان بالجميل ومكافأة المنعم، والتحلي بضبط النفس عند الغضب، والعشرة بالمعروف والتلبس بالآداب الجميلة، والكرم والبذل ابتداءً أو عند السؤال، والحرص على الدين والمعرض والمقدسات، ورد العادي والثبات له، والفتوة والشيمة، وقول الحقيقة، والحفاظ على أمانات الناس وإرجاعها، والتواصل مع القريب، وإكرام الضيف وحسن الجوار، والنجل من الله تعالى ومن الناس عند الإقدام على ما يخذل الحياء.

كما أن هناك صفات أخرى عدّها الأئمة عليهم السلام من مكارم الأخلاق كالعفو عن الظالم، ومواساة الرجل أخاه في ماله .

٥- إذا أردت لميزانك أن يكون ثقيلاً يوم توضع الموازين عليك بالتحلي بالخلق الحسن، وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «ما من شيء أثقل ما يوضع في الميزان من خلق حسن» (٣٤).

خامساً: آداب الحوار التي تحلى بها آل البيت (عليهم السلام)

إن أدب الحوار مع الآخر من الآداب التي بسط الله سبحانه في كتابه الكريم معاني وآيات كثيرة، فكان مما قال جل شأنه مخاطباً موسى عليه السلام: «فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى» (٣٥) وذلك في حوارهما مع فرعون مدعي الألوهية.

فأولى بحوار المسلم مع أخيه المسلم إذا اختلفا أن يتسم بأروع أسباب الأدب. وما احوجنا اليوم لنقف مع السيرة النبوية المطهرة لنرى ذلك الخلق العظيم في أدب الحوار في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي بيت النبوة، وقد ملئ تراث الآل والأصحاب بالحوار القائم على الاحترام المتبادل والمحبة.

ونذكر هنا واحداً من المواقف العظيمة لأحد الذين تربوا في مدرسة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت النبوة، وهو جعفر بن أبي طالب، (رضي الله عنه)، وحواره مع النجاشي ملك الحبشة، ذلك الحوار الذي حمل معالم أخلاق إسلامية وقرآنية

عظيمة، والذي كان من اسباب اسلام النجاشي حين رأى سمو الاخلاق في ادب الخلاف، فضلا عن الحجة والمنطق والتوافق مع الديانات السماوية السابقة بكل انسجام^(٣٦)

وموقف عظيم آخر ولطيف في الوقت نفسه من بيت النبوة عندما وقع بين الحسن بن علي واخيه محمد بن الحنفية، رضي الله عنهما، ملاحاة، ومشى الاشرار بالنميمة بينهما، فأراد محمد بن الحنفية ان يقطع على الاشرار سعيهم، فكتب الى اخيه الحسن يقول: ((اما بعد فإن ابي وباك علي بن ابي طالب، لا تفضلني فيه ولا افضلك، وامي امرأة من بني حنيفة وامك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو ملئت الأرض بمثل امي لكانت امك خيرا منها، فإذا قرأت كتابي هذا فاقدم حتى تترضاني، فإنك احق بالفضل مني))^(٣٧)

وهكذا وبكل ثقة، خاطب محمد بن الحنفية روح الاصاله والشهامة والاحترام المتبادل في اخيه الحسن بن علي (عليه السلام)، فافترض به انه هو الذي سيأتي اليه يسترضيه لانه هو الافضل منه، فأراد ان يبرز لديه جانب التميز هذا .
فما احوجنا اليوم جميعا الى هذه الاخلاق الاسلامية الراقية التي ترقق القلوب وتهدي النفس الى طريق الخير والمحبة والسلام.

المطلب الثالث

اثر حب ال بيت النبي (عليهم السلام) في الفرد والمجتمع ودور المرجعية في ترسيخه
ان حب أهل البيت (عليهم السلام) مبدأ رسالي يتضمن أبعاداً مهمة ، لها آثارها في حياة الفرد المسلم وحياة المجتمع الإسلامي ، فحبهم لم يكن مجرد علاقة قلبية أو ارتباط عاطفي يشدنا إلى أفراد معينين لأنهم قريبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته ، بل إنه تعلق بحبل الله الممدود من السماء إلى الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي يتحقق من خلاله ارتباط حياة الفرد والمجتمع بتعاليم السماء وبإرادة الخالق العزيز ، ذلك لأنهم عليهم السلام يمثلون سيدن النبي (عليه وعلى اله الصلاة والسلام

(في الأرض وهم آيات الله والدّالون عليه وفيهم تتجسّد الصفات والكمالات التي يريدّها الله تعالى .

فحبّهم يمثل في الواقع حبّ الله وللقيم الربانية والكمالات الالهية ، وهو يسمو بالمؤمن في مدارج الوصول إلى الكمال الذي يريده الله سبحانه .

ومن جانب آخر فان حبّهم عليهم السلام يضمن سلامة الطريق المؤدي إلى الأهداف التي تريدها الرسالة الإسلامية ، ذلك لأنّهم النبع الصافي والمصدر الأمين لأحكام الرسالة ومفاهيمها والانفتاح على قيمها الاخلاقية وعطاءاتها التربوية ، وبذلك فان مودة أهل البيت عليهم السلام ضمان لصيانة الشريعة الإسلامية وخط الرسالة المحمدية وأفكارها وحفظ الأمة من الانحراف كي تسير في السبيل المستقيم الذي يؤمن لها الخير والكمال.

وفيما يلي أهم الآثار المترتبة على حبّ أهل البيت (عليهم السلام) والمعطيات الدنيوية والأخروية لمودتهم وفقاً لما جاء في النصوص الاسلامية:

١ - حبّ أهل البيت (عليهم السلام) حبّ لله وفي الله :

إنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام يجسّد حبّ الله تعالى وحبّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في أجلى صوره ، وذلك غاية أمل المؤمنين ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٣٨). وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣٩).

أن حبّهم عليهم السلام من أكبر المصاديق للحبّ في الله ؛ لأنّه حبّ يتوجه إلى أفراد يحبّهم الله ويندب إلى حبّهم ، وبغض أعدائهم يجسد البغض في الله ؛ لأنّه بغض يتوجه إلى أفراد يبغضهم الله ويأمر ببغضهم ، وذلك حقيقة الإيمان وأوثق عراه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوثق عرى الإيمان الحبّ والبغض في الله » (٤٠).

وعندما يكون حبّهم عليهم السلام لله نال به سعادة الدارين والقرب من منازل الصالحين ، قال الإمام الحسين عليه السلام : « من أحبنا للدنيا ، فإنّ صاحب الدنيا يحبّه البر والفاجر ، ومن أحبنا لله كنّا نحن وهو يوم القيامة كهاتين » وقرن بين سبائتيه (٤١) .

٢ - معرفة الحق والسلامة من الانحراف :

لا ريب أن الفرد المسلم بحاجة إلى المنهل الرائق والنبع الأصيل الذي يضمن له معرفة الحق من الباطل ويحقق له أقرب الطرق التي تؤمن الوصول إلى خير الدنيا والآخرة ، وبما أن الإنسان يميل إلى الأخذ ممن أحب وممن تعلق قلبه به ، فإن من يهوى أهل البيت عليهم السلام سوف يأخذ العلم من أهله ، والدين من محله ، والتنزيل من منزله ، والاعتقاد من أصله ، وبذلك تكون محبتهم عليهم السلام وقاءً وعاصماً من الانحراف في تيارات الباطل والفرق الضالة ، وتكون فيصلاً للدين الحق عن تمويهات المبطلين وتشبهات المغرضين .

٣ - استكمال الدين :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «حبّ أهل بيتي وذريتي استكمال الدين» (٤٢).

٤ - طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

إنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام والتمسك بهم ورد في الكتاب الكريم وعلى لسان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعليه فإن محبتهم طاعة لله تعالى وللرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : قال تعالى « وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً » (٤٣).

٥ - التمسك بالعروة الوثقى :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مخاطباً أمير المؤمنين علي عليه السلام : «يا علي ، من أحبكم وتمسك بكم ، فقد تمسك بالعروة الوثقى» (٤٤). وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقى ، فليتمسك بحبّ علي وأهل بيتي» (٤٥).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «العروة الوثقى المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم» (٤٦).

٦ - اطمئنان القلب وطهارته :

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت هذه الآية ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ^(٤٧) قال : ذاك من أحب الله ورسوله ، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب ، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ، ألا بذكر الله يتحابون » ^(٤٨) .

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : « لا يحبنا عبد حتى يطهر الله قلبه ، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا ، فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب ، وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر » ^(٤٩) .
وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « لا يحبنا عبد إلا كان معنا يوم القيامة ، فاستظل بظلنا ، ورافقنا في منازلنا » ^(٥٠) .

٧ - الحكمة :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من أراد التوكل على الله فليحب أهل بيتي ، ... ومن أراد الحكمة فليحب أهل بيتي ، ... فوالله ما أحبهم أحد إلا ربح الدنيا والآخرة » ^(٥١) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « من أحبنا أهل البيت ، وحقق حبنا في قلبه ، جرت ينابيع الحكمة على لسانه ، وجدد الايمان في قلبه » ^(٥٢) .

٨ - الاغتراب عند الموت :

قال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الأعور : « لينفعنك حبنا عند ثلاث : عند نزول ملك الموت ، وعند مساءلتك في قبرك ، وعند موقفك بين يدي الله » ^(٥٣) .

٩ - الشفاعة يوم القيامة :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي » ^(٥٤) .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الزموا مودتنا أهل البيت ، فإنه من لقي الله يوم القيامة وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا » ^(٥٥) .

١٠ - التوبة والمغفرة وقبول الأعمال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان » (٥٦) .
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « حبنا أهل البيت يكفر الذنوب ويضاعف الحسنات » (٥٧) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « من أحبنا أهل البيت عظم إحسانه ، ورجح ميزانه ، وقبل عمله ، وغفر زلله ، ومن أبغضنا لا ينفعه إسلامه » (٥٨) .
وقال الإمام الحسن عليه السلام : « إن حبنا ليساقط الذنوب من ابن آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر » (٥٩) .
وقال الإمام الباقر عليه السلام : « بحبنا تغفر لكم الذنوب » (٦٠) .

١١ - نور يوم القيامة :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أكثركم نوراً يوم القيامة أكثركم حباً لآل محمد » (٦١) .
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أما والله لا يحب أهل بيتي عبدٌ إلا أعطاه الله عز وجل نوراً حتى يرد عليّ الحوض ، ولا يبغض أهل بيتي عبدٌ إلا احتجب الله عنه يوم القيامة » (٦٢) .

١٢ - الأمن من أهوال القيامة :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ألا ومن أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط » (٦٣) .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحبنا أهل البيت حشره الله تعالى آمناً يوم القيامة » (٦٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «حَبِيّ وَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ أَهْوَالِهِنَّ عَظِيمَةٌ : عِنْدَ الْوَفَاةِ ، وَفِي الْقَبْرِ ، وَعِنْدَ النُّشُورِ ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ ، وَعِنْدَ الْحِسَابِ ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ » (٦٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أَثْبَتَكُمْ قَدَمًا عَلَى الصِّرَاطِ أَشَدَّكُمْ حُبًّا لِأَهْلِ بَيْتِي » (٦٦).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ فَزَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ ، إِلَّا ثَبَّتَتْهُ قَدَمٌ أُخْرَى ، حَتَّى يَنْجِيَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٦٧).

١٣ - دخول الجنة والنجاة من النار :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ بِشَرِّهِ مَلِكِ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مِنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يَزِفُّ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تَزِفُّ الْعُرُوسُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فَفُتِحَ لَهُ مِنْ قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى الْجَنَّةِ ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جَعَلَ اللَّهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » (٦٨).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أَحَبَّنَا اللَّهُ أَسْكَنَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّ ظَلِيلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وَمَنْ أَحَبَّنَا يُرِيدُ مَكَافَأَتَنَا كَفَاءً اللَّهُ عَنَّا الْجَنَّةَ » (٦٩). وعن حذيفة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسين بن علي فقال : «أَيُّهَا النَّاسُ ، جَدَّ الْحُسَيْنِ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ جَدِّ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ، وَإِنَّ الْحُسَيْنَ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبَاهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأُمَّهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَخَاهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَحَبَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَحَبَّ مَحَبَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ » (٧٠).

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « وَاللَّهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَوَلَّى الْأَئِمَّةَ فَيُتَمِّسَهُ النَّارَ » (٧١).

١٤ - الحشر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَرُدُّ عَلَيَّ الْخَوْضُ أَهْلَ بَيْتِي وَمَنْ أَحَبَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي كَهَاتَيْنِ يَعْنِي السَّبَّابَتَيْنِ » (٧٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسن والحسين ، فقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة » (٧٣).

وقال عليه السلام : « من أحبنا كان معنا يوم القيامة ، ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه » (٧٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « من أحبنا ، لم يحبنا لقراءة بيننا وبينه ، ولا لمعروف أسديناه إليه ، إنما أحبنا لله ولرسوله ، فمن أحبنا جاء معنا يوم القيامة كهاتين » وقرن بين سبأتيه (٧٥).

١٥- خير الدنيا والآخرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي ، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة ، فلا يشكّن أحداً أنه في الجنة ، فإن في حب أهل بيتي عشرين خصلة ، عشر منها في الدنيا ، وعشر منها في الآخرة . أما التي في الدنيا : فالزهد ، والحرص على العمل ، والورع في الدين ، والرغبة في العبادة ، والتوبة قبل الموت ، والنشاط في قيام الليل ، واليأس مما في أيدي الناس ، والحفظ لأمر الله ونهيهِ عز وجل ، والتسعة بغض الدنيا ، والعاشرة السخاء .

وأما التي في الآخرة : فلا ينشر له ديوان ، ولا ينصب له ميزان ، ويعطى كتابه بيمينه ، وتكتب له براءة من النار ، ويبيض وجهه ، ويكسى حلل من حلل الجنة ، ويشفع في مائة من أهل بيته ، وينظر الله عز وجل إليه بالرحمة ، ويتوج من تيجان الجنة ، والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب ، فطوبى لمحبي أهل بيتي » (٧٦).

وواضح من هذا الحديث ومما تقدم أن حب أهل البيت عليهم السلام يعني حب خصال الخير ومكارم الأخلاق التي ندب إليها الله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كالزهد ، والورع في الدين ، والرغبة في العبادة ، والتوبة قبل الموت ، وقيام الليل ، وغيرها مما يؤدي بالعبد إلى منازل الأخيار والفوز بالرضوان .

ومن هنا يتضح أيضاً أن إيجاب حبهم (عليهم السلام) يعني إيجاب التمسك بهم كقادة رساليين يمثلون إرادة الحق وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم لإقامة دعائم الدين وتهذيب النفوس لتبلغ منازل الكمال التي أرادها الله تعالى لها .

أما الخاتمة ففيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج . وهي:

١- إن القرآن الكريم أولى جانب الدعوة اهتماما كبيرا ، وان دعوة كل الأنبياء كانت باللطف واللين وخفض الجناح ، واستعمال الألفاظ التي فيها استمالة للقلوب والعقول ، فدعوة ال بيت النبي (عليهم السلام) هي امتداد لدعوة الانبياء (عليهم السلام) فالواجب علينا اتباعهم لمعرفة آداب تعايشهم مع المسلمين .

٢- أعظم صور التعايش رسمها ال بيت النبي (عليهم السلام) خلال تعايشهم مع أقوامهم ، وهم يلاقون أصناف العذاب والتهديد ، والوعيد ولم ينهم هذه الصعوبات عن دعوتهم .

٣- شملت آداب تعايش ال بيت النبي (عليهم السلام) جميع أفراد المجتمع ونواحي الحياة ، فيريدو (عليهم السلام) لأفراد المجتمع ان تتماسك لبناته ، فاليتم وذلك من خلال حبهم للمسلمين والتمني لهم ما يتمنون لانفسهم ، وأرشادهم إلى الصفح عن الزلات لان تتبع الهفوات يقلل من روابط المجتمع .

٤- اللجوء إلى الله والاستعانة به وترك الشكوى ، وهي آداب تعايش تحلى بها ال بيت النبي (عليهم السلام) .

٥- الثبات والذكر ، ومن آداب التعايش التي تحلى بها ال بيت النبي (عليهم السلام) (منها في ساحات القتال ، ومنها الوقوف بوجه عروش الكفر والطغيان .

وفي الختام نسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به المسلمين ، فما كان فيه من صواب فهو فضل الله ، وما كان فيه من نقص وخلل فمن انفسنا والشيطان ، فعمل البشر لا يخلو من نقص وخلل ، وعذرنا أننا بذلنا غاية جهدنا واستطاعتنا .

الهوامش:

- (١) سورة التوبة : من الآية ١٢٨ .
- (٢) سورة طه : الآية ١٢٤-١٢٦ .
- (٣) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى ٣٣/١، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، ٩/١، والقاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة- بيروت ١/ ٧٥ .
- (٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨)، دار الشعب - القاهرة (بدون تاريخ) ص ٥٢٢ .
- (٥) ينظر: آداب التحية والسلام في الإسلام، لفاضل النجادي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٧ .
- (٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب، كتاب الأدب ١٠/ ٤٠٠ .
- (٧) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المعروف بابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي ٢/ ٣٧٥-٣٩٠ .
- (٨) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية - بيروت ٤/ ٢١٨ .
- (٩) آداب المسلم، لعبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دمشق، ص ٥ .
- (١٠) سورة النبأ: الآية ١١ .
- (١١) ينظر: كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران ١/ ٤١٥-٤١٦، ومعجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٤/ ١٩٤، و لسان العرب لابن منظور ٦/ ٣٢١-٣٢٢، والمعجم الوسيط، تأليف إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ٢/ ٦٣٩-٦٤٠، والتوجيه النحوي واللغوي لقراءات قرآنية، تأليف أ. د خليل إبراهيم حمودي السامرائي، وأ. م. د صالح حيدر أجميلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٨-٢٠٠٧م، ص ١٢٦ .

- (١٢) سورة الأعراف: الآية ١٠ .
- (١٣) سورة النبأ: الآية ١١ .
- (١٤) سورة طه: الآية ١٢٤ .
- (١٥) سورة الحاقة: الآية ٢١ .
- (١٦) الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، الأستاذ هاني المبارك ، والدكتور شوقي أبو خليل ، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٢ .
- (١٧) التقارب والتعايش مع غير المسلمين ، الدكتور محمد موسى الشريف ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٧ .
- (١٨) الحوار من اجل التعايش ، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري ، دار الشروق - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٧٨ .
- (١٩) سنن النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. المتوفى: ٣٠٣هـ. تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل الناشر: دار التأصيل - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م كتاب الاطعمة ، باب القديد، رقم (٣٣١٢) ص (٣١٣)
- (٢٠) غرر الحكم و درر الكلم ، من كلام الامام علي بن ابي طالب ، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الامدي ، طبعه صيدا سنة ١٩٣٠م، ص : ١٢٨٠ - ، و ميزان الحكمة، محمد الريشهري ، مصادر الحديث الشيعية - تحقيق: دار الحديث الطبعة: الأولى ، ج ٣، ص ١٠٧٢
- (٢١) سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر الطبعة: الثانية ١٤١٦هـ: ج ١، ص ٤١٠ . ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٣
- (٢٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ، المحقق بكري حياني - صفوة السقا ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢ : ص ٤٤٢ | ٤٤٨ .
- (٢٣) عيون اخبار الرضا، الشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي ، الطبعة: الاولى ، طهران، ج ٢ : ص ٥٨ | ٢١٦ . وينايع المودة ، سليمان الحسيني البلخي، طبعة دار الخلافة العلمية ، سنة ١٣٢٠هـ، الهند، ج ٢ : ص ٢٦٨ | ٧٦١ .
- (٢٤) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري الوفاة: ٥٠٨، مصادر الحديث الشيعية - قسم الفقه ، تحقيق: تقديم : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان: طهران، ص ٢٧١ . الخصال : الشيخ

- الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، صححه وعلق عليه: علي اكير الغفاري ، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص ٣٦٠
- (٢٥) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، المولى محسن الفيض الكاشاني، صححه وعلق عليه: علي اكير الغفاري، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الثانية ١٩٨٣ ج: ٥، ص ٩٣. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، مصادر الحديث الشيعية - القسم العام الطبعة: الأولى ج: ٣، ص ١٠٧٤.
- (٢٦) سورة فصلت / ٣٤
- (٢٧) كنز العمال، ج ١٢: ص ٩٧
- (٢٨) مقاتل الطالبين | أبو الفرج الأصفهاني: ٧٦، مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ٢
- (٢٩) تاريخ يعقوبي، تأليف: أحمد بن أبي يعقوب يعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى - ٢٠١٠ الناشر: شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ج ٢/ ص ١٢٢
- (٣٠) غرر الحكم: ٦٢٧٨. ميزان الحكمة ج: ٣، ص ١٠٨١.
- (٣١) غرر الحكم: ٤٧١٢. ميزان الحكمة ج: ٣، ص ١٠٧٩.
- (٣٢) أمالي الصدوق: ص ١٨٤، ميزان الحكمة ج: ٣، ص ١٠٨٠.
- (٣٣) الخصال: ص ٤٣١.
- (٣٤) ميزان الحكمة ج: ٣، ص ١٠٧٤، بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد المجلسي، طبعة ايران سنة ١٩٨٣:
- ج ٧١، ص ٣٨٣
- (٣٥) سورة طه: ٤٤
- (٣٦) الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبدالله سليمان الدميحي، سنة النشر ١٩٩٧، دار الوطن، ٣/ ٣٨٨
- (٣٧) الخصال: ٥١٥ | ١. وروضة الواعظين: ٢٩٨.
- (٣٨) سورة البقرة: ٢ | ١٦٥
- (٣٩) سورة آل عمران: ٣ | ٣١.
- (٤٠) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الاولى ٢٠٠٥م، ج ٢: ص ١٢٥. وكنز العمال ١: ٤٣ | ١٠٥
- (٤١) المعجم الكبير | سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ج ٣: ص ١٣٤ | رقم الحديث ٢٨٨٠.
- (٤٢) أمالي الصدوق: ١٦١ | ١.

- (٤٣) سورة الاحزاب: ٣٣ | ٧١.
- (٤٤) كفاية الأثر: الخراز القمي، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الخوئي، مصادر الحديث الشيعية، ص ٧١ . و ارشاد القلوب الي الصواب المنجي من عمل به من اليم العقاب اسم المؤلف: ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي، التصنيف: طبعه بمبي سنة ١٩٠٤م: ص ٤١٥
- (٤٥) عيون اخبار الرضا، تأليف: الشيخ الصدوق، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم ط ٢، ج ٢ ص: ٥٨ | ٢١٦ . وينابيع المودة ٢ : ٢٦٨ | ٧٦١ .
- (٤٦) ينابيع المودة ١ : ٣٣١ | ٢ .
- (٤٧) سورة الرعد : ١٣ | ٢٨ .
- (٤٨) كنز العمال ٢ : ٤٤٢ | ٤٤٤٨ .
- (٤٩) الكافي ١ : ١٩٤ | ١
- (٥٠) دعائم الإسلام | أبو حنيفة ١ : ٧٣ ، دار المعارف - القاهرة . وشرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار | أبو حنيفة ٣ : ٤٧١ | ١٣٦٧ ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ط ١ .
- (٥١) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، الشيخ المحدث الكبير ابراهيم بن محمد ابن المؤيد الجويني الحموي الخراساني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى. سنة الطبع : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. المطبعة : مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ج ٢ : ص ٢٩٤ | ٥٥١ . وينابيع المودة ٢ : ٣٣٢ | ٩٦٩ .
- (٥٢) المحاسن | أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق : السيد جلال الدين الحسيني ، ط ١ سنة الطبع : ١٣٧٠ . ص ١٣٤ | ١٦٧ .
- (٥٣) أعلام الدين | الحسن بن ابي الحسن الديلمي، تحقيق: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ، تاريخ النشر ١٩٨٨ ، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث : ٤٦١ .
- (٥٤) تاريخ بغداد، احمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣) ، تحقيق : د.بشار عواد معروف، دار العرب الاسلامي ٢ : ١٤٦ .
- (٥٥) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق محسن الحسيني، سنة النشر ١٩٩٥، دار الوطن، ج ٣ : ص ٢٦ | رقم ٢٢٥١ . ومجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ج ٩ : ص ١٧٢ .
- (٥٦) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، المحقق: عادل أحمد - علي معوض - فتحي حجازي، مكتبة العبيكان ج ٤ / ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

- (٥٧) المجالس في الأخبار» أو «الأمالى، أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة (٣٨٥-٤٦٠ هجرية، تحقيق: «مؤسسة البعثة»: «دار الثقافة، ط ١، قم ١٤١٤ هجرية: ص ١٦٤ | ٢٧٤. وارشاد القلوب | الديلمي: ٢٥٣.
- (٥٨) مشارق أنوار اليقين | البرسي: ٥١، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- (٥٩) الاختصاص | المفيد: ٨٢، مكتبة الزهراء عليها السلام - قم. ورجال الكشي | الطوسي: ١١١ - ١١٢ | ١٧٨، طبع مشهد.
- (٦٠) أمالي الطوسي: ٤٥٢ | ١٠١٠. وبشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعه المرتضى عليه السلام، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي: ص ٦٧.
- (٦١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، حسكاني عبيد الله بن احمد، الناشر: وزارة الإرشاد في ايران مكان الطبع: طهران، سنة الطبع: (١٤١١ ق) تحقيق: محمد باقر محمودي ٢: ٣١٠ | ٩٤٨.
- (٦٢) شواهد التنزيل ٢: ٣١٠ | ٩٤٨.
- (٦٣) فضائل الشيعة | الصدوق: ٤٧ | ١، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم ط ١. وأعلام الدين: ٤٦٤. وبشارة المصطفى: ٣٧.
- (٦٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٥٩ | ٢٢٠.
- (٦٥) روضة الواعظين: ٢٧١. وأمالى الصدوق: ١٨ | ٣. والخصال: ٣٦٠ |
- (٦٦) كنز العمال ١٢: ٩٧ | ٣٤١٦٣.
- (٦٧) درر الأحاديث النبوية بالأسانيد الحيوية | يحيى بن الحسين: ٥١، مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١.
- (٦٨) الكشف | الزمخشري ٤: ٢٢٠ - ٢٢١.
- (٦٩) الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة، تأليف: ابن صباغ المالكي، الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٩٨٨: ٢٠٣. ونور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم، المؤلف: الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي قدم له: د. عبد العزيز سلمان، الناشر: المكتبة التوفيقية: ١٥٤.
- (٧٠) مقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمي ١: ٦٧.
- (٧١) رجال النجاشي ١: ١٣٨، دار الاضواء - بيروت ط ١. وشرح الأخبار ٣: ٤٦٣.
- (٧٢) مقاتل الطالبين | أبو الفرج الاصفهاني: ٧٦، مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ٢.

- (٧٣) مسند أحمد ١ : ٧٧ . وسنن الترمذي ٥ : ٦٤١ | ٣٧٧٣ . وفضائل الصحابة | أحمد بن حنبل ٢ : ٦٩٤ | ١١٨٥ . وتاريخ بغداد ١٣ :
(٧٤) أمالي الصدوق : ١٧٤ | ٩ . وروضة الواعظين : ٤٥٧ . ومشكاة الأنوار في غرر الأخبار | الطبرسي : ٨٤ . المكتبة الحيدرية ط ٢ .
(٧٥) أعلام الدين : ٤٦٠ .
(٧٦) الخصال : ٥١٥ | ١ . وروضة الواعظين : ٢٩٨ .

المصادر والمراجع

- ١- الاختصاص | المفيد : ٨٢ ، مكتبة الزهراء عليها السلام - قم . ، طبع مشهد .
- ٢- آداب التحية والسلام في الإسلام ، لفاضل النجادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- ٣- ارشاد القلوب الي الصواب المنجي من عمل به من اليم العقاب اسم المؤلف : ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي ، التصنيف : طبعه بمبي سنة ١٩٠٤ م .
- ٤- الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، الأستاذ هاني المبارك ، والدكتور شوقي أبو خليل ، دار الفكر - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٥- أعلام الدين | الحسن بن ابي الحسن الديلمي ، تحقيق : مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ، تاريخ النشر ١٩٨٨ ، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث .
- ٦- أنوار اليقين | البرسي : ٥١ ، مؤسسة الأعلمي - بيروت .
- ٧- الأوسط ، الطبراني ، تحقيق محسن الحسيني ، سنة النشر ١٩٩٥ ، دار الوطن .
- ٨- بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام ، ، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري ، تحقيق : جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي .
- ٩- تاريخ اليعقوبي ، تأليف : أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، الطبعة الأولى - ٢٠١٠ الناشر : شركة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .
- ١٠- تاريخ بغداد ، احمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣) ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، دار العرب الاسلامي .

- ١١- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٢- التقارب والتعايش مع غير المسلمين، الدكتور محمد موسى الشريف، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ١٣- الحوار من اجل التعايش، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ١٤- الخصال: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٥- درر الأحاديث النبوية بالأسانيد الحيوية | يحيى بن الحسين: ٥١، مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١، ٠.
- ١٦- دعائم الإسلام | أبو حنيفة ١: ٧٣، دار المعارف - القاهرة.
- ١٧- رجال النجاشي ١: ١٣٨، دار الاضواء - بيروت ط ١، ٠.
- ١٨- روضة الواعظين،: القتال النيسابوري الوفاة: ٥٠٨، مصادر الحديث الشيعية - قسم الفقه، تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان: طهران.
- ١٩- سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر الطبعة: الثانية ١٤١٦، ٠.
- ٢٠- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. المتوفى: ٣٠٣هـ. تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل الناشر: دار التأصيل - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- ٢١- الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبدالله سليمان الدميحي، سنة النشر ١٩٩٧، دار الوطن.
- ٢٢- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، حسانى عبيد الله بن احمد، الناشر: وزارة الإرشاد في ايران

- مكان الطبع: طهران ، سنة الطبع: (١٤١١ ق) تحقيق: محمد باقر محمودي .
- ٢٣- عيون اخبار الرضا ، تأليف: الشيخ الصدوق، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم ط ٢ .
- ٢٤- غرر الحكم و درر الكلم ، من كلام الامام علي بن ابي طالب ، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الامدي ، طبعه صيدا سنة ١٩٣٠ م .
- ٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق محب الدين الخطيب .
- ٢٦- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام ، الشيخ المحدث الكبير ابراهيم بن محمد ابن المؤيد الجويني الحموي الخراساني ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، الطبعة الأولى. سنة الطبع : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر .
- ٢٧- الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة ، تأليف: ابن صباغ المالكي ، الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٩٨٨ م .
- ٢٨- فضائل الشيعة | الصدوق : ٤٧ | ١ ، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم ط ١ ، ١٠ .
- ٢٩- القاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٣٠- الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الاولى ٢٠٠٥ م .
- ٣١- كتاب غريب القرآن ، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، دار قتيبة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران .
- ٣٢- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم ، المحقق: عادل أحمد - علي معوض - فتحي حجازي ، مكتبة العبيكان .
- ٣٣- كفاية الأثر : الخزاز القمي ، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الخوئي ، مصادر الحديث الشيعية .

٣٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٣٥- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى .

٣٦- المجالس في الأخبار» أو «الأمالى ، أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة (٣٨٥-٤٦٠ هجرية، تحقيق: مؤسسة البعثة: «دار الثقافة، ط ١، قم ١٤١٤هجرية .

٣٧- المحاسن | أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني ، ط ١ سنة الطبع: ١٣٧٠، ٠ .

٣٨- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، المولى محسن الفيض الكاشاني، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الثانية ١٩٨٣، ٠ .

٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المعروف بابن القيم ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، الطبعة: الثانية ، تحقيق: محمد حامد الفقي .

٤٠- المسلم ، لعبد الرحيم مارديني ، دار المحبة - دمشق .

٤١- المعجم الكبير | سليمان بن احمد الطبراني ، تحقيق: حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية القاهرة .

٤٢- المعجم الوسيط، تأليف إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية .

٤٣- مقاتل الطالبين | أبو الفرج الأصفهاني : ٧٦ ، مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ٢٠

- ٤٤- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨)، دار الشعب - القاهرة (بدون تاريخ).
- ٤٥- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٦- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٠٧٤، بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد المجلسي، طبعة إيران سنة ١٩٨٣،
- ٤٧- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، مصادر الحديث الشيعية - القسم العام الطبعة: الأولى.
- ٤٨- ميزان الحكمة، محمد الريشهري ، مصادر الحديث الشيعية - تحقيق: دار الحديث الطبعة: الأولى .
- ٤٩- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم، المؤلف: الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، قدم له : د. عبد العزيز سالم، الناشر: المكتبة التوفيقية .
- ٥٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت .
- ٥١- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار | أبو حنيفة ٣ : ٤٧١ | ١٣٦٧ ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ط ١ .
- ٥٢- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥٣- ينابيع المودة ، سليمان الحسيني البلخي، طبعة دار الخلافة العلمية ، سنة ١٣٢٠، الهند .

المرجعية والتعايش السلمي في المجتمع الاسلامي

الباحثه

فاتن عبد الباري نجم إل خليفة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم
 ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) المائدة/٢
 صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين خالق الإنسان ، ومعلمه البيان ، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء محمد وعلى اله الاتقياء ، وأصحابه الاصفياء .

اما بعد:

يموج العالم اليوم في اوضاع مؤسفة من الصراعات والمنازعات والشور. وتنتابه حالات مفزعة من الاضطرابات والفتن وضروب الارهاب الدموي المدمر ، وتمزقه الاهواء دولاً وطوائف وعصابات وتعصف به ((الأيديولوجيات المتناخره)) في كل اتجاه ، وتورده القيم الزائفة المهالك ، وتسيطر على البدع ((العرقية)) فتفقد صوابه ، وتعمي بصره ، وتصمم أذانه وتقتل فيه كل معنى جميل ، وتنشب الحروب أظفارها ، وتسعر الفتن نارها فتسال الدماء ، وتزهق الارواح ، وتهتك الحرمات ، وتستلب الحقوق ، ويحل التمزق محل التماسك ، والكره محل الوئام ، والخوف محل الأمن ، والخيانة محل الأمانة ، والفوضى محل النظام ، والفساد والإفساد محل الصلاح والإصلاح .

إن الدين الاسلامي دين عظيم . ومن أعظم وأعظم خصائصه إن يجمع ولايفرق...ويوحد ولايمزق...وهذا ماتشير اليه الاية الشريفة في قوله

تعالى: ((وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)) {إل عمران : ١٠٣} هذه الاية تشير إلى موضوع اراه عظيم الأثر في واقع الامة ، أراه من أخطر مايمكن إن تصرف اليه الانظار وللأبصار والبصائر وللأفكار والوجهات وطاقات الوعي ، والتأمل للوصول إلى نتيجة بحاضر الامة ومستقبلها القريب والبعيد شأن عظيم فيما يتعلق بوجود

الطوائف والمذاهب وكيف يتم التعايش، وكيف يقوم الحوار بينهم . إن هذا البحث الموجز يهدف إلى تقرير حقيقة عظيمة متصلة بالإسلام ، وهي رحابة صدر الاسلام واحتوائه على مبادئ قويمه للتعايش السلمي لجميع الشعوب مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والطائفية والعرقية . وان الاسلام هو النظام العالمي الوحيد الذي احتوى على تشريعات يمكن أن يعيش العالم في ظلها في سلام ووثام ولو في شبر واحد من الارض ، يهوداً ، نصارى ، وملحدين ، دون أن يضيق الإسلام ذرعاً بأحد منهم وهذا ما لا وجود له في أي نظام اخر على وجه الارض من المعلوم التعايش السلمي . هو إن يعيش الفرد والمجتمع بسلام وفق توجهاتهم ((الدينية ، القومية ، العرقية ، المذهبية)) بعيداً من التطرف الفكري والإرهاب بكل اشكاله .

إن المرجعية الدينية هي الاقرب إلى القيادة المعصومة علماً وسلوكاً وقد تطورت بمرور الايام إلى علمائيه جامعة للشتات وموحدة للصفوف . فكانت رأس الحربة في محاربة البدع والانحرافات في كل مكان وتعتمد على النفوذ المعنوي والعلمي الذي تملكه بين الاوساط الشعبية المؤمنة لأنها تمسك بزمام الفتوى في مجمل كيان مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) وقد رسخت المرجعية ثقافة التعايش السلمي والتعامل مع المسلمين وغيرهم .

الاسلام دين المحبة والسلام والتألف والمساواة ، والخلاص من كل الوان الانحراف والاستغلال والظلم والعدوان لأنه دين أنساني عالمي موجه إلى كافة بني الأنسان على مختلف متبنياتهم العقائدية والفكرية . فلمرجعية على وفق التعايش السلمي تعتبر الناس متساوين . سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين ، ولا يخفى إن المرجعية واعية لكل ما يعزز سلامة واستقرار المجتمع الانساني وإنها لم تغفل حق الاعتقاد وحرية الرأي فيما يتعلق بحقوق الاقليات الدينية وأثره على ترسيخ الامن والاستقرار ذلك إن الاسلام جاء لهداية البشرية مضافاً إلى حماية اتباع الاديان وتحريم قتل مطلق الإنسان وعدم الاعتداء على غير المسلمين.

وهناك عدة اسباب حملتني لاختياري هذا الموضوع اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

اولاً : لأن الموضوع يتفرد بتخصصه الدقيق بمسألة التعايش السلمي بين الاديان السماوية لا سيما اذا اقاموا في مجتمع واحد ودولة واحدة .

ثانياً : قلة الدراسة في هذا الموضوع

ثالثاً : الفهم الخاطئ للتعامل الإجتماعي مع اهل الكتاب ولا سيما (المسلمين) وهذا الموضوع رداً على الذين يصورون علاقة المسلمين مع بقية الاديان انها علاقة قائمة على البغض والكراهية والعداء وسوء المعاملة .

رابعاً : شعوري بالألم والأسى على ما نراه اليوم وما يحدث بين الأمم والشعوب والقوميات وحالة الاختلاف وما حصل في بلدنا العراق تحديداً من حالات حرجة تحتاج إلى هذه الدراسة التي تتناول قيم التعايش السلمي بين الأمم والشعوب والثقافات والديانات وكيفية بناء مجتمع متأخراً ومتسامح بعيداً عن كل ما يثير الضغائن من ابناء الوطن الواحد وفق قواعد المساواة والعدل واحترام الحقوق .

واقتضت طبيعة هذا البحث إلى تمهيد وقد سلطت الضوء فيه إلى تعريف التعايش السلمي لغة واصطلاحاً ثم تطرقت إلى مبررات التعايش السلمي وكيف يمكن للبشر أن يعيشوا بعضهم لبعض . وذكرت ما اهمية التعايش السلمي وكيف جعله الاسلام مبدأ من مبادئ الحضارة الاسلامية ثم ذكرت مبادئ التعايش السلمي .

وقد انعقد المبحث الاول على التعايش السلمي بين الديانات والمعتقدات وقد شرحت فيه كيف إن المرجعية العليا اكدت على التعايش السلمي مع الديانات الاخرى سواء الدولة الاسلامية ام غيرها .

اما المبحث الثاني فكان التعايش بين القوميات والأعراق وكانت دراسة هذا المبحث نشر ثقافة التسامح بين القوميات والأعراق على مستوى دول العالم .

وكان من شأن المبحث الثالث دراسة التعايش السلمي بين المذاهب والطوائف وفي هذا المبحث تناولت موقف المرجعية مع كافة المذاهب وكيف استطاعت من اطفاء نار الفتن العمياء .

وبهذا كله اهتدى البحث إلى جملة من النتائج كانت في الخاتمة .
اما المصادر فقد اعتمدت على كتب المرجعية والفقهية وكذلك على خطب المرجعية العليا .

أخيراً فأنا كنت أحسنت الأمانة فتلك منة من الله جلت قدرته ، وإن كنت قد أسأت فمن العجز اتيت ، وحسبي اني اخلصت النية في العمل ، وعسى إن استدرك ما قصرت عنه فيتجنب القلم ثلثة ما وقع فيه ، إن بحثاً يحمل ثقة القارئ الكريم لهو محظوظ حقاً ، ولا شك في انه سيصلح برأيه وإن للإنسان إلا ما سعى والله من وراء القصد ومنه التوفيق.

اللهم اني وضعت جهدي هذا بين يدي خلقك سائلة أثابتي عليه ، فأنا أصبت فمن عندك وإن أخطأت فمن نفسي ، أسالك القبول والتوفيق والسير في درب طاعتك وأحمدك وأثني عليك لا اله غيرك .

التمهيد:

مع وضوح رؤية الاسلام في القبول بالآخر والإعتراف به والتعايش معه حتى وإن كان مغايراً في الدين والمبدأ ، ومع شدة التحديات والأخطار التي تحيط بالأمة الاسلامية في هذا الزمان ، ومع أننا نعيش عصر الانفتاح والتقدم العلمي ، إلا إن داءاً مقيتاً لا زال ينخر في كيان امتنا الاسلامية فيقعدها عن النهوض ويكرس تمزقها ، ويمنعها من التوحيد واجتماع الشمل .

ذلك الداء الخطير هو التعصب المذهبي ، حيث تسوء اجواء الأمة تشنجات طائفية مذهبية في العديد من البلدان والبقاع وقد قال رسول الله (ص) : ﴿ من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة من اعراب الجاهلية ﴾ وقال (ص) : ﴿ ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على

عصبية ﴿^(١)﴾ فلهذا أكدت المرجعية العليا على ضرورت (التعايش السلمي) وهو مبدأ انساني احد المبادئ الحضارية والعصرية الذي تحتاجه المجتمعات الانسانية في مختلف توجهاتها ومناهجها ، اذ هو المنهج الذي يضمن للبشر العيش بسلام وهدوء ما طبقوه وفعلوه في جوانبهم الحياتية ، ولا ريب إن النقطة المشتركة بين جميع البشر على هذه الارض هي الانسانية ، لذا جعلتها المرجعية الدينية المنطلق الأكبر للتعايش السلمي ، وبعد إن باتت القضايا الخلافية بين البشر سواء كانت قضايا دينية ام عنصرية غير قابلة للأنتهاء والخلاص ، اتخذت المرجعية طريق التعايش السلمي الذي يضمن للجميع العيش وفق المشترك الانساني بعيداً عن شتى انواع التمايز ، فالتركيز يغدو مصوباً على العامل المشترك بين الجميع ، وقد سعت المرجعية الدينية وحثت كثيراً على هذا المبدأ المهم ، وقد تمثل جانب التعايش السلمي بصورة عملية ونظرية في منهج المرجع الديني الاعلى خلال السنوات المنصرمة والى يومنا هذا ^(٢) . لا يستقيم بنا الامر في بحث مفهوم التعايش بين الاديان ما لم نحدد مفهوم التعايش. لغة واصطلاحاً باعتبار إن التعايش السلمي هو المحور الرئيسي لموضوع البحث.

ومفهوم التعايش في اللغة : عايشه : عاش معه ، والعيش معناه الحياة ، وهو العيش على هذه الارض من بني ادم كافة دون تفريق ، وتعني الاشتراك في الحياة على الالفة والمودة وهي على وزن تفاعل يفيد وجود العلاقة المتبادلة بين الطرفين ^(٣)

التعايش السلمي اصطلاحاً: هو الاعتراف بالهويات المتنوعة للشعوب (العرقية - القبلية - الدينية - المذهبية) الموجودة في المجتمع ، متمثلة بدعم الفرد والمجتمع إن يعيش في مجتمعه بسلام وأمن ، بعيد عن الصراعات الفكرية والإرهابية ^(٤) . ومن المعلوم إن التعايش السلمي . هو إن يعيش الفرد بسلام وفق توجهاتهم (الدينية - القومية - العرقية) بعيداً عن التطرف الفكري والإرهاب بكل اشكاله ^(٥) وكذلك اتاحة الفرصة امام الآخرين لممارسة حريتهم ايضاً : لان لهم نفس الحق الذي يطلبه الإنسان لنفسه ، وهذا يعني إن العلاقة الانسانية بين افراد البشر هي علاقة موجودات حرة ، يتناول كل منهم

عن قدر من حريته في سبيل قيام مجتمع انساني يحقق الخير للجميع ، وهذه هي القاعدة الاساس لفهم بناء التعايش السلمي .^(٦)

اما التعايش الديني المراد به : ارادة اهل الاديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من اجل إن يسود الامن والسلام وحتى تعيش الانسانية في جو من الاخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً دون استثناء .^(٧)

هناك مبررات للتعايش السلمي وهي :

إن البشر يختلفون في اطباعهم الشخصية وتوجهاتهم المذهبية ، فكيف يمكن إن يستطيعوا إن يعيشوا بعضهم لبعض . لو رجعنا إلى تاريخنا العربي الاسلامي نجد إن الدين الاسلامي اكد على التسامح والتعيش ، مع كافة الطوائف والأقليات الدينية والعرقية ، حيث أشار القرآن الكريم إلى (العدل ، والمساواة) مع الفرد والمجتمع وهي كثيرة منها قال تعالى : (ولقد كرمتنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ﴿الاسراء:٧﴾

وبناء على ماتقدم ، الفكر الاسلامي غير متطرف تجاه (التعايش السلمي) للأفراد وابناء المجتمع ، فهو يؤمن بالحقوق والحريات والمعتقدات والعلم والحكمة.....الخ.^(٨) فالناس بالناس ولا تصلح شؤونهم إلا بتعايشهم مع بعضهم البعض مهما تنوعت انتمائهم وتوجهاتهم ولكن كيف يتحقق التعايش مع التنوع؟

هنالك شرطان أساسيان يمكن بهما تجاوز ما تفرزه حالة التنوع غالباً من أشكاليات في التعايش:

أولاً: تتوفر أجواء التعايش إذا شعر كل طرف من الأطراف بحقوقه.

ثانياً: الإنسانية جوهر واحد مشترك عند ابناء البشر فعليهم إن يحترموا أنسانيتهم باحترام بعضهم البعض^(٩)

اهمية التعايش السلمي :

١- إن الدين الاسلامي اهتم بالتعايش السلمي وجعله مبدأ من مبادئ الحضارة الاسلامية بدليل استطاع العرب والمسلمين إن يعيشون في هذه الدولة التي فتحوها ونشروا الدين الاسلامي

٢- ادامة العلاقات بين افراد المجتمع وكذلك الدول الاخرى .

مبادئ التعايش السلمي وفق رؤية المرجعية الدينية العليا :

هناك مبادئ إن فهمناها واستطعنا تطبيقها نضمن علاقات صحيحة ونضمن الاستقرار والسعادة للفرد والمجتمع وتضمن .

١- إن سلوك التسامح السلمي هي نفس سلوك التعايش السلمي، فالتسامح يعني عدم الممانعة الواعية من قبل الفرد تجاه الفرد الاخر بالمعتقدات (الدينية، السياسية ، الاخلاقية ،) فهي سلوك يحترم ويقدر التنوع الثقافي.

٢- إن سلوك التعايش السلمي بأنه يؤمن بحرية الفكر والضمير .

٣- طبيعة النظرة العقائدية للآخر

٣- أشعار كل فرد بالحاجة للآخر

٤- الحب للآخر ونزوع الأنانية

٥- تحري قواعد العدل والأنصاف والقسط والعفو والصفح

٦- تطهير النفس من النظرة الاستعلائية والازدراء للآخرين^(١٠)

وبناءً على ما تقدم فأن التعايش السلمي يتضمن عدة أمور:-

١- إن التعايش يكون بين اناس مختلفين لا متوافقين ، وقد يكون الاختلاف دينياً او مذهبياً او قومياً او سياسياً ، وقد يكون بسبب المصالح الدنيوية .

٢ - مادة التعايش المفاعله ، وهي تقتضي وجود طرفين يعيش كل منهما مع الآخر ويتعامل معه .

٣ - لا بد إن يتضمن التعايش بين المختلفين قدراً من التفاهم والود والمحبة والوئام والتوافق ، اذ لا يمكن إن يتعايش مختلفان بدونهما .

٤ - الهدف من التعايش ، توفير جو الاستقرار والرنق ، لتأمين احتياجات الحياة من مطعم ومشرب وأمان .^(١١)

اهداف التعايش السلمي :-

يمكن تلخيص اهداف التعايش السلمي بالنقاط التالية :

١- المحافظة على الضروريات المشتركة ، والحيلولة دون تمرد او مصادرة أي فئة لتلك الضروريات المشتركة .

٢- حرمة الدم والأموال والأعراض وما قد يعبر عنه بالحرمة المدنية والتعايش السلمي ، والانتصاف في الحقوق المدنية .

٣- العدالة المدنية لكل الطوائف والمذاهب والقوميات .

٤- اطلاع المسلمين فيما بينهم على متبنيات ومعتقدات ورؤى كل مذهب .

٥- تعبئة الطاقات للأهتمام بالعمل من اجل حماية المصالح الاسلامية المشتركة وتضافر الجهود في مواصلة بناء النهضة وما فيه مصلحة الاسلام .

٦- عدم التشنج في لغة الحوار .^(١٢)

وبذلك فالمجتمع المتعايش مجتمع طائفي يعيش اهله في تعايش ووثام وتساكن وتوافق داخل المجتمع على الرغم من اختلافهم الديني والمذهبي . والتعايش السلمي : تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيداً عن الحرب والعنف . وبهذا أهتمت المرجعية بالتعايش السلمي لأبعاد الصراع الفكري والمذهبي .

المبحث الأول

التعايش بين الديانات والمعتقدات

التعايش الديني هو تعايش المسلمين مع غيرهم من الديانات الأخرى سواء داخل الدولة الإسلامية او غيرها وذلك بالحسنى والمعروف وفقاً للهدى الاسلامي وما تقتضيه مصالح جميع الأطراف في أمور الحياة والمعاش والمواطنة المشتركة.

يعتبر التعايش السلمي بين الأديان من الأمور المهمة التي تساعد في إنتشار الأمن والرخاء والسلام بين الشعوب ويفرض احترام الاشخاص لبعضهم لبعض وأبتعادتهم

عن ذم بعضهم وتجنب التحقير ايضاً . لذلك دعت المرجعية العليا جميع الاديان السماوية إلى التعايش وخصوصاً الإسلام الذي نظم علاقة المسلمين ببعضهم البعض وعلاقتهم بغيرهم من اتباع الديانات الأخرى يجب إن تكون علاقة تكاملية وثابتة وواضحة ولاتشوبها أي شائبة .

وهناك ضوابط لهذا النوع من التعايش :-

- أ- الاعتراف بوجود الدين الآخر ويعتبر اعتراف وجود وتعايش ، لا اعتراف صحة .
 - ب- التعامل مع المسلمين بالبر والقسط ، وذلك بعدم العدوان عليهم او أخراجهم من الديار ألا إن وقع منهم مايوجب ذلك شرعاً.
 - ج- التفاهم والحوار بالتي هي احسن .
- ولعل الإطار الذي رسمه الشيخ محمد الغزالي للتعايش ، يمثل صيغة حسنة لتحديد صورة هذا التعايش بين المسلم وبين غير المسلم، فقد وضع ثلاثة مبادئ للتعايش والحوار هي :-

اولاً: الاتفاق على أستيعاد كل كلمة تחדش عظمة الله . فأنا وأنت متفقان على إن الله قد احاط بكل شئ علماً ، وأنه لايعجزه شئ في السموات ولا في الارض ، وان رحمته وسعت كل شئ ، وأنه ليس منصفاً بالنقائص والعيوب التي تشع بين البشر .

ثانياً: الاتفاق على إن الله يختار رسله من اهل الصدق والأمانة والكياسة .

ثالثاً: ما وجدناه متوافقاً في تراثنا نرد اليه ماأختلف فيه ، وبذلك يمكن وضع قاعدة مشتركة بين الاديان .^(١٣)

إن ابهى تلك النماذج وأرقاها هو تعايش النبي (ص) في المدينة مع اليهود حيث عاهدهم وأتفق معهم على المصالح المشتركة التي تجمعهم في هذا البلد الذي يشتركون في سكنائه ، بل كان يحسن اليهم ويتلطف في معاملتهم لعلمهم يقبلون هدى الله من ذلك عيادته اليهودي في مرضه ، ولم يجلبهم النبي ص من المدينة حتى نقضوا العهد الذي بينهم وبينه .^(١٤)

والإسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح أزاء كل الأديان^(١٥)

فقد برزت النجف الاشرف مثيلاتها من المدن الاسلامية في مسعى علمائها ورجال الحوزة فيها فقد دعت المرجعية إلى التعايش السلمي من اجل الوحدة الاسلامية وتماسك المجتمع الاسلامي - وبند الفرقة والانقسام . إن مسعى وجهود المرجعية في هذا المضمار هو الحفاظ على الوحدة الاسلامية والتوافق بين الديانات . اذاً هناك كان دور مهم للمرجعية وعلماء الشيعة في جمع كلمة المسلمين .^(١٦)

إن الأديان التي يدين بها البشر بمختلف أصولهم ومنابتهم ومواقعهم الجغرافية متعددة ، فبالإضافة إلى الأديان السماوية وهي الاسلام والمسيحية واليهودية يوجد ايضاً اديان أخرى كثيرة يؤمن بها عدد كبير من الناس كالبودية والهندوسية والسيخية وغيرها الكثير، والواجب هنا هو احترام جميع الأديان وعدم تحقير أي ديانة يعتقد بها شخص مهما كانت لأن الله تعالى يقول : { لاأكره في الدين قد تبين الرشد } {البقرة: ٢٥٦} ^(١٧) وهذا يؤكد على ضرورة الامتناع عن اجبار أي شخص إن يكون مسلماً او حتى إن يغير دينه ، بمعنى إن لا يكرههم على اعتناق الاسلام لأن الأكره لايجعل من الناس مؤمنين بل منافقين ، فقد اقرت المرجعية إن لا تكرهوا احداً على الدخول في دين الاسلام فلا طريق للسلام والتعايش الا باقرار الناس على دينهم وتركهم وما يدينون . وتعد حرية الاعتقاد الاساس والقاعدة لجميع الحريات والحقوق التي يتمتع بها غير المسلمين كحرية العبادة واظهار الشعائر وغيرها من الحريات . وان دعوة المرجعية للتعايش ليست مجردة عن الأدوات التي يتم من خلالها ترسيخ قيم التعايش بين الأديان المختلفة بل إن الاسلام وضع أسساً للتعايش ، ودعا إلى ترسيخ تلك الأسس . والتعاون بين اتباع الديانات والأديان فقد اكدت المرجعية إن جميع ما جاءت به الشرائع السماوية هو الدعوة إلى السلام وأشاعة روح المحبة لأنها تنبع من نفس المصدر الالهي .^(١٨) النقطة المهمة التي كان الائمة (ع) يذكرون بها في مايتعلق بمعاشرة الناس هي الابتعاد عن تفتيش عقائد اصدقائك ومرافيك . يقول الامام الصادق (ع) : ((لا تفتش الناس عن اديانهم

فتبقى بلا صديق)).^(١٩) ومن الناحية العملية فأن كل تجارب فرض الأفكار والمعتقدات هي تجارب فاشلة حيث يتمسك الناس بأديانهم ومعتقداتهم أكثر في حالة التحدي والمواجهة إن مثل هذه المحاولات حصلت في بعض الفترات حيث حاولت بعض الجهات فرض رأيها لأنها تمثل الاكثرية او تمتلك القدرة والقوة لكن تأثير تلك المحاولات كان وقتياً ومحدوداً فلماذا اكدت المرجعية على إن كل شعب من الشعوب إن تحتفظ بعباداتهم وتقاليدهم التي لا تتنافى مع تعاليم الاسلام ولا تخالف مفاهيمه بأن يعترف كل طرف للآخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته وممارسة شعائره الدينية ويتعامل الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ، متعاونين لتحقيق المصلحة العامة ومواجهة الاخطار المشتركة .^(٢٠) وقد حرصت المرجعية على إن يحق لجميع الاديان إن يتعايشوا في بلد الاسلام ولهم حق التمتع بجميع حقوقهم المختلفة كبقية المواطنين المسلمين وانه يمكن للمسلمين ان يتعايشوا مع جميع الاديان والاعتراف بدينهم وممارسة عبادتهم بحرية^(٢١) إن الحوار سمة علمائنا ومراجعنا على مر الدهور والفترات وقد أخذوا هذا المنهج من ائمتهم (ع) .تعايش في العراق أديان عديدة ،مقاربة تارة ومتنافرة تارة أخرى.غير إن تقاربها وتنافرها لم يصل إلى حد الإلغاء .فحافظ الجميع على وجودهم بقدر مايسمح

به التعايش على بقعة جغرافية واحدة . فقد تعايش العراقيون دون منازعات طائفية وأكد ذلك السيد علي بحر العلوم على السلوك الإنساني المتمدن هو تعايش جميع الأديان سبيلاً لوحدة البشر وسط تنوعهم وإيجاد علاقات المحبة مع جميع الديانات وندب المسلمين على هذا الأمر لأجل الوحدة والتلاحم ، لا سبيلاً إلى الكراهية والتفرقة^(٢٢) ومن العلماء الذين دعوا إلى التعايش الامام السيد الحكيم فقال إن ينظر إلى مختلف الديانات بنظرة واحدة دون تميز او تفريق حتى يشعر الجميع بحفظ كرامتهم.والاعتراف بجميع الفئات والديانات المتواجدة بحق متساو لكل فئة منها بالوجود في الوطن العراقي وبالتمتع بالحريات وبسائر الحقوق الاخرى . لقد وضع الامام الحكيم النقاط على الحروف ، فقد أعطى العلاجات الناجحة لهذه الأفات في سبيل الحفاظ على كيان الأمة

وتوفير الأمن والاستقرار لها ، وهذا واجب المرجع القائد في مثل هذه الحالات إن يكون مصدراً من مصادر الإشعاع الفكري والثقافي ، وان يصير منبراً حياً يعالج فيه مختلف القضايا التي تعج بها الأمة ^(٢٣) إن الدين الإسلامي اعطى الحرية للأقليات الدينية اكثر مما اعطى لهم أي دين اخر ، فهي حرة في اظهار عقائدها ، ولكنها ليست حرة في التخريب ، فحفظ النظام من اهم الواجبات التي تتقدم على غيرها . لقد كان الاسلام هو اول نظام ديني في التاريخ البشري يقر التعدد الديني في المجتمع الواحد . على امل إن ياتي يوم تنبذ فيه المجتمعات المسلمة وغير المسلمة النظرة العدائية لبعضها البعض ، وتضع التعصب جانباً ، وتخطوا جنباً إلى جنب بالأعتماد على العقل والتوحيد من اجل نيل الكمال الانساني . ^(٢٤) الاسلام دين الحوار والتسامح والتعايش منذ بزوغه ، وهو وفر الأمن والسلامة لمخالفة في العقيدة ، ورفع شعار { لكم دينكم ولي دين } { الكافرون: ٦ } فقد دعت المرجعية إلى نظام المشاركة والتعايش مع وجود الاختلاف في العقيدة مادام الحاكم والمرجعية إلى الله فقد تعايش الكثير من اهل الكتاب مع المسلمين ^(٢٥).

اذا كان التعصب الديني قد أمتدت آثاره حتى الان ، واذا كانت الامة في حاضرها تعاني من هذا التعصب معاناة تمتص طاقاتها ، وتسهم في تمزيق شملها فأن على العلماء واهل الذكر إن يعملوا في دأب وإخلاص حتى تتخلص الامة من تلك الآثار مابقي منها ، لكي تبدأ عصراً جديداً في حياتها ، عصراً تعوض فيها مافاتاتها في عصور الضعف والتفريق ، وحتى تستطيع إن تنهض برسالتها التي ناطها الله بها ، وهي رسالة الدعوة إلى الخير ، وتبليغ اخر وحي الله إلى الناس كافة . ^(٢٦) فبالتعايش والتسامح والحوار والتقريب يعطي الناس ملكوت الارض والسماء . ويكون عاملاً من عوامل التآلف والمحبة بين الديانات ، واذا عرف كل واحد منهما حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدى على حدود الآخر وبذلك يستقر بينهما الامن ويستمر السلام ^(٢٧)

ووضح الشيخ مهدي الكربلائي مسألة الاختلاف بين الأديان في منظوماتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها تفرض مجموعة من التحديات خصوصاً في ظل تعايش اتباع هذه الديانات في وطن واحد أو طان متجاوزة او بينها علاقات متعددة ، وهذه التحديات تتجاوز النطاق الديني والثقافي وشمل مجالات الحياة المهمة المتعددة ومن اجل تجاوز هذه التحديات بما يحقق المصالح المطلوبة للجميع فقد كان للأسلام موقف واضح يعكس أرادة الشرع في التعامل مع اتباع الأديان المختلفة يتلخص في ضرورة التعايش السلمي بين الجميع على اساس قاعدة (لا تظلمون ولا تظلمون) وهو القواعد المشتركة والمصالح المتبادلة وملاحظة مصلحة البلد والشعب ... وقال اذا لم نحسن التعايش من المخاطر في مجالات الحياة المختلفة قد يتصور البعض الناس إن هذا الاختلاف بين اتباع الديانات انما مخاطرة تحديات ومشاكل في الجانب الثقافي والعقائدي فقط (لا)... اذا لم نحسن التعايش الاجتماعي والثقافي ايضاً فإنه ستتولد مخاطر ومشاكل أمنية واجتماعية وغير ذلك وقال الشيخ الكربلائي إن الإنسان الذي يخالفني في المعتقد والدين له الحق في إن يوجد ويعيش معي بسلام وفق قواعد ومبادئ العدالة – فقد المجتمعات البشرية إلى يوم القيامة إن تعيش مختلفة في دياناتها ومعتقداتها – ويروض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع الاختلاف في العقيدة والدين فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة فلا يتوهم احد إمكانية الفصل والحسم بين الديانات والعقائد المختلفة . قال تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } { السجدة : ٢٥ } فهنا مع هذا الاختلاف في العقيدة والدين الاسلامي امر ان يكون هناك تعايش اجتماعي مبني على قبول الاخر والإعتراف بوجوده ضمن مبادئ اعطاء الحقوق وأداء الواجبات التي عليهم من اجل إن نضمن لهذا البلد ولهذا الشعب الامان ونحن في العراق الآن وفي ظل وجود اسباب عديدة للنزاع والصراع والاحتقان والتناحر – احوج إلى تطبيق هذه المبادئ والأسس التي وضعها الاسلام لكي نصل إلى حالة الامن والاستقرار الذي يؤدي إلى تطور البلد وازدهاره وتحقيق الامن الاجتماعي (٢٨)

اهم الاسس التي وضعتها المرجعية العليا في قضية التعايش:-
 الأول : وحدة الاصل الانساني : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) {النساء : ١} الآية الكريمة تعطي النظرة الصحيحة للإنسان تجاه الآخرين وان اختلفوا بعد الدين والمعتقد . فلكل مخلوق من نفس واحدة أي هنالك وحدة في الاصل الانساني والناس ابناء عائلة انسانية واحدة والله عز وجل هو الذي كرم الإنسان دون تمييز وهذا الاختلاف والتنوع والتعدد في اللغات والألوان من آياته للعالمين .

الثاني : حفظ حرمة الدماء والأموال والأعراض : بالنسبة للدماء والأموال والأعراض وأحاطت فيها كثيراً وذلك من اجل حفظ الامن والسلام وأبعاد المجتمع عن الوان العنف والقتل وهذا لا يقتصر على المسلمين فقط بل يشمل الجميع
 ثالثاً : اقامة العدل والقسط في الحلم بين جميع الطوائف : فلا يجوز إن يكون الموقف السلبي للشخص تجاه الآخر لأي سبب كان ولا سيما الاختلاف في الدين والعقيدة موجباً لسلب حقه والإجحاف في الحكم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } { سورة المائدة : ٨ }

رابعاً : التعامل الاجتماعي الانساني وأخلاقيات التعاطي مع الآخرين فنجد هنا حرص الاسلام على التعامل مع الآخرين على اساس المحبة والأخوة الانسانية
 أ- الجدل بالتي احسن

ب- صلة الارحام فالإسلام يأمر بصلة الرحم ولم لم يكن مسلماً

ج- مشايعة صاحب الطريق ولو كان غير مسلم (٢٩)

أسباب تأكيد المرجعية بقضية التعايش:-

١- فهم واقع كل طرف على حقيقته ، يأخذ معتقداته وأفكاره من مصادره وكتبه التي يعترف بها ، والتعرف على سلوكياته من مخالفته والتعايش معه ، ونقد وتمحيص الصورة

المشوهة التي رسمت له نتيجة التراكمات الكثيرة في العصور بسبب التعصب والتباعد ، والتشويه المعتمد وغير المعتمد .

٢- اعتماد كل طرف في بيان وجهة نظره والأستدلال عليها على الطرق العلمية وبموضوعية كاملة . ومناقشة وجهة نظر الآخرين .

٣- إعطاء الحرية لكل أحد فيما يختار من معتقدات وأفكار. (٣٠)

إذاً نلخص هذا الموضوع إن الاسلام جعل قيمة عليا لجميع الديانات التي تعيش في بلد اسلامي . وأكدوا على الاهتمام بهم وإعطاء حقوقهم لأنهم الاقلية وكذلك اكدت المرجعية على اعتراف بحقوق الغير مسلمين في الابعاد المختلفة ، السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية وغيرها . فقد دعت المرجعية إلى السلوك الحسن والجذاب مع جميع الديانات ، وهذا الامر يؤدي إلى اندفاعهم إلى اعتناق الاسلام .

إن ما تقدم هو استعراض كيف التعايش مع جميع الديانات وماهي حقوق وواجبات الاقليات غير المسلمة في المجتمع على ضوء الرؤية المرجعية . وعلى أمل إن يأتي يوم تنبذ فيه المجتمعات المسلمة وغير المسلمة النظرة العدائية لبعضها لبعض ، وتضع التعصب جانبا ، وتخطوا جنباً إلى جنب بالاعتماد على العقل والتوحيد والتعايش من اجل نيل الكمال الانساني وبلوغ مقام الخلافة الالهية .

المبحث الثاني

التعايش بين القوميات والأعراق

إن قيم الاسلام ومفاهيمه وتعاليمه ذات افق إنساني عالمي تستوعب كل القوميات والأعراق والشعوب . فكان ذلك نواة وأرضية لبناء المجتمع الاسلامي على أساس من التنوع العرقي والقومي . واتسعت رقعة الاسلام البشرية مختلف الأعراق والقوميات ، فأصبحت الأمة الاسلامية مكونة من أعراق وقوميات مختلفة تعيش في بناء أنسانية راقية. (٣١) إن أي مجتمع مكون من وحدات صغيرة ينتمي اليها الفرد سواء كانت تلك الوحدات قبلية او قومية تحتاج إلى الانتماء لتكون مجتمعاً قائماً بذاته يحمل الخصائص المشتركة لتلك الوحدات . إن الاندماج الاجتماعي وليد الحالة السلمية التي يتوجها

التعايش السلمي بين وحدات المجتمع حيث تصل إلى حالة الاستقرار نتيجة الاعتراف بالمكونات المتعددة للمجتمع وفي مجتمع متعدد القوميات يكون التعايش السلمي عقداً بين القوميات للتأخي والتعايش في إطار المجتمع الواحد.^(٣٢) قد يجتمع في بلاد اسلامية واحدة عدة أعراق فهذا عربي وهذا فارسي وغير ذلك ، وأيضاً من جانب اللغة فقد يتواجد في البلد الواحد أكثر من لغة وهذا مشاهد في كثير من الدول. ومن امثلة التعايش العرقي في بلاد المسلمين ما يحصل في العراق وغيرها. اننا كثيراً ما نرى من القوميات والأعراق يختلفون في وجهات النظر فيما بينهم ولكنهم يتعايشون تعايشاً سلمياً ويحيون حياة مشتركة سائغة رغم وجود خلافاتهم ، ويحرصون على الأبتعاد عن الحقد والعداء.^(٣٣)

ومن ضوابط هذا النوع من التعايش:-

- ١- عدم التفاخر بالأعراق ، والطعن فيما سواها ، فالأعراق في حد ذاتها قيمة يعلوا بها احد على احد من البشر .
- ٢- تكافؤ فرص العيش الكريم بين سائر الاعراق واللغات دونما تميز آلا بأعتبار عادل كتفاوت العدد ونحو ذلك .

أكدت المرجعية للتعايش السلمي ونشر ثقافة التسامح بين القوميات لو رجعنا إلى تاريخنا العربي الاسلامي اكد على التسامح والتعيش ، السلمي مع كافة الاقليات الدينية والعرقية فقال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} {المائدة: ٢} تلك كانت بعض الوضعات المشرفة في تاريخنا الاسلامي حينما تسود حالة الانسجام والتعاون والتعايش بين الانتماءات المختلفة عرقياً او دينياً .^(٣٤) ومع تطور وسائل الاتصال حتى صار العالم متشابك المصالح كأهل لمدينة واحدة . يفترض تفاهم الجميع وفتح الحوار بينهم من أجل صلاحهم . والتعايش بينهم دينياً او قومياً.^(٣٥) إن افضل وسيلة للتعايش السلمي هو نشر ثقافة التسامح . وذلك لأجل خلق سلوك أنساني متسامح ومتعايش على مستوى دول العالم لو رجعنا إلى تاريخنا العربي والاسلامي نجد إن الدين الاسلامي أكد على التسامح والتعيش السلمي مع كافة

القوميات والاعراق حيث أشار القرآن الكريم إلى (العدل ، والمساواة) وذلك في قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِتْيَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل: ٩٠) (٣٦)

فلهذا دعت المرجعية أبناء العراق من مختلف القوميات بأن يعو حجم الخطر الذي يهدد مستقبل بلدهم وان يتعايشوا فيما بينهم بنبذ الكراهية والعنف واستبدالها بالمحبة والحوار والتعايش السلمي لحل المشاكل والخلافات. وبالتعايش السلمي والحوار البناء لحل الأزمات والخلافات العالقة ، بعيداً عن التحكم الطائفي والعنصري على أمل إن يكون ذلك مدخلاً لاستعادة العراقيين السيادة لبلدهم . (٣٧)

فقد وجه المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم رسالة إلى الشعب العراقي عام ٢٠٠٣م جاء فيها : (العراق ككثير من البلاد . قد جمع طوائف مختلفة في الدين والقوميات وغير ذلك من الانتماءات وهذا أمر واقع فرض نفسه علينا يجب الاعتراف به ، والتعايش معه بالحكمة وحسن التصرف ، بنحو يجنب الجميع المشاكل والمضاعفات الخطيرة التي تفرزها الخلافات والمشاحنات . ومهما بلغ الخلاف بين الفئات المذكورة شدة وحدة فليس من الحكمة إلغاء بعضها لبعض وتجاهلها ، والتعدي عليها وهضم حقها ، لأن ذلك يؤدي إلى :

اولاً: ظلم الحقيقة

ثانياً: سبب لتعصب الطرف الذي يتجاهل مهما كان ضعيفاً ، لواقعه وتمسكه به والاستجابة لدعوات التطرف . بنحو يزيد من شقة الخلاف ويمنع من فرص التلاقي والتقارب والحوار

ثالثاً: يؤدي إلى تأجيج العواطف ، واستحكام العداء والحقد ، بنحو قد ينفجر عن صراع دموي وفتنة عارمة تضر الجميع وتدمر البلد وتفتت الوحدة .

رابعاً: يكون ثغر ينفذ منها الأعداء الذي يتربصون بنا الدوائر. والنفعيون الذي يعيشون في المستنفعات ويتصيدون في الماء العكر.

وقال السيد الحكيم اللازم على اهل البلد الواحد الاعتراف بواقعهم الذي يعيشونه ، والتكيف معه بالاحترام المتبادل بين الجميع وحسن المخالطة والمعاشرة وإعطاء كل ذي حق حقه ، ومراعاة شعوره ، ويتجنب الاحتكاك المثير والجرح للشعور .^(٣٨)

فقد دعت المرجعية العليا جميع الشخصيات الأجنبية والعربية إلى ضرورة التمسك بالنهج والأسلوب الذي يضمن طريقة مثلى للتعايش السلمي بين جميع القوميات والأعراق جاء ذلك في خطبة السيد احمد الصافي إن الخطاب اليوم لا بد إن يركز على مرتكزات علمية دقيقة مجنباً نفسه من التشنج والإثارة التي تجلب المزيد من التمزق والتمزيق والتشتت والتشتيت ، مبيناً إن كل شخص يعتز بأنتمائه الديني والقومي والطائفي من غير الممكن إن تتحول تلك القنوات إلى مسرح للمهاترات او رفض الافكار الأخرى من خلال السلاح . ودعا سماحة السيد الصافي في ختام حديثه الجميع للتعايش ليعلوا صوت الاعتدال ويهبط صوت التشنج بحسب وصفه .^(٣٩)

وقد حاولت المرجعية الدينية باستمرار وقف الفتنة الطائفية والعرقية وتجنب العنف واستبداله بلغة الحوار والتعاطي

الديمقراطي والمنافسة الشريفة على أسس العدل والعقل والأنصاف والموضوعية والمنطق السليم .^(٤٠)

ونعني بذلك أعتراف جميع الفئات المتواجدة في الوطن العراقي سواء كانت أثنية ، او دينية ، او مذهبية ، او عرقية ، او غيرها بحق متساوي لكل فئة منها بالوجود في الوطن العراقي وبالتمتع بالحريات الديمقراطية وبسائر الحقوق الأخرى ولا يكون لأية فئة منها ، سواء صغيرة او كبيرة وسواء كانت تؤلف اكثرية من الشعب او أقلية منه ، وبدون هذا التعايش المتبادل بحق الوجود في الوطن لا يمكن إن تكون وحدة وطنية .^(٤١)

وقال ممثل المرجعية السيد محمد حسين العميدي مبين موقف ومساهمة المرجعية العليا في التعايش السلمي أنه مفهوم قديم لأنه منطلق العقلاء منذ قديم الزمان لحل المشاكل والخصومات ومنع التطرف والدمار المستمر في البلاد ذات المشتركات او ذات الأقليات المشتركة او الأفكار او القوميات المتعددة . وأضاف: مفهوم التعايش السلمي هو الأيمان

واحترام رأي الآخر وأن لم يكن حقاً ، نتفق جميعاً على إن التعايش السلمي هو عدم الاعتداء على الآخر بغض النظر عن أنني اوافقه في الرأي او أخالفه ، التعايش السلمي هو أمر تبادلي لا يكون من طرف واحد ، وهو اتفاق تبادلي اتفاق الطرفين او الاطراف المتعددة على هذا المعنى يحل التعايش السلمي ، اما اذا تبنى طرف التعايش السلمي وأنكر الطرف الآخر هذا الامر لم يتحقق التعايش السلمي بغض النظر عن موقف الأطراف صح او خطأ ، ولكنه إن لم يدخل إلى واقع الحياة سيكون مجرد نظرية او كلام اعلامي او تنظير فكري . (٤٢)

وفي هذا الصدد قال ممثل المرجعية العليا في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة ٢٢ / شعبان / ٢٠١٧م إن كل فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية إلى الاجتماع والتعايش مع الآخرين لأنه لا يمكن لكل فرد او مجتمع إن ينهض بمقومات وجوده إلا من خلال التعايش مع الآخرين مع كل القوميات والأعراق وقال في خطبته مبيناً إن الفرد سواء اكان انسان او مجموعة او مجتمع او اصحاب قومية معين او دين معين ، عليه في حال أستحصال صراع او تناحر او تحارب بين فرد وفرد اخر لأسباب متعددة سواء أكانت اجتماعية او اقتصادية او غير ذلك فإنه لايجوز له إن يخضع لأهواء النفس وماتشتهي من الانتقام والوقوع في ظلم الآخرين ، مؤكداً إن الاسلام نظم حتى طبيعة العلاقة مع العدو ووضع حدود لذلك ولم يجعل المجال مفتوحاً على الإطلاق مبيناً انه مهما كان هناك عداوة او صراع فإنه لايعطي الحق لأي شخص إن يصل إلى الظلم. يجب إن يتم التعامل وفق قاعدة العدل والانصاف . والصفح والعفو وأحقاق الحق ونفي الظلم والتعايش مع جميع القوميات والأعراق. إن الاختلاف في القوميات والأعراق انما هي لحكمة للشئ أخر فقد دعا الشيخ الكربلائي على التعامل والنظر إلى الآخرين نظرة احترام وتقدير وحفظ الكرامة لهؤلاء وان اختلفوا في القوميات والأعراق والمعتقدات فلكل مخلوق من نفس واحدة والناس ابناء عائلة انسانية واحدة وقال الشيخ انظروا بتأمل وبتمعن إلى بعض الايات القرآنية حيث يؤكد على هذا المبدأ قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

{النساء: ١} ^(٤٣) القرآن يقول كلکم خلقت من نفس واحدة ولكم اصل واحد والتمایز انما هو بالتقوى والعبودية لله تعالى

علي إن تعامل وأنظر إلى الآخرين نظرة احترام والتقدير لهؤلاء وان اختلفوا معي في هذه الامور لأننا جميعاً من أصل واحد

وقال الشيخ الكربلائي في خطبته لاحظوا وصية الامام علي (ع) إلى مالك الأشر في كيفية التعامل القلبي الذي ينبعث منه المعاشرة الاجتماعية مع الآخرين... (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ،فأنهم صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) .^(٤٤)

المبحث الثالث

التعايش بين المذاهب والطوائف

لاشك إن في كل مذهب دين وفرق قد تجتمع في بلاد واحدة كما هو الحال مثلاً في العراق من وجود مذاهب لأهل السنة ومذاهب للشيعة وغيرها . لو شاء الله لجعل الناس امة واحدة ، ولجعل الأمة الواحدة لاختلف فيما بينها من مذهب او رأي ، ولكنهم – كما اراد الله جلت حكمته . يتفقون حيناً ، ويختلفون حيناً آخر ، او يتفقون في هذا ويختلفون في ذاك، ولعل هذا خير للناس جميعاً ، إن الفضل الاول إلى الامام علي (ع) هو أول من وضع أساس التقريب والتعايش بين المذاهب ، حتى لاثير العداوة والبغضاء بين الطوائف والمذاهب المختلفة ، بل تبقى وحدتها ويعيشون أخواناً متحابين.^(٤٥) يحتشد المجال البشري بتنوعات دينية وطائفية ومذهبية ، يمكن لهذا التنوع إن يشكل قاعدة صلبة ووعاء جامعاً تجري في داخله عملية تفاعل خلافة بين هذه المكونات اذا أحسن أتباع الديانات والمذاهب إدارة التنوع والاختلاف فيما بينهم وقال الامام علي (ع) ((الناس صنفان أما أخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق)) . لهم الحقوق نفسها ، وعليهم الواجبات نفسها ، وان العدالة هي الحاكم على علاقاتهم فيما بينهم ، وان يكون الحوار رائد الجميع إلى تقريب المسافات وردم الفجوات ، لتحقيق الوئام الإنساني بين الجميع.^(٤٦) من الواضح إن مسألة الوحدة الإسلامية ، وبالأحرى

مسألة التعايش المذهبي بين المسلمين ، تعد أمل وطموح كل مسلم يريد الخير والصالح لأبنائها إذ إن التفرقة والعداوة والبغضاء هي عمل الشيطان، المتمثل في بؤر العداة ذات النزعة الإستعمارية ، التي تسعى إلى إثارة الفتن والتناحر بين ابناء الأمة الإسلامية من خلال اطلاق العنان للنعرات الطائفية، كل ذلك لأجل تحقيق مأربهم ومصالحهم على ضوء المقولة المعروفة ((فرق تسد)).

ومن هنا نجد النصوص القرآنية تؤكد على ضرورة التآلف والتعايش بين المسلمين، محذرة في الوقت ذاته من الفرقة والإختلاف ، كما في قوله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} {الانبياء: ٩٢} وفي هذا المسار سارت بيانات الرسول (ص) وأهل بيته (ع) في التأكيد على اهمية وحدة وتلاحم المسلمين، وهو ما يكشف عنه ذلك الحشد المتنوع من الروايات الواردة عنهم (ع) التي جاءت مشفوعة بتحديد الآليات والإجراءات الكفيلة بضمان الوحدة والتعايش بين المسلمين .^(٤٧) مناطق عديدة من العالم الاسلامي يعيش ابناءؤها تنوعاً مذهبياً لكنهم يعجزون عن التعايش والتعاون والإنسجام ، فيقع بينهم الصراع والتنافر وتحدث حالات من الإضطهاد المذهبي والتمييز الطائفي ، فهل الإختلاف في المذاهب مبرر لذلك؟ إن المذاهب الاسلامية على تعددها تستقي من ينبوع واحد هو الكتاب والسنة وتتفق على اصول واحدة مشتركة هي الإيمان بالله والنبى محمد (ص) وبالأخرة ، ويتجه ابناءؤها إلى قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون شهر رمضان، كما انهم ورثوا هذا التعدد المذهبي من أسلافهم ولم يخترعوه او يبتدعوه في هذه العصور .

فما مبرر التناحر والصراع؟

اولاً: الجهل برؤية الاسلام وتعاليمه

ثانياً: الأخلاق السيئة التي تنشأ من الإنسانية والمصلحية والتعصب

ثالثاً: جهود الاعداء الخارجيين والداخلين التي تصب على التفرقة وتزرع الفتن وتبث الإختلاف

حل لكل هذا هو التعايش حينما يكون الانتماء المذهبي للمواطنين المسلمين متنوعاً فأَنْ امامهم التعايش بأن يعترف كل طرف للآخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته وممارسة شعائره الدينية والعمل وفق اجتهاداته المذهبية ، ويتعامل الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ، متعاونين لتحقيق المصلحة العامة ومواجهة الأخطار المشتركة كما يقول الأمام محمد بن علي الباقر (ع) : (صلاح شأن الناس التعايش)^(٤٨) مسؤولية من ؟

كيف ترتقي مجتمعاتنا إلى مستوى التعايش الحضاري؟ وكيف تتسامى عوامل الخلاف والتمزق وأسباب القطيعة والتنافر؟ كيف تتحقق الوحدة الاسلامية الوطنية لكل مجتمع في بلاد المسلمين وعلى مستوى الأمة جمعاء؟ إن المسؤولية تقع على عاتق الجميع فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته كما يقول الحديث الشريف وبالدرجة الأولى الحاكمين في البلاد الاسلامية يتحملون مسؤولية رئيسية في توحيد شعوبهم ، وتوفير أجواء التعايش والإنسجام فيما بينهم على أساس الحق والعدل ومنع أي تمييز قومي او طائفي ، فقد روي عن رسول الله(ص) قوله (خير الولاة من جمع المختلف وشر الولاة من فرق المؤتلف)^(٤٩)

اما علماء الدين ينتظر منهم دور في الدعوة إلى الوحدة والوئام ، وتحذير الناس من النعرات والفتن الطائفية ولايجوز أبداً إن يمارس عالم الدين دور التعصب المذهبي بمبررات واهية زائفة ذلك (إن الله سبحانه لم يعط احداً بفرقة خيراً ممن مضى ولا ممن بقي) كما يقول امير المؤمنين (ع)^(٥٠) ويقول الامام الصادق (ع): (فلا تخاصموا الناس لدينكم فأن المخاصمة ممرضة للقلب) ورجال الفكر والأعلام عليهم إن يوجهوا اقلامهم وجهودهم لأشاعة روح التعايش والتسامح ومحاربة توجهات التشدد والتطرف التي يغذيها الاعداء وينميها الجهل والغباء . فأن كل مواطن واع يجب إن يتحمل مسؤولية في صنع الوحدة الوطنية الاسلامية بسلوكه القويم وتعامله السليم مع سائر اخوانه المواطنين فالصراع والتنافر يهدد مستقبل الوطن ويضر بمصلحة الشعب .^(٥١) اهتمت المرجعية بالدعوة إلى التعايش والحوار، وبيان وجهات النظر، والترفع عن المغالطات

والألتواء والمهاترات وكذلك اهتمت بوحدة الصف، وجمع الكلمة وتخفيف حدة الخلاف، والتقريب بين الطوائف يلزم استبعاد الشدة والعنف في فرض وجهة النظر على الغير واحترام وجهة نظر الآخرين، والتعامل مع بقية المذاهب بتعقل ورزانة وسعة صدر ومحاولة تخفيف حدة الخلاف، أكدت المرجعية عن تلاحم وتعايش جميع المذاهب للحفاظ على الكيان العام وتقويته. فأن هذا نفسه واجب شرعي في حق الكل نتيجة أنتمائهم للإسلام.^(٥٢) وقد شهد بهذه الدور الصادق للمرجعية والنابع من منهج القران مختلف الطوائف والأقليات في العراق ومن هنا فالمرجعية تجسد مفاهيم القران وسيرة اهل البيت (ع) في التعامل مع غير المسلمين فكانوا (عليهم السلام) يوصون بحسن السيرة معهم. وفي حقبة العشرينات والثلاثينيات قام الشيخ عبد الكريم الزنجاني بمجهود كبير في الدعوة إلى تعايش وتوحيد المذاهب الاسلامية.^(٥٣)

إن التهاور مع مختلف المذاهب الإسلامية قضية أساسية ومركزية في فكر السيد الحكيم . في العراق كانت قضية الطائفية واحدة من القضايا المعقدة إلا أنه كان يسعى لتحقيق توازناً ويحافظ على وحدة المسلمين أولاً، والمطالبة بحقوق

الشيعة في مختلف الجوانب ثانياً. فقد كانت خطواته جادة في سبيل تحقيق هذا التوازن فقد ارسل مجموعة من الكتب إلى المكاتب اللبنانية للتعرف بمذهب اهل البيت هدفه من ذلك تقريب الأفكار وإزالة الترسبات القديمة إن وجدت . وإقامة علاقات مع جامع الازهر بهدف تقريب وجهات النظر بين الشيعة والسنة وإزالة الغموض^(٥٤) فقد دعا السيد الحكيم إلى التعايش بين السنة والشيعة من اجل وقف الفتن وتحسين العلاقات ولمعالجة المشاكل الطائفية وبناء علاقة حسنة وإزالة الشكوك بينهم.^(٥٥)

إن التعايش مع الأقليات والطوائف المختلفة عندما يجدون حقوقهم في الاعتقاد وحرية التعبير والإرادة والكرامة ..الخ) مصونة فأنهم سيندمجون ويتعايشون مع بعضهم ومن هنا أخذت المرجعية موقعهم إزاء الفتنة الطائفية التي يحاول أعداء الدين والإنسانية إشعال فتيلها في العراق وذلك من خلال تحذير الامة من مغبة الوقوع فيها والتحرك السريع لمحاصرتها حتى لا تمتد إلى سائر العراق. إن المرجعية يتحملون مسؤولية كبيرة

لمواجهة مثل هذه الفتن والشبهات. ونجد عندما بدأ فتنة الارهاب والتكفير الطائفي في عراقنا وإعلان الزرقاوي حربه على أتباع أهل البيت(ع) وأستهدافه لشخصياتهم ومناسباتهم الدينية في مختلف مدن العراق خصوصاً العتبات المقدسة ، لكن وعي الامام السيستاني حيث كان يرفض أتهام أي جهة مذهبية ويؤكد على التحلي بالوعي والحذر من الفئات المعادية لكل العراق ولكل المذاهب ومن هنا يتضح موقف السيد من خلال البيان الهام الذي صدر عن مكتب سماحته وكان يتضمن دعوته إلى التعايش بين السنة والشيعية وتحقيق التعايش السلمي على أساس الاعتراف والإحترام المتبادل وحفظ الحقوق الإنسانية والوطنية ونبد المشاحنات المذهبية والطائفية والتأكيد على حرمة دم كل مسلم سنياً كان او شيعياً وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل يسفك دمأياً كان صاحبه ومن هنا يتضح إن رؤية السيد بما يمثله من مرجعية عليا ومواقفه تشكل افضل رسالة للتعايش السلمي فلا أحد يستطيع المزايدة عليه ولاأتهامه بالتخاذل في نصرة العقيدة،فأنه يحاول السعي إلى الوصول إلى السلام ودفع البؤر الحبيثة والعصابات المجرمة من أجل إثارة الفتنة الطائفية في العراق وتفكيك عرى الوحدة الوطنية التي تلم شمل الشعب بكل أطيافه.^(٥٦) قال ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة إن المشتركات بين مختلف المذاهب الاسلامية ساء كانت في العقيدة ، والتوحيد ، النبوة،والمعاد) بالرغم من وجود الاختلاف هنا وهناك تفرض مستوى الأنسجام والتعايش المبني على احترام خصوصيات الاخر ويصون المصالح العليا قاطبة خصوصاً إذا كانوا ضمن الوطن الواحد.^(٥٧) نظمت المرجعية امور وحاجات المذاهب والطوائف دينياً وفقهياً من خلال التعايش السلمي وتمتين العلاقة بين الاوساط السنية والشيعية لكي يكون العراق لكل العراقيين^(٥٨)

وجعلت لهذا التعايش ضوابط اهمها:-

- أ- مراعاة القواعد الشرعية في التعامل مع المبتدعة كمراعاة التفاوت بين بدعهم فمنها ما هو مكفر ومنها ما ليس كذلك ،ومنهم الداعي لها وغير الداعي ولكل حال حكمها
- ب- المنع من نشر الباطل

ت- الأصل في التعامل معهم دعوتهم بالتي هي احسن وبالرفق واللين .
 ث- عدم بخشهم شيئاً من الضرورات الدينية.
 ج- فلا يجوز بناء علاقة معه على اسس مذهبية او طائفية ، او تفرقة بسبب اختلاف الملة
 كما لا يجوز في الشرع إن نحمله كل الواجبات ، ونعطيه بعض الحقوق.^(٥٩)
 مانأمل على صعيد اخر إلى ما يوازيها ويمثلها من كبار علماء السنة حتى تستطيع الامة
 تخطي هذه المحنة والفتنة العمياء حتى تصل إلى مرضاة الله تعالى
 نتائج البحث:-

تعد المرجعية ظاهرة متقدمة وناجحة باعتبارها الأقرب إلى القيادة المعصومة علماً
 وسلوكاً فقد رسخت المرجعية إلى توحيد الكلمة وجمع الشتات ودعت إلى ثقافة
 التعايش السلمي في التعامل مع المسلمين وغيرهم ، ذلك إن الاسلام دين المحبة والسلام
 والتألف والمساواة والإخلاص لأنه أنساني عالمي موجه إلى كافة بني الإنسان على مختلف
 متبنياتهم العقائدية والفكرية .

التعايش المشترك مع الآخرين لا يكون الا بوجود الألفة والمودة ، ولا يعيش الإنسان مع
 غيره الا اذا وجد بينهما تفاهم ورغبة مشتركة تبنى على الثقة المتبادلة بكل مصداقية
 وفق ضوابط شرعية وقانونية وأجتماعية أساسها احترام الخصوصيات ، وقد أرسى
 الإسلام قواعد هذا التعايش من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
 التي رسمت للإنسان المسلم طبيعة الحوار التي ينبغي إن يعيشها وطبيعة علاقته مع غير
 المسلم المستندة إلى التعايش والتواصل والحوار والتفاهم من أجل أعمار الأرض ونشر
 الفضيلة فيها.

أهم النتائج التي توصل اليها البحث:-

- إن التعايش مع غير المسلمين له أصل في الكتاب والسنة فهو ليس دعوة جديدة بل إن
 رسول الله (ص) هو أول من أسس قواعد التعايش السلمي مع غير المسلمين التي هي
 بمثابة دستور الدولة الإسلامية والتي أكد فيها ضرورة التعايش السلمي بين الطوائف .

- إن التعايش بين المذاهب هو جوهر محاولة لكسر شوكة التعصب ، وجمع لكلمة الأمة على أصول عقيدتها والمبادئ الأساسية لديها .
- تأكيد المرجعية على التسامح والتعيش مع كافة الطوائف والأقليات الدينية والعرقية .
- الاعتراف بالهويات المتنوعة للشعوب (العرقية- القبلية - والدينية المذهبية) إن يعيش في مجتمعه بسلام وأمن بعيد عن الصراعات الفكرية والإرهاب .
- على جميع الطوائف إن يتعايشوا مع بعضهم مهما تنوعت إنتماءاتهم وتعدد هوياتهم من أجل مصالحهم المشتركة .
- التعامل مع غير المسلمين بالبر والقسط وذلك بعدم العدوان عليهم وإخراجهم من الديار.
- إعطاء الحرية لكل أحد ممن يختار من معتقدات وأفكار.
- صلة الأرحام وإن لم يكن مسلماً .
- فما هذا البحث إلا محض محاولة متواضعة وإضافة ، نحاول إن نحتل موضوعها من هذا النتاج الغزير الذي تناولت به المرجعية وموقفها من التعايش السلمي ولعل هذا البحث أستجاب للطموح الذي ابتدأت عنده أولى خطواتها. فأن كانت ذات فائدة فذلك هو الرجاء وإلا فحسبي اني سعت واجتهدت ولي من حسن النية وصدق العزيمة خير عذر وكمال الا الله وحده. وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الخلق أجمعين وعلى اله وصحبه إلى يوم الدين
- الهوامش:

(١) الاصول من الكافي / محمد بن يعقوب الكليني / ج ٢ / ص ٣٠٨

(٢) السيد علي السيستاني رجل المواقف الوطنية والانسانية / حسن علي الجوادي / ص ٦١

(٣) المعجم الوسيط / ابراهيم مصطفى / ج ١ / ص ٦٤٦

(٤) مشكلة الحرب والسلام / شوقي هلال / ص ٢١٠

(٥) المرجعية وأثرها في بناء الإنسان / د. عدي جواد الحجار / ص ٩

(٦) ادبيات التعايش بين المذاهب / سماحة السيد العلامة الاستاذ حسين بن علي المصطفى / ص ٢١

(٧) الحوار من اجل التعايش / د. عبد العزيز عثمان التويجري / ص ٧٦

- (٨) سورة الأسراء: آية : ٧
- (٩) التنوع والتعايش / حسن الصفار / ص ٥٧
- (١٠) المرجعية وأثرها في بناء الإنسان / د. عدي جواد الحجار / ص ٣١
- (١١) المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين / غازي سعيد سليمان / ص ٢٤
- (١٢) الرأي الآخر في الوحدة والتقريب / الشيخ علي حمود العبادي / ص ٩٨
- (١٣) التعايش نماذج تطبيقية / ناصر سعيد بن سيف السيف / ص ٣
- (١٤) (ن . م) / ص ٧
- (١٥) ادبيات التعايش / حسين علي المصطفى / ص ٢٣
- (١٦) الشيخ عبد الكريم / ص ١٥٣
- (١٧) البقرة : آية : ٢٥٦
- (١٨) الاسلام والتعايش السلمي مع الاقليات الدينية / د. ثابت مهدي حمادي الجنابي / ص ٦٤
- (١٩) فقه التعايش غي المسلمين في المجتمع الاسلامي / روح الله شريعتي / ص ٧٠
- (٢٠) التنوع والتعايش / حسن الصفار / ص ٨٦
- (٢١) فقه التعايش / روح الله شريعتي / ص ٨٦
- (٢٢) الأديان والمذاهب في العراق / رشيد الخيون / ص ١٨
- (٢٣) بحوث ودراسات علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف / السيد هاشم فياض الحسيني / ج ٣ ص ٩٠
- (٢٤) المجتمع المدني في الفكر الاسلامي / حسن عز الدين بحر العلوم / ص ١٤٦
- (٢٥) الاسلام والمسيحية / د. صادق المخزومي / ص ٢٦٣
- (٢٦) منهج التقارب المذاهب الفقهية من اجل الوحدة الاسلامية / د. محمد الدسوقي / ص ٢٣
- (٢٧) مجلة الموسم / محمد سعيد الطريحي / العدد ٤٧ / ص ٣٤٩
- (٢٨) خطبة الشيخ محمد مهدي الكربلائي / صلاة الجمعة / ٢٢ شعبان / ٢٠١٧
- (٢٩) مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الاسلامية / د. نصار سعد نصار / ص ١٢
- (٣٠) المرجعية الدينية وقضايا أخرى / السيد محمد سعيد / ص ٩٥
- (٣١) التنوع والتعايش / حسن الصفار / ص ٦٥
- (٣٢) ندوة أجتتماع دولي للتقريب بين المذاهب الاسلامية / مؤسسة الامام الخوئي / ص ٥٧٨
- (٣٣) المجتمع المدني في الفكر الاسلامي / حسن عز الدين بحر العلوم / ص ١٣٠
- (٣٤) التنوع والتعايش / ص ٨

- (٣٥) المرجعية الدينية وقضايا أخرى / السيد محمد سعيد / ص ٩٩
- (٣٦) النحل / اية: ٩٠
- (٣٧) الأمام السيستاني شيخ المرجعية / محمد صادق محمد باقر بحر العلوم / ص ٨٦
- (٣٨) خطبة السيد محمد سعيد الحكيم / عام ٢٠٠٣م / شبكة صدى النجف / كتابات في الميزان
- (٣٩) خطبة السيد احمد الصافي / الثلاثاء ٩/٤ / ٢٠١٩م / الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة
- (٤٠) المرجعية الدينية في النجف الاشرف واثرها في الرأي / راجي نصير دواره / ص ٢٠٦
- (٤١) مجلة الموسم / محمد سعيد الطريحي / العدد (١٨) / السنة - ١٩٩٤م / ص ٣٣
- (٤٢) مؤتمر الأكاديمين / محمد حسين العميدي / العتبة الحسينية المقدسة
- (٤٣) النساء م اية: ١
- (٤٤) خطبة الشيخ عبد المهدي الكربلائي صلاة الجمعة / ٢٢ شعبان / ١٤٢٨هـ - ٢٠١٧م
- (٤٥) مجلة رسالة الاسلام / العدد (٤) / (السنة ٣) / ١٩٥١م / ص ٤٣٤
- (٤٦) ادبيات التعايش بين المذاهب / حسين علي المصطفى / ص ١٠
- (٤٧) الرأي الاخر في الوحدة والتقريب / الشيخ علي محمود العبادي / ص ٨
- (٤٨) بحار الانوار / محمد باقر المجلسي / ج ٧١ / ص ١٦٧
- (٤٩) السبيل إلى انهض المسلمين / السيد محمد الشيرازي / ص ٣١٢
- (٥٠) نهج البلاغة / خطبة رقم / ١٧٦
- (٥١) التنوع والتعايش / حسن الصفار / ص ٨٧-٨٩
- (٥٢) المرجعية الدينية وقضايا اخرى / السيد محمد سعيد / ص ٩٢-٩٣
- (٥٣) الدور الاعلامي للامام عبد الكريم الزنجاني في الدعوة إلى الوحدة الاسلامية / عبد الحسين علوان الدرويش / ص ٥٠
- (٥٤) السيد محسن الحكيم دراسة في دوره السياسي والفكري في العراق / د.وسن سعيد الكرعوي / ص ٤٣٢-٤٣٣
- (٥٥) الامام محسن الحكيم دراسة تاريخية / د. وجيه كوثراني / ص ١٧٣
- (٥٦) الامام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة / محمد صادق باقر بحر العلوم / ص ٢١
- (٥٧) خطبة الشيخ عبد المهدي الكربلائي / ٢٢ شعبان / ٢٠١٧
- (٥٨) مجلة الموسم / محمد سعيد الطريحي / العدد ١٨ / السنة ١٩٩٤ / ص ٦١
- (٥٩) التعايش نماذج تطبيقية / ناصر سعيد سيف الدين / ص ٤
- المصادر والمراجع:-

- الأصول من الكافي - أبي جعفر بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي - ج ٢ - ط ٧ - ١٣٨٣هـ - دار الكتب الاسلامية طهران
- الإسلام والتعايش السلمي مع الاقليات الدينية - د. ثابت مهدي حمادي الجنابي - ط ١ - ١٤٣٨هـ - ٢٠٢٧ - المملكة الاردنية الهاشمية
- الأديان والمذاهب في العراق - رشيد الخيون - ط ٢ - ٢٠٠٧م - بغداد - العراق
- الإسلام والمسيحية - د. صادق المخزومي - ط ١ - ٢٠١٦م - لبنان
- الإمام محسن الحكيم دراسة تاريخية - د. وجيه كوثراني - ط ١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - دار الزهراء - بيروت - لبنان
- الإمام السيستاني شيخ المرجعية - محمد صادق باقر بحر العلوم - ط ١ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م - بيروت - لبنان
- أدبيات التعايش - حسين علي المصطفى - ط ١ - ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م - دار الملاك - بيروت - لبنان
- بحوث ودراسات علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف - السيد هاشم الحسيني - ج ١ - ط ١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠١٠م - بغداد
- بحار الانوار - محمد باقر المجلسي - ج ٧١ - ط ٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان
- التنوع والتعايش - حسن الصفار - ط ١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - لبنان بيروت
- التعايش نماذج تطبيقية - ناصر سعيد بن سيف السيف - ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م
- الحوار من أجل التعايش - د. عبد العزيز عثمان التويجري - ط ١ - ١٩٩٨م - دار الشروق - العراق
- الدور الاعلامي للإمام عبد الكريم الزنجاني في الدعوة إلى الوحدة الاسلامية - عبد الحسين علوان الدرويش - ط ١ - ٢٠١١م - بغداد - العراق
- الرأي الآخر في الوحدة والتقريب - الشيخ علي محمود العبادي - دار الكتب والوثائق - بغداد - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

- السيد علي رجل المواقف الانسانية - حسن علي الجواد - ط ١ - ١٤٣٨هـ - ٢٠١٨م
 - العتبة العباسية المقدسة - العراق
 - السبيل إلى انهاض المسلمين - السيد محمد الشيرازي - ط ٧ - ١٩٩٤م - مؤسسة
 الفكر الاسلامي - بيروت - لبنان
 - السيد محسن الحكيم دراسة في دوره السياسي والفكري في العراق - د. وسن
 الكرعاوي - ١ - ٢٠٠٩م - مؤسسة افاق للدراسات والأبحاث العراقية
 - الشيخ عبد الكريم الزنجاني - محمد جواد جاسم الجزائري - ٢٠١٢م - ٠ - النجف -
 العراق

- فقه التعايش - روح الله شريعتي - ط ١ - ٢٠٠٩م - بيروت - لبنان
 - المعجم الوسيط - ابراهيم مصطفى - المكتبة الاسلامية للطباعة - استانبول - تركيا -

ج

- مشكلة الحرب والسلام - شوقي هلال - دار الثقافة الجديد - مصر
 - المرجعية وأثارها في بناء للإنسان - د. عدي جواد الحجار - ط ١ - ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
 - العتبة العلوية المقدسة
 - المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع المسلمين - غازي سعيد سليمان - ط ١ -
 ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م - ديوان الوقف السني - العراق
 - المجتمع المدني في الفكر الاسلامي - حسن عز الدين بحر العلوم - ط ١ - ١٤٢٩هـ -
 ٢٠٠٨م - مركز النجف للثقافة والبحوث
 - منهج التقارب المذاهب الفقهية من اجل الوحدة الاسلامية - د. محمد الدسوقي -
 كلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة قطر - الدوحة - ربيع الاول - ١٤١٤هـ
 - مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الاسلامية - د. نصار سعد نصار - ٢٠٠٩م - دمشق
 - المرجعية الدينية وقضايا اخرى - السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم
 - المرجعية الدينية في النجف الاشرف وأثارها في الرأي العام العراقي - راجي نصير
 دواره - ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

- مؤتمر الاكاديميين - محمد حسين العميدي - موقع العتبة الحسينية المقدسة
- ندوة اجتماع دولي للتقريب بين المذاهب الاسلامية - مؤسسة الامام الخائي - ٢٥
ذو الحجة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - دمشق
- نهج البلاغة - خطبة رقم ١٧٦
- المجلات:-
- مجلة رسالة الاسلام مجلة عالمية تصدر من دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في
القاهرة - (العدد الاول السنة الثالثة ١٩٥١م) - (العدد الرابع السنة الرابعة ١٩٥٢م)
- (العدد الاول السنة الخامسة ١٩٥٣م)
- مجلة الموسم - محمد سعيد الطريحي - (العدد ٤٧ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) الكوفة
الخطب :-
- خطبة السيد احمد الصافي - الثلاثاء ٩/٤/٢٠١٩م - الموقع الرسمي للعتبة الحسينية
المقدسة
- خطبة السيد محمد سعيد الحكيم - ٢٠٠٣م - كتابات في الميزان - شبكة صدى النجف
- خطبة الشيخ محمد مهدي الكربلائي - صلاة الجمعة - ٢٢ شعبان - ٢٠١٧م